الحالمون

فهرسة أثناء النشر / إعداد الهيئة العامة لدار الكتب والوثائق القومية، إدارة الشئون الفنية

المقدم، أحمد
الحالمون
نيوبوك للنشر والتوزيع
14 × 20 سم
تدمك: 9789776519794
رقم الإيداع: 22269/2017
1 ـ القصص العربية
أ ـ العنوان

دار النشـــر: نيوبوك للنشر والتوزيع
عنوان الكتاب: الحالمون
الـكـاتـب: أحمد المقدم
رقم الطبعة: الأولى
تاريخ الطبع: 2018

جميع حقوق الملكية الأدبية والفنية محفوظة للناشر

ويحذر طبع، أو تصوير، أو ترجمة، أو إعادة تنضيد للكتاب كاملًا أو جزئيًا، أو تسجيله على أشرطة كاسيت، أو إدخاله على الكمبيوتر، أو برمجته على أسطوانات ضوئية، إلا بموافقة الناشر الخطية الموثقة

نيوبوك للنشر والتوزيع
6 عمارات الدفاع الوطني ـ حدائق القبة ـ القاهرة
تليفون: 01092673274
newbooknb@gmail.com

الحالمون

أحمد المقدم

NEW BOOK
نيو بوك للنشر و التوزيع

«نحن نعرف ما نكون، ولكن ليس ما يمكن أن نكون»

وليم شكسبير

١

استرخى في القارب الصغير الذي يتأرجح بهدوء يدغدغ الأعصاب تاركا يده تسبح في الماء الدافئ. كان يداعب اللآلئ الذهبية التي تعكسها شمس الغروب على سطح الماء فيرفع يده محاولا اصطيادها ولكنها تجد طريقا خفيا عائدة إلى حريتها فلا تخرج يده إلا بالماء الصافي.

كانت الصورة مثالية كعادة جهاز الأحلام المبرمج على أن يضع النائم في حالة من الاسترخاء التام بمساعدة مشاهد ساحرة من الطبيعة. هذه المرة وضع جهاز الأحلام (سول) في قلب بحيرة رائعة الجمال أثناء الغروب. كانت الريح الخفيفة القادمة من الشاطئ البعيد تحمل صوت زقزقة العصافير العذب والذي أكمل عزف سيمفونية المشهد.

لم يكن وحده بالقارب.. رفع عينيه بصعوبة مقاوما تأثير الجو العام الدافع إلى السكون ليتطلع إلى الفتاة الجالسة أمامه. كانت جميلة ذات شعر ذهبي طويل، عينين واسعتين عسليتي اللون، قوام ممشوق وابتسامة ساحرة. اسمها (نول) وهي زوجته المستقبلية. كان ككل من أوشك أن يتم الخامسة والعشرين من عمره قد توجه إلى مكتب تنسيق الزيجات كي يخبره باختيار الإله لزوجته المستقبلية والتي تكون من نفس سنه. لم يرها

سوى مرة واحدة فقط قبل هذا الحلم في مكتب تنسيق الزيجات، وعندما رأى أنها أجمل من المعظم لم يبد أي فرحة. في الواقع لم يهتم (سول) بكون زوجة المستقبل جميلة أم قبيحة، مثله مثل كل شباب جيله الملتزمين حقا، فتلك الأشياء السطحية التي تضم أيضا الحب الموجه لغير الإله كان قد تم التغلب عليها منذ زمن. هذا لا يمنع أنه كان يدرك أنها جميلة ولكنه فقط.. لا يهتم. كله في نهاية الأمر في سبيل الحب الأكبر، حب الإله الذي أمرهم بالزواج وإنجاب الأطفال. لهذا السبب هم يتزوجون. هو فقط تفاءل أن الفرز العشوائي الذي يوجهه الإله خفية قد اختار زوجة تحمل اسما مشابها جدا لاسمه واعتبر هذا بشرة خير ورسالة رضا.

كان يعلم لماذا هي موجودة في حلمه.. السبب بالطبع هو محاولة مكتب تنسيق الأزواج جعلهما يألفا بعضهما قبل أن يربطهما رباط الزواج النهائي.

«لابد أنها هي الأخرى تحلم بي الآن»، هكذا فكر وهو ينظر إليها وإلى ابتسامتها العذبة. كان هناك شيء مختلف بشأنها عن المرة التي قابلها فيها في الواقع. حاول أن يدرك كنه هذا الشيء ولكن دون جدوي. مدركا أنها لن تتحدث لأن الحوار داخل الحلم لم يكن في إمكان جهاز الأحلام، عاد إلى جلسته المسترخية الأولى ورفع رأسه ناظرا إلى السماء الصافية المائلة إلى الحمرة. أغلق عينيه منتظرا أن يوقظه جهاز الأحلام في أي لحظة. هنا جالت بخاطره فكرة عجيبة.. إنه يدرك أنه يحلم!!.. هل هذا ممكن؟.. إن كان ممكنا فهو لا يتذكر حدوثه من قبل. أقلقه الخاطر فاعتدل في جلسته متأملا (نول) التي لم يبد على وجهها أي تغيير. لا تزال جالسة أمامه حاملة نفس الابتسامة التي يراها الآن مزعجة لعدم تأثرها بقلقه.. بدت في تلك

اللحظة غير بشرية. حاول تهدئة نفسه بأن فكر: «ربما حدث هذا من قبل ولا أتذكره.. ربما يحدث طوال الوقت لكل الناس ولا يتذكرون». كادت تلك الفكرة تهدئ من روعه لولا أن حدث شيء آخر..

في البداية ظن أنه صوت العصافير البعيدة في فورة نشاط، ولكنه أرهف السمع وأجزم أن هناك صوتا بشريا قادما من ناحية الشاطئ. كان يبدو أن الصوت يريد قول شيء ما ولكنه كان ضعيفا للغاية:

ـ ....حـ.. عـ....

حاول أن يصغي أكثر إلى ماهية تلك الرسالة القادمة عبر الأحلام. خيل إليه أن الصوت أنثوي.. عاد فالتفت إلى (نول) وأفزعه ما رأي.. كانت وللمرة الأولى منذ بداية هذا الحلم الذي انقلب كابوسا، لا تبتسم. كان وجهها يحمل بدلا من الابتسامة نظرة عجيبة تذكره بنظرة زملائه في مدرسة الرعاة قديما إلى الحيوان الذي يستخدمه معلمهم ليشرح لهم كيفية تعامل الراعي معه.. كانت نظرة اهتمام.. وكأنها كانت تدرسه في تلك اللحظات.

كان هذا كافيا كي يملأ الذعر قلب (سول). تحول الماء من الهدوء إلى أمواج خفيفة فأمواج أقوى بدأت في تقاذف القارب الصغير كما أن السماء تلبدت فجأة بالغيوم واختفت شمس الغروب الدافئة. لم يدر ماذا يفعل غير أن يأمل أن يوقظه جهاز الأحلام من كابوسه هذا. وسط كل هذا وعلى الرغم من أن صوت الأمواج وتقاذف القارب كان آخذا في الارتفاع، إلا أن الصوت الأنثوي القادم من الشاطئ كان يزداد وضوحا غير مبال بكل هذا.

ـ ..بحـ..عـ..ي..

ـ ابحث عني..

ـ ابحث عني..

كان يسمعه بوضوح الآن ولكنه لم يدر ماذا ينبغي أن يفعل. ظل الهتاف يتردد في مسامعه بشكل ملح مثير لأعصابه المحترقة سلفا فسد أذنيه بكفيه ومال ضاما رأسه إلى صدره متجنبا نظرات (نول) الدارسة والتي لم تهتز لكل ما يحدث حولها. أثبتت محاولته فشلها، فالصوت لم يتوقف عن اختراق عقله بل أخذت حدته تزداد:

ـ ابحث عني..

ـ ابحث عني..

ـ عاجزا مذعورا هتف:

ـ لماذا لا أستيقظ.. لماذاااا؟..

لحسن حظه جاءه الجواب أخيرا متمثلا في الأزيز المألوف لجهاز الأحلام الذي أيقظه.

* * *

اعتدل في فراشه لاهثا والعرق يغمر وجهه. احتاج بضع ثوان كي تهدأ أنفاسه المتلاحقة ثم خلع جهاز الأحلام من حول رأسه. كان جهازا صغيرا يشبه الطوق مصنوعا من مادة لينة تساعد على تكييفه ليحيط بالرأس. كان تأثير الكابوس مازال حاضرا في ذهن (سول) رغم هدوئه بعض الشيء. لا ينبغي أن يحلم بكوابيس من الأساس فذلك هو الهدف

من جهاز الأحلام الذي يعطي النائم أحلاما جيدة فقط تساعده على الاستيقاظ مليئا بالنشاط والحماس لأداء عمله. عبثا أخذ يقلب الجهاز بين يديه محاولا استشفاف إن كان به عطل ما. لم يجد شيئا بالطبع فهذا بعيد عن تخصص عمله كراع، ربما يأخذه إلى أحد المصلحين المسئولين عن إصلاح الأعطال. الغريب أنه لم يسمع من قبل عن عطل حدث بإحدى أجهزة الأحلام.

ـ هل صليت صلاة الإله الصباحية؟

كاد يقفز من الفزع حين ملأ وجه الكاهن العجوز قائل العبارة الحائط المقابل له فجأة ولكنه سرعان ما هدأ حين تذكر أن هذه ما هي إلا رسالة الصلاة الصباحية المسجلة. حفظ (سول) وجه الكاهن ذي الابتسامة الأبوية الهادئة عن ظهر قلب فهو نفس الوجه الذي يطالعه منذ سنين طويلة كلما جاء موعد الصلاة سواء الصباحية أو المسائية ولكن رغم هذا فهو مازال يفزع كلما ظهر أمامه فجأة.

ـ سأفعل الآن.

أجاب فاختفت صورة الكاهن من الحائط الذي تحول إلى شاشة كبيرة وظهرت بدلا منها الساعة الرقمية التي تشير إلى السادسة صباحا. حاول أن ينفض عن نفسه كل معاناة الليلة الماضية وغادر الفراش مستعدا لأداء الجزء المفضل لديه في اليوم، الصلاة. كان التواضع في عالم ما بعد «الكارثة» من أهم صفات عبيد الإله المطيعين وكانت غرفة (سول) الصغيرة خير دليل على هذا التواضع. لم يكن بغرفته المكيفة الهواء سوى فراش، ودولاب لملابسه وحوائط بيضاء نظيفة.

إمعانا في التواضع، كان على المصلي أن يجلس على الأرض أثناء صلاته. هكذا جلس (سول) متربعا فوق الأرضية الخشنة وأغلق عينيه مرددا:

أيها الإله العظيم

اغفر لنا خطايانا وخطايا آبائنا العصاة

اغفر لنا من عملنا ما يغضبك ويغضب منقذنا

اغفر لنا ظلام أنفسنا واجعل لنا نورك ونور منقذنا خالدا دائما

أيها الإله العظيم

ابعد عنا شر المعرفة التي أودت بآبائنا

ابعد عنا شر الإرادة المنفصلة عن إرادتك وإرادة منقذنا

ابعد عنا شر الحرية التي تعيث فسادا في الأرض

أيها الإله العظيم

قربنا منك بزواجنا ونشر بذورنا

قربنا منك بعملنا في أرضك حتى نموت

قربنا منك بانحناء جباهنا حتى تشققها طاعتك

أيها الإله العظيم

أنزل غضبك على من يعصيك ويعصي منقذنا

أنزل عليهم الجوع والمرض والتشريد

أيها الإله العظيم

كافئنا على طاعتنا بأن ترضي منقذنا عنا

كافئنا بإدخالنا فردوسك

كافئنا بأن تعجل موتنا كي نلقاك

انتهى (سول) من صلاته التي يحفظها عن ظهر قلب. بعد سنين طويلة من ترديدها، لم تعد بعض الكلمات في الصلاة أكثر من مجرد كلمات يرددها دون ترك أي انطباع محدد في قلبه مثل كلمات: الحرية، الإرادة، وغيرها. رغم هذا كان (سول) دائما ما يشعر بانتعاشة في روحه بعد أداء صلاته لأنها تذكره بالفردوس الذي ينتظره فتصبره على عمل الرعي المضني.

زاد من انتعاشة (سول) تذكره أن اليوم ليس يوما عاديا كباقي الأيام. إنه الأول من مايو عام ١٨٢ بعد الكارثة أي أنها الذكرى الثانية وثمانون بعد المائة للكارثة التي كادت تودي بحياة كل البشر إلى أن بعث الإله منقذه لينقذ من تبقى منهم من مصيرهم الأسود. منذ ذلك التاريخ وهو محرم على أي أحد الكلام عن كيف حدثت الكارثة أو عن تاريخ البشر قبلها حتى سقطت تلك الأحداث الملعونة من ذاكرة البشرية نهائيا. حتى اللغة.. فقد جمع المنقذ منظومة لغوية جديدة متوحدة من كل اللغات المختلفة التي كانت شائعة وقتها كي يوحد الناس جميعا. لم يبق سوى القليل من أيام ما قبل الكارثة مثل حساب الأيام والأشهر وأساميها وقياس المسافات والأوقات. الشيء الذي حرص المنقذ والكهنة ألا يسقط من ذاكرة البشر هو إدراك أن مصدر الشر الذي كاد يفتك بهم

كان البشر أنفسهم حين بعدوا عن طريق الإله وحسبوا أنهم أصبحوا بمعارفهم وعلومهم المشبعة بالشر أندادا له. كان معروفا أيضا أن العالم لم يكن عبارة عن قارة واحدة كما هو الحال الآن بل كان مقسما إلى قارات مختلفة ممتدة إلى الشرق والغرب ولكن شرور البشر دفعت بالمحيطات إلى ابتلاع كل هذا. بعد الكارثة دأب المنقذ ومن نجا معه على البناء من الصفر. بنوا مدنا جديدة بعيدة عن ما تبقى من المدن القديمة التي اعتبرت ملعونة للأبد. أول مدينة بنيت كانت المدينة التي يعيش بها (سول) الآن وسميت «مدينة الإله ١» ثم بنيت المدينة تلو الأخرى وكلهم يحملون نفس الاسم: (مدينة الإله) مع اختلاف الرقم طبقا لترتيب بناء كل مدينة.

بمناسبة الذكرى تجري احتفالية كبيرة بقيادة المنقذ نفسه. لا يعلم أحد عمر المنقذ كما أن لا أحد يعلم إن كان له اسم حقيقي ولكنه كان شابا أيام الكارثة أي أنه قد يكون متجاوزا القرنين من العمر. لا يبدو عليه بالطبع أثر كل تلك الأعوام بفضل الإله الذي يحفظه للبشر نورا وحارسا متحديا بذلك قوانين الطبيعة التي وضعها هو نفسه، فالمنقذ اليوم لا يبدو أكبر من رجل في الخمسين من عمره. الاحتفالية هذا العام تحديدا كانت غاية في الأهمية بالنسبة لـ(سول)، فالمنقذ يقود الاحتفالية كل عام من مدينة مختلفة وهذا العام وقع الاختيار على «مدينة الإله ١». كانت فرصة (سول) لرؤية المنقذ رأى العين لأول مرة في حياته، فهو قد رآه قبلا فقط عن طريق الشاشات أثناء احتفاليات سابقة ولكن لم يره أبدا بشخصه. المشكلة كانت تكمن في إمكانية إيجاد مكان في ساحة الاحتفالات، فالساحة الضخمة قد تستوعب التعداد الصغير لمدينة أخرى لا يتعدى

تعداد سكانها المئتي ألف أما «مدينة الإله ٢» فتعدادها قد يتجاوز الخمسمائة ألف مما لا يتيح لكل سكانها حضور هذه الاحتفاليات. الأولوية تعطى حسب أسبقية الحضور و(سول) لم يكن يريد أن يترك الصدفة تحدد مصير رؤيته للمنقذ للمرة ال أولى لذا كان يأمل أن يتمكن (آكي) صديقه من تدبير مكان له.

اتجه (سول) إلى الحمام استعدادا للذهاب لعمله، فالعمل لا ينقطع في أي يوم من الأيام حتى في يوم كهذا ولكنه لن يكون يوما كاملا من السابعة صباحا إلى السادسة مساء بل سيكون حتى الظهيرة ثم تأخذهم الحافلات إلى الاحتفالية.

ـ هل نمت جيدا؟

سمع (سول) سؤال أبيه وهو في طريقه إلى الحمام. نفس السؤال الذي يوجهه إليه أبوه كل صباح منذ أن انتقل للعيش معه مؤقتا. عدل وجهته مضطرا إلى غرفة المعيشة حيث يجلس أبوه. كانت غرفة المعيشة إلى جانب الحمام وغرفتى نوم، هي كل المنزل المكون من طابق واحد. لم يكن هناك مطبخ مستقل ولكن توجد مساحة ملحقة بغرفة المعيشة لإعداد الطعام وبها منضدة مرتفعة وكراسي. النافذة الوحيدة بالمنزل والتي تطل على حديقة صغيرة أمامية كانت مغلقة. الإضاءة كانت تأتي من الحوائط نفسها والتي إلى جانب وظيفة الإضاءة يمكن أن تتحول إلى شاشات كبيرة. لم يكن هناك تنوع في ألوان الأثاث الذي يضم أريكة وحيدة ومنضدة كبيرة منخفضة أمامها. اللون الأبيض كان الغالب على كل شيء، فقد كان هو لون الحوائط والأريكة ومنضدة الطعام وكراسيها. فقط لمحاولة كسر كل هذا الأبيض الذي أتعب عينيه بعد فترة، اختار (سول) منضدة معيشة

ذات لون أخضر فاتح.. كان لغلبة اللون الأبيض سبب، فهو لون النقاء والتقوي، كما أنه اللون الذي يرتديه المنقذ دائما مما يجعل ارتداءه تقربا من الإله.

وجد أباه جالسا فوق الأريكة الوحيدة يتأمل اللوحة الظاهرة على الحائط أمامه. كانت لوحة متحركة ترى المشاهد مراحل رسمها. فقد كانت تبدأ لوحة خالية ثم يرى المشاهد الخطوط والألوان تظهر الواحدة تلو الأخرى وكأنها ترسم في تلك اللحظة. الخطوط تبدأ برسم نصف دائرة أعلى اللوحة وعن طريق اللون الأصفر نرى أنها شمس وهي ترمز لنور الإله. يظهر تحته وجه رجل صبوح جميل ذي شعر فضي ناعم وابتسامة ملائكية هو بالطبع المنقذ. نتبع الخطوط وهي تمد ذراعيه ومنهما يخرج أناس بالحجم الصغير رامزين للعمال المختلفين حسب لون زي كل واحد منهم. نرى صاحب الزي الأزرق الذي يرمز لعمال المصانع، صاحب الزي الرمادي وهو البناء، الزي البني ويرمز للرعاة مثله، وغيرهم. كانوا يظهرون من ذراعي المنقذ الواحد تلو الآخر وكأنهم امتداد له. بعد أن تكتمل اللوحة كانت تختفي وتعاد كرة رسمها من جديد وبهذا كانت تجذبك بطريقة غريبة لمتابعتها. كانت اللوحة الوحيدة المسموح لأي أحد باقتنائها أو النظر إليها فقد أعدت باقي اللوحات من عناصر الشر التي قد ينذر انتشارها بحدوث كارثة أخرى.

ـ هل نمت جيدا؟

كرر أبوه السؤال فانتزعه من توهانه في خطوط اللوحة وأجاب:

ـ بحمد الإله.

كان أبو (سول) لغزا بالنسبة له، فهو لا يعرفه حقا. كان يدرك الشبه بينهما في الشكل، فكليهما نحيف، أسمر البشرة، طويل القامة، بارز الأنف، أسود الشعر والعينين. رغم اقتراب ملامح وجهيهما إلا أن وجه أبيه كان يحمل شيئا لم يره (سول) في وجهه هو عندما ينظر في المرآة.. القسوة. أرجع هذا بالطبع لطبيعة عمله قبل أن يتقاعد، فقد كان أبوه أحد أهم المطهرين قديما. كانت وظيفة المطهرين هي الدفاع عن أهل المدن الطائعين ضد الشر المحيط بهم، فعلى الرغم من جهود المنقذ العظيمة لإدخال كل البشر حظيرة الإله، إلا أن البعض كان قد سيطر عليه الشر وانتهى به إلى طريق اللاعودة. كان هؤلاء يعيشون كالوحوش في المناطق المهجورة بين المدن وبين الأطلال المحرمة للمدن القديمة ويحملون اسم «المنبوذين» لنبذهم من نعمة طاعة الإله ومنقذه. كانت التقارير المزعجة ترد دائما بأن المنبوذين يعدون العدة للهجوم على المدن ولكن المطهرين دائما لهم بالمرصاد ويتمكنون من إحباط جميع تلك المحاولات. على أنه وكفعل وقائي لتجنب المخاطر التي قد يسببها هؤلاء لأهل المدن، حرم خروج أي أحد من مدينته وكان التبادل الوحيد الذي يحدث بينهم هو تناقل بضائع معينة تنتجها مدينة بغزارة لسد حاجة مدينة أخرى وكان هذا يتم عن طريق قطارات بضائع سريعة تمر من تحت الأرض وتربط جميع المدن ولم تكن تلك القطارات تحتاج بشر لقيادتها. بهذا انعزلت المدن تماما عن بعضها فقد كان الوحيد الذي ينتقل عبرها هو المنقذ الذي لا يخشي أي خطر لحماية الإله الدائمة له. على الرغم من أن انعزال المدن لم يكن ذا أهمية بالنسبة لـ(سول) أو أي أحد في الحقيقة إلا أنه كان يكره المنبوذين. لم يفهم كيف يمكن لبشر أن يتجاهل الإله العظيم والمنقذ الذي أنقذه من الكارثة ويختار الشر بإرادته. لعدم فهمه هذا كان يكرههم

ويتمنى أن يقضي المنقذ والمطهرون عليهم نهائيا كي ينتهي الشر أخيرا من عالم الإله المثالي.

ـ ألا زلت عند رأيك ألا تأتي إلى الاحتفالية؟

لم يرد فأدرك (سول) أن هذه هي إشارة نهاية الحوار. كان يتساءل في نفسه دائما عما إذا كان عمل أبيه هو ما جعله كتوما هكذا أم أن هذا حدث بعد وفاة أم (سول). لم يعرفها هي الأخرى فقد ماتت وهو مازال في العاشرة. لا يتذكر حتى ماذا كان شكلها. ساهم في نسيانه هذا أن الصور كانت محرمة في عالم ما بعد الكارثة لما قد تجلبه من تعلق بشيء غير الإله ومنقذه. بعد موتها ولظروف عمل والده، انتقل (سول) للعيش في منزل رعاية حتى بلغ الثامنة عشر، سن العمل والاستقلال بالحياة. أثناء تلك الفترة لم ير والده إلا في حدود ضيقة جدا فحتى بعد عودة (سول) إلى المنزل، كان أبوه يبيت معظم الليالى مع المطهرين زملائه في المعبد الأكبر. كان فخورا به وبعمله خاصة عندما يتحدث الآخرون عنه وعن بطولاته في مقاتلة المنبوذين:

ـ أنت ابن (رانو) البطل..

لطالما أسعده هذا حتى وإن كان لا يعرف أي شيء عن الرجل الذي يقف خلف تلك البطولات. بلغ أبوه سن التقاعد، سن الخمسين منذ عام ومثل كل المتقاعدين ذهب ليعيش في أحد «بيوت الانتظار». كانت تلك البيوت مجهزة بكل الخدمات من نظافة وطعام ولا يقوم قاطنوها بأي عمل. تلك هي مكافأتهم على سنين عملهم الطويلة وكان كل ما عليهم فعله هو انتظار موعد قبض أرواحهم حتى ينعموا بمكانهم جوار

الإله، لذلك سميت بيوت الانتظار. كان (سول) يتطلع بفارغ الصبر لبلوغ تلك المرحلة المريحة من حياته.

سبب انتقال والده للعيش معه مرة أخرى بعد انتقاله إلى بيت الانتظار كان حريقا مفاجئا في البيت الذي كان يقيم فيه. كان هذا الحادث غريبا إذ أن وسائل الحماية ضد الحريق في كل مباني المدن كانت متقدمة وسريعة للغاية فالمنقذ نفسه هو من صممها. أرجع (سول) الحادث إلى سوء حظه فنتيجة لازدحام بيوت الانتظار، تقرر أن يعود كل قاطني البيت المتضرر مؤقتا إلى منازلهم الأصلية لحين إصلاحه فأصبح عليه أن يتحمل ذلك الرجل الغريب عنه الكتوم كالقبر. لم تكن لديه مشاعر حميمة تجاه أبيه. قد يكون أحد أسباب هذا هو بعد أبيه الدائم ولكن السبب الأهم كان تشبع (سول) بتعاليم المنقذ والكهنة الحاضة على توجيه مشاعر الحب إلى الإله وحده والبعد عن شر المشاعر الحميمة تجاه أي بشري آخر، حتى الآباء.

غادر (سول) أباه الذي أكمل نشاطه في التحديق في اللوحة. لا يدر (سول) ماذا يفعل أبوه غير ذلك طوال اليوم أثناء غيابه، فلا يوجد أي وسائل ترفيهية في عالم ما بعد الكارثة والتي قد تشغل عن العمل. لا تحمل الشاشات إلا دروس الكهنة في كيفية طاعة الإله أو برامج خاصة بإسداء نصائح في الأداء الأمثل للعمل. أخذ حمامه الطويل الذي لا يجد وقتا كافيا للإفطار بعده ووضع رداءه المصنوع من «نسيج الإله» الذي يضبط حرارة الجسم ويكيفها طبقا لحرارة الجو والذي كان أبيض اللون بطبيعة الحال ثم غادر المنزل.

٢

استقبلت (سول) لفحة حارة محملة بالرطوبة لحظة مغادرته المنزل. حاولت عيناه التأقلم على ضوء الشمس القوي والذي زاد من قوته انعكاسه عن المنازل الغارقة في البياض. اتجه يمينا عبر المنازل المتطابقة تجاه المعبد الصغير الذي يتوسط المنطقة. كانت كل المناطق السكنية عبارة عن دوائر يتوسط كل دائرة معبد تتفرع منه الشوارع التي ينتهي كل واحد منهم عند حدود الدائرة. مشى مدة العشر دقائق المعتادة حتى وصل للمعبد حيث مكان الالتقاء لركوب الحافلات. كان المعبد أكبر من حجم المنزل حوالى أربع مرات يحتوي نوافذ عديدة ضيقة وكان يتكون من طابقين، الطابق السفلي حيث يجتمع سكان تلك المنطقة كل يوم سبت بعد العودة من العمل للاستماع إلى نصائح الكاهن، أما الطابق العلوي فقد كان سكنا للكهنة والمطهرين. وجود المطهرين بكل منطقة كان ضروريا لحفظ الأمن في تلك المنطقة وضبط أي منبوذ متسلل على الرغم من ندرة حدوث هذا إذ كان معروفا أن أحد المنبوذين قد يتمكن من التسلل إلى المدينة بغرض السرقة أو أي غرض دنيء آخر. واجهة

المعبد كانت تحمل نسخة مكبرة من لوحة المنقذ الذي يخرج من ذراعيه العمال ولكن هذه كانت ثابتة.

وجد حشدا من سكان منطقته يصطفون لركوب الحافلات الكبيرة المنتظرة. ركب حافلة الرعاة والتي ستقلهم إلى الحقول على أطراف المدينة. بدأت الحافلة في السير مستعينة بالطبع بمصدر الطاقة الرئيسي في عالم ما بعد الكارثة وهو طاقة الإله، تلك الطاقة التي أهداها الإله إلى منقذه ومن معه بعد الكارثة والتي ساعدتهم في بناء العالم الجديد وهي طاقة إلهية صافية نظيفة بلا ملوثات كمصادر الطاقة القديمة التي لوثتها شرور القدماء.

أثناء سير الحافلة لاحظ (سول) النشاط غير العادي لعمال النظافة العاكفين على تنظيف شوارع نظيفة بالأساس استعدادا لاستقبال المنقذ. لم يبد هذا مفيدا في نظره إذ أنه لا يتوقع أن يسير المنقذ بتلك الشوارع، فهو عندما يقيم بمدينة من المدن يمكث بالمعبد الأكبر وسط كل مدينة ونادرا ما يرى خارجه. متذكرا المعبد الأكبر، رفع عينيه متطلعا من النافذة ليلقي نظرة على المبنى المهيب. كان أطول مبنى بالمدينة إذ يبلغ طوله حوالي خمسين طابقا. كان طوله بالنسبة لأطوال كل المنازل يجعله مرئيا من معظم مناطق المدينة بشكله المخروطي حيث أوسع طوابقه هو الأرضي ثم الذي يعلوه أضيق وهكذا حتى يصل إلى القمة حيث يقطن المنقذ. كان أيضا المبنى الوحيد الذي لم يكن لونه أبيضا، فقد كان رمادي اللون. لم يكن هكذا عند بنائه ولكنه أثر الزمن وعوامل الجو. كان من الممكن أن يدهن من جديد مثل معابد باقي المدن ولكن نظرا لأهمية هذا المبنى التاريخية كونه أول مبنى يبنى في العالم الجديد فقد قرر المنقذ إبقاءه كما هو دون تجديد.

إلى كابوسه من جديد. بعيدا عن انفعالات ما بعد الكابوس مباشرة، أخذ (سول) يفكر في تفاصيل كابوسه وما يمكن أن يعنيه بذهن أكثر صفاء. كيف أدرك أنه يحلم وأنه تحت تأثير جهاز الأحلام؟.. ما سر نظرة (نول) المرعبة؟.. ثم من كانت صاحبة الصوت والرسالة: ابحث عني؟.. تردد النداء من جديد في رأسه ولكن متخطيا ذعره الأول، أدرك (سول) أن ذلك الصوت الأنثوي كان مألوفا نوعا ما. حاول عصر ذهنه لتذكر ما إذا كان يعرف صاحبة النداء دون جدوي. بعد فترة بدت فكرة محاولة معرفة صاحبة الصوت سخيفة فقد تكون إحدى النساء اللاتي يقابلهن بشكل عابر في العمل أو في المعبد في أحد أيام التجمع هناك وعطل جهاز الأحلام هو الذي أدى إلى أن يسمع نفس الصوت في حلمه. إذن من الجائز جدا ألا يكون كل هذا ذا أي معنى متجاوز كونه عطلا بسيطا. هنا تذكر أنه لم يجلب الجهاز معه. لام نفسه على سهوه فهو لن يجد فرصة أخرى كي يذهب به إلى المصلحين الليلة بسبب الاحتفالية التي سيكون الكل مشغولا بها. لم يدر ماذا سيفعل، فقانون المنقذ يفرض على الجميع ارتداء أجهزة الأحلام كل ليلة والتي تسجل دخول كل مستخدم. معنى هذا أنه إن لم يرتده، سيدرك المطهرون ذلك وسوف يأتون للتحقيق معه. أوجس خيفة من الفكرة فهو يسمع عن قسوة المطهرين في التحقيق. انتزعه من الخوض في هذه الفكرة وصول الحافلة إلى حقول الرعاة.

* * *

تقع الحقول في أقصى أطراف المدينة الشمالية التي تحدها أشجار كثيفة. هبط الرعاة ومعهم (سول) وعلى خلاف عادتهم الصامتة الكئيبة عند

وصولهم إلى الحقول، بدا الحماس على الوجوه هذا اليوم. أعزي (سول) ذلك بالطبع إلى الاحتفالية التي قصرت يوم عملهم. اتجهوا إلى الحظائر المختلفة كل حسب دوريته، وكان يوم (سول) سيقضيه مع الخراف. لم يضايقه هذا فقد كان يفضل العمل مع الخراف على العمل مع الماشية كبيرة الحجم صعبة التناول أو الدواجن ذات الاحتياجات الخاصة أو الخنازير كريهة الرائحة. بالمقارنة، الخراف هم أكثر الحيوانات طواعية، فيكفي أن تجر أحدهم باتجاه معين ليتبعه الآخرون وإن كان إلى السلخانات.

خلع رداءه الأبيض وارتدى زي عمله البني اللون ثم بدأ يباشر أعماله التي تعلمها منذ كان بمدرسة الرعاة. لم يكن دخول (سول) مدرسة الرعاة باختياره بل كان اختيار الإله، فالأطفال يدخلون المدارس بسن الخامسة ليقوم الكهنة بتعليمهم مواد بسيطة للغاية لا تحوي أكثر من تعاليم الإله والمنقذ في كيفية العيش للإله فقط ونبذ كل الشرور التي منها الرغبات البشرية الأنانية كحب الآخر من دون الإله والسؤال فيما لا ينبغي السؤال فيه. هذا بالاضافة إلى نبذة عن تاريخ ما بعد الكارثة وأهم إنجازات المنقذ. عند بلوغ سن الثانية عشر، يختار لهم الإله المدرسة المناسبة فتبدأ مرحلة مكثفة من التجهيز لأداء عمل وحيد.

كان التخلي عن حرية الاختيار الشخصي وترك الاختيار في كل شيء للإله ومنقذه هما أنسب وسيلتين لتفادي السقوط في بئر الشرور التي سقط فيها السابقون. لهذا يختار الإله مدرسة وعمل كل العبيد الطائعين لما فيه خيرهم كما يختار أيضا شريك الحياة المناسب لكل شخص وحتى أساميهم. كانت الأسامي تختار منذ الولادة ببساطة عن طريق وضع أحرف عشوائية بجانب بعضها مزودة بحروف مد مناسبة لجعلها

منطوقة وكانت تبدأ من الأسامي المكونة من ثلاثة أحرف حتى إذا انتهت كل الاحتمالات، انتقلوا إلى الأسامي ذات الأربعة أحرف. عند موت أحدهم، كان اسمه يعاد تدويره ليعطي لأول مولود يأتي بعد موت صاحب الاسم وهكذا. لذا لم يكن اسم (سول) أو اسم (نول) أو أي اسم آخر له معنى خاص خلاف أنه اختيار الإله المبارك.

أطلق (سول) وزملاؤه الخراف إلى الحقول لتناول الحشائش وراقب أمهات الخراف وهن يصطحبن صغارهن الذين أتوا للتو إلى العالم. كان من حكمة الإله أن دورة حمل الخراف تأتي بالصغار في فصل الربيع حيث الطعام متوفر فضلا عن قسوة الشتاء وندرة طعامه. شارك (سول) الرعاة في حجز بعض الخراف بالحظيرة حتى يعطوهم الأدوية والتطعيمات اللازمة الواقية من البكتيريا والديدان ولمعرفة من منهم بحاجة إلى الدواء، كانوا يستخدمون جهازا ماسحا يمسح الخروف ويظهر كل معلوماته على شاشته. لم يكن (سول) أو أي من الرعاة الآخرين يعلمون كنه هذه الأدوية ومم صنعت أو كيفية عملها فقد كان هذا من علم المنقذ وحده. هم فقط يتعلمون في مدارس الرعاة كيفية وتوقيت إعطائها للحيوانات. مثال حال ذلك البناء الذي يتعلم كيف يستخدم مواد البناء ولا يدري مم صنعت، وعامل المنجم الذي يتعلم تمييز المعادن ولا يدري فيم تستخدم، أي أن كل عامل كان يمتلك جزءا صغيرا من المعرفة والكافي ليؤدي عمله بكفاءة تامة، أما العلم الكلي فكان ملكا للمنقذ فقط. السبب في ذلك أن المنقذ كان هو الوحيد الذي يعلم كيف يقوض شرور تلك المعرفة لذا فقد حمل على عاتقه هذا الحمل الثقيل كي لا يضطر أحد آخر أن يحمله فيهلك ويضيع كما ضاع السابقون.

بدأ (سول) المرحلة الشاقة من يومه وهي جز الصوف. لم يكن الصوف يستخدم كثيرا تلك الأيام لصنع الملابس فنسيج الإله كان قد أغنى عنه ولكن جزه كان ضروريا لوقاية الخراف من الأمراض الناتجة عن غزو الحشرات للصوف الكثيف، خاصة وقت الربيع الذي تبدأ فيه الحرارة بالارتفاع. كان يتم حقن الخراف بمادة عجيبة من اكتشاف المنقذ بالطبع تفصل الصوف عن الجلد مما يجعل عملية إزالة الصوف نفسها بعد أسبوع من الحقن عملية سهلة للغاية. الصعوبة كانت تكمن في أن الخروف على الرغم من سهولة قيادته، إلا أنه يثور إذا تم فصله عن باقي القطيع.. هذه الصفة التي طالما أدهشت (سول).

بينما هو يجاهد للإبقاء على الخروف في مكانه، إذا به يشعر بضربة قوية على كتفه يصاحبها صوت جهوري:

ـ أما آن الأوان كي تعترف بخطاياك؟

تعرف (سول) على الصوت في الحال فأفلت الخروف الذي انطلق عائدا إلى قطيعه والأمان، ثم استدار مبتسما:

ـ من تظن نفسك؟.. المنقذ؟..

ضحك (آكي) بصوت مجلجل:

ـ أتظن أن المنقذ قد يعبأ بك أو يدرك وجودك حتي؟

كعادته، قاوم (سول) رغبته في معانقة صديقه فارع الطول، قوي البنية، عريض الفك، ذي الوجه المستدير الصغير الذي لا يتناسب أبدا مع حجم جسمه، فالمعانقة أحد مظاهر إبداء الحب تجاه شخص ما وهذا مكروه. خشي إن رآهما أحد أن يبلغ الكهنة. لم يكن سيواجه عقابا قاسيا

لتلك الزلة ولكنه كان سيضطر أن يحضر دروسا خاصة كل يوم بعد العمل في كيفية التغلب على هذا الشر وهذا بالتأكيد شيء لا يريده. مع ذلك كان (سول) يدرك تماما أنه يحب صديقه الوحيد وأن صديقه يبادله هذا الحب، فمعرفتهما ببعض جاءت منذ زمن بعيد لم تكن تعاليم الكهنة قد غرزت فيهما بعد.

بعد تبادل التحية المداعبة كعادتهما، لمح (آكي) اللهفة المتوترة في عيني (سول) وأدرك ما تعنيه فقال متصنعا الغضب:

ـ بحق الإله.. ألم أقل لك أني سأدبر لك مكانا في ساحة الاحتفال.. لم إذن يبدو على وجهك كل هذا التوتر؟

تهللت أسارير (سول):

ـ أحقا فعلتها؟

انتبه أن صوته كان مرتفعا فخفضه معيدا تساؤله:

ـ هل حجزت لي مكانا فعلا؟

ـ أتشك في قدراتي؟

كان سؤالا منطقيا.. فكيف يشك (سول) في قدرات صديقه وهو أحد المطهرين؟ كان المطهرون وحدهم القادرين على كسر بعض القواعد البسيطة مثل حجز مكان في ساحة الاحتفالات، أو زيارة أحد في موقع عمله أثناء ساعات العمل والعديد من الأمثلة الأخرى. لم يكن هناك قانون واضح يسمح بتجاوزات المطهرين البسيطة هذه إلا أن المنقذ لم يبد اعتراضا فاعتبر الناس أن هذا حق مكفول لهم مقابل تضحياتهم الغالية من أجل المدن.

لطالما أغبط (سول) صديقه لكونه من القلائل الذين اختيروا للالتحاق بالمطهرين بعد الانتهاء من الدراسة الكهنوتية الأولية. المطهرون كانوا الوحيدين الذين لا يختارون عشوائيا بل بعد دراسة وتمحيص المطهرين القدامى للمرشحين. في حقيقة الأمر اندهش (سول) عندما اختير صديقه، فعلى الرغم من قوته الجسمانية البادية منذ الصغر والتي كانت صفة مهمة في المطهر إلا أنه كان دائما مندفعا ولا يفكر كثيرا قبل الفعل. لم يدرك لم قد يختارونه وهم بالتأكيد على علم بهذه الصفات لمثل هذا العمل الخطير.

ـ طبعا شككت في قدراتك.. أم هل ظننت أنك المنقذ بحق بحيث أثق بك ثقة عمياء؟

ـ المنقذ نفسه لم يكن يستطيع توفير ذلك المكان. هل تدرك صعوبة إيجاد مكان خلف أماكن المطهرين مباشرة؟

لم يصدق (سول) ما قاله (آكي). فذلك الموقع يجعله أقرب ما يكون من الحلبة حيث تقام المراسم بعد الكهنة والمطهرين. فرحته غلبت عليه فلم يجد كلمات مناسبة ولكنه في تلك اللحظة نسي حرصه السابق فأقبل على صديقه ليعانقه. ضحك (آكي) وضم صديقه هو الآخر.

استدرك (سول) الموقف أخيرا فابتعد فجأة داعيا ألا يكون أحد قد رآهم. دروس الكهنة الخاصة قد تصبح كابوسا حقيقيا. عند هذا الخاطر فكر (سول) فيما إذا كان يجب أن يقص كابوس الليلة الماضية على صديقه. تمعن فيه لسبب ما لم قرر ألا يفعل.

ـ هل سيأتي أبوك؟

بدت خيبة الأمل واضحة على وجه (آكي) الذي كان يتطلع لمقابلة البطل الذي سمع عنه طيلة فترة تدريبه وعمله. مغيرا الموضوع سأله (سول):

ـ إذن نذهب سويا إلى الاحتفالية!

ـ لا يمكن.. على أن أتجه إلى الساحة مبكرا للاستعداد.

للمرة الأولى لاحظ (سول) أن (آكي) يرتدي الزي الرسمي الكامل للمطهرين، زي الاحتفالات. كان الزي أسود اللون، ضيق عند الأرجل ذو أكمام واسعة قصيرة ومزود بقلنسوة أنزلها (آكي) لتستقر خلف ظهره. تدلت عصا سوداء قصيرة من الحزام السميك الملفوف حول وسطه والذي يحمل جيوبا كثيرة. العصا هي سلاح المطهرين الصاعق. تذكر المرة الأولى التي أراه فيها (آكي) سلاحه الجديد. كان قد استلمه للتو فحمله وأخذ يداعبه متفاخرا حتى انطلقت منه نبضة زرقاء براقة أصابت قدم (آكي) نفسه. لحسن حظه كانت طاقة السلاح في الوضع الصاعق فقط وليس القاتل ولكن رغم هذا ظل (آكي) ثلاثة أيام لا يستطيع تحريك رجله ثم أسبوعا آخر يعرج قليلا. وصف لـ(سول) ألمه بشعوره أن كل أعصاب قدمه تتفجر. بالطبع تسبب هذا الموقف في حرج بالغ له مع قادته ولكن هذا لم يمنع (سول) من الضحك الهستيري كلما تذكر الموقف.

ـ ما أخبار العروس؟

سأل (آكي) فلم يدر (سول) بم يجيب. فقط هز كتفيه أن: لا أعلم.

ـ لم أفهم.. ألم تجلس معها مرة ثانية؟

أومأ (سول) برأسه نفيا.

ـ ولم لا؟ أليست هذه نصائح مكتب تنسيق الزيجات؟

ـ بلى ولكن المسألة ليست بتلك البساطة.

كان يدرك أن (آكي) لن يفهمه. (سول) كان واثقا في اختيار الإله ولكنه لم يدر ما أهمية التواصل مع زوجته المستقبلية قبل الزواج، خاصة أنهما لا يملكان الحد الأدنى من معرفة بعضهما البعض للدخول في حوار ما. نعم يدرك أن هذه المعرفة لن تأتي إلا عندما يتحدثان فعليا ولكنه فقط لم يرها خطوة سهلة بطبيعته التي هي طبيعة الجميع في العالم الجديد والتي لا تميل للارتباطات الاجتماعية. كلاهما يعلم يقينا أنه اختيار الإله وكان هذا كافيا بالنسبة له. لم يصر إذن مكتب التنسيق على هذه الشكليات التافهة؟

ـ هي مزارعة.. أليس كذلك؟

ـ بلي.

ـ إذن فلديك فرصة ذهبية. ألا يعمل المزارعون في تلك الحقول هناك؟

أشار إلى الحقول الخضراء الفسيحة البعيدة إلى الشرق والمقسمة إلى أقسام تبدو بديعة بألوانها المختلفة طبقا للمحاصيل المزروعة.

ـ بلي..

ـ والرعاة والمزارعون يتناولون طعام الغداء في نفس القاعة الكبيرة!!

ـ بلى..

عاجل (آكي) (سول) بضربة مفاجئة في صدره هذه المرة:

ـ هل أنا بحاجة للتوضيح أكثر؟

ـ ...

ضحك (آكي) ضحكته المجلجلة عندما لم يرد (سول):

ـ إن حالتك ميئوس منها.. المهم، سوف أغادر الآن إلى الساحة.

اتجه إلى مدخل الحظيرة وقبل أن يسأله (سول)، التفت (آكي) مبتسما في خبث:

ـ لا تقلق. لقد رتبت كل شيء، الساعة الثانية سوف أقابلك عند الجانب الشرقي لمدخل الساحة الرئيسي كي أصطحبك إلى مكانك.

بدا الارتياح على ملامح (سول) وودع صديقه على وعد باللقاء. انطلقت الأجراس معلنة أنها الساعة الثانية عشر ظهرا موعد الغداء. أخذ (سول) نفسا عميقا واتجه إلى القاعة مقلبا نصيحة (آكي) في رأسه.

* * *

وقف خلف زملائه في طوابير الرعاة الذين اختلط بهم المزارعون انتظارا لاستلام حصة الطعام. لم يكونوا بحاجة إلى النقود لشراء الطعام فكل شخص يقدم له طعام الغداء أثناء العمل أما غير ذلك من طعام الإفطار أو العشاء فهو يسلم إلى كل ساكن بالمدن في شكل حصص أسبوعية. في الحقيقة هم لا يحتاجون النقود على الإطلاق فجميع الخدمات من ركوب الحافلات أو العلاج وقت المرض تقدم مقابل

العمل الذي يقومون به. أما الطاقة التي يستخدمونها في بيوتهم فهي منحة خالصة من الإله.

وصل إلى الفتحة الموصدة في الحائط والتي تعلوها كاميرا صغيرة. ثبت في موقعه لحظات كي تمسحه الكاميرا ثم فتح باب الفتحة تحتها. تناول (سول) الوجبة الساخنة التي تحتوي على قطعتي دجاج وخضراوات. كان يفضل الدجاج على اللحوم الأخرى منذ أن بدأ عمله كراع. السبب في ذلك أنه رغما عنه، كانت تتولد علاقة ما مع الحيوانات الأكبر التي يرعاها فأصبح يرتاع لفكرة أن اللحم الذي يأكله ربما كان أحد هذه الحيوانات التي راعاها بنفسه. لذا في البداية لم يأكل لحما بتاتا ولكنه لم يستطع الاستمرار في هذا إذ أنهم لا يختارون نوع الأكل الذي يأكلونه في العالم الجديد، فكان عليه الاختيار بين الجوع في بعض الأيام أو الضغط على نفسه. لسبب ما كانت تلك العلاقة صعبة الحدوث مع الدواجن لذا كان يفضل أكلها. اتجه (سول) إلى حيث يجلس عادة وسط الرعاة إلا أنه تردد لحظة ثم ما لبث أن عدل اتجاهه إلى حيث يجلس المزارعون.

وجدها جالسة بين زملائها بشعرها الذهبي المعقود خلف رأسها على خلاف ما كان في الكابوس حيث كان منسابا فوق كتفيها. تلاقت عيناهما فتفجر لون وردي في وجهها. عادت تنظر إلى طعامها متظاهرة بالانهماك في الأكل دون أن تنبس بكلمة. تردد مرة أخرى ثم حسم أمره وجلس مواجها لها. لبضع لحظات مرت وكأنها ساعات تظاهر هو الآخر بالانهماك في تقليب طعامه. كان يسمع الحوارات الجانبية المتحمسة للاحتفالية:

ـ لا أصدق أني سأرى المنقذ اليوم.

ـ لا أدري ولكن معجزات المنقذ في تلك الاحتفاليات دائما ما تتجاوز معجزات العام السابق.

ـ حماه الإله دائما وأيده بمعجزاته.

مستوحيا إلهامه من هذا الحوار، قرر (سول) أن يقطع صمته موجها حديثه إلى (نول):

ـ الاحتفالية الليلة..

كان هذا أفضل ما تفتق عنه ذهنه.

ـ نعم..

قالتها دون أن ترفع عينيها وبصوت مسموع بالكاد. كانت تحاول أن تبدو طبيعية وغير مكترثة إلا أن حمرة وجهها كانت فاضحة. عاد الصمت يخيم من جديد. تمعن في وجهها مستعيدا كيف كانت في الكابوس. كانت هي بكل ملامحها ولكنه أدرك أخيرا أن الشيء الذي رآه مختلفا بشأنها في الكابوس هو أنها كانت مبتسمة. فـ(نول) التي تجلس أمامه الآن لا تبتسم. لم يجد (سول) ما يفعله غير أن يبدأ في تناول طعامه بالفعل فلم يكن هناك سبب وجيه كي يستمر جوعه أكثر من هذا. «ماذا كنت تتوقع؟» دار السؤال في عقله. هي الأخرى سمعت نصائح مكتب التنسيق بالتواصل إلا أنها مثله لم تحاول أن تبادر بالحوار قبل اليوم.

ـ كيف كان العمل اليوم؟

مرة أخرى دون أن تنظر إليه أو توقف انهماكها المصطنع سألته، حتى

أن لوهلة التفت (نتول) خوله كي يتأكد أنه لم يكن أخذ آخر هو من وجه إليه السؤال.

ـ جيد ولكن أفلت مني خروف عنيد كنت سأجز صوفه.

قالها بتلقائية تامة ولكن فاجأته (نول) بضحكة حاولت كتمانها فأدى هذا إلى أن تدخل في نوبة سعال حادة. لم يدر كيف يمكن أن يزداد وجهها احمرارا ولكنه حدث بالفعل وهي تحاول أن تسترد هدوءها. ابتسم ولاحظ ابتسامتها هي الأخرى والتي يراها للمرة الأولى. صاحب ابتسامتها تساؤلا لم يسأله (سول) لنفسه من قبل، فلأول مرة منذ بدأ الإعداد لمشروع زواجه من (نول) تساءل عن كيف ستكون حياتهما معا. في تلك اللحظة الخاطفة لم تبد له نفس الحياة الجافة التي تصورها واستعد لها بل بدت كحياة يمكن التطلع إليها في حد ذاتها حتى لو لم تكن أداء لواجب الإله. لم يرتح أن وصل تفكيره تلك المرحلة فحاول أن ينفض عنه هذه الأفكار الشريرة مستعينا بالإله. عاد لتناول طعامه في هدوء دون أن يتبادل كلمة أخرى مع (نول) التي حاولت تجاهله هي الأخرى.

انتهت وجبة الغداء فعاد كل منهما إلى مكان عمله ولكن بدلا من الاتجاه إلى الحقول، اتجه الجميع إلى الحمامات كي يستعدوا للذهاب إلى الاحتفالية. أخذ (سول) حماما سريعا هذه المرة وارتدى زيه الأبيض وخرج مع الآخرين إلى حيث الحافلات التي ستصحبهم إلى الاحتفالية وسط جو عام من البهجة الغير عادية.

٣

كان الزحام شديدا عند مدخل الساحة الرئيسي والأكبر بين المداخل الأربعة. رغم الزحام كان دخول الناس منظما من قبل المطهرين الذين كانوا يجولون بزيهم الأسود ذهابا وإيابا على طول صفوف الداخلين. كان الداخل من المدخل الرئيسي الجنوبي يرى بوضوح المعبد الأكبر الضخم الذي يلتصق أحد جوانبه بالساحة بين المدخلين الرئيسي والشرقي. وجد (سول) (آكي) منتظرا عند مدخل الساحة كما وعد:

ـ هلم سريعا.

قالها (آكي) وهو يجر (سول) مشيرا بيده إلى زميله المطهر الذي ينظم الدخول فأومأ له هذا الأخير وأفسح لهما الطريق. حاول (سول) اللحاق بخطوات (آكي) السريعة إلى داخل الساحة ملاحظا باندهاش أكوام الحجارة ذات الأحجام المتفارقة بين الضخامة والصغر والمتكتلة بأماكن محددة خارج حدود الساحة. أراد أن يسأل عن سر وجود تلك الحجارة ولكن (آكي) المتعجل لم يعطه وقتا للتساؤل. أصبحا داخل الساحة وككل مرة يراها (سول) من الداخل، لم يستطع حبس انبهاره، فقد كانت الساحة ضخمة بحق تبلغ مساحتها حوالى ثلاث مرات مساحة

تلك المدرجات يتم تجديدها بالكامل كل عام بين الاحتفاليات السنوية حتى لو لم يتم الاحتفال بقيادة المنقذ شخصيا، فقد كانت الاحتفالية إذا أقيمت بمدينة أخرى، تنقل عن طريق الكاميرات الهولوجرامية إلى باقي المدن مباشرة وكأنها تحدث في ساحاتهم جميعا في نفس الوقت. حضر (سول) بالطبع جميع الاحتفاليات التي نقلت بهذا الشكل منذ أن كان طفلا ولكنه كان يشعر دائما أن هناك شيئا ما ناقصا وينتظر اليوم الذي يرى فيه الاحتفالية والمنقذ دون وساطة.. يوما مثل هذا اليوم.

تبع (سول) صديقه صاعدا السلالم على الجانب الأيمن إلى حيث أجلسه مباشرة خلف مدرجات المطهرين التي مازالت خالية ثم قال:

ـ الآن أتركك لألحق بزملائي.

ـ ألن نجلس سويا؟

ـ هاهاها.. ماذا هناك؟ أتخشى الجلوس وحدك؟

دون أن ينتظر منه رد تابع (آكي):

ـ ليتني أستطيع، ولكن مع الأسف أنا ضمن الفريق المكلف بتأمين الساحة.

ـ تساءل (سول) مندهشا:

ـ تأمين الساحة!!.. من ماذا؟

ـ أنسيت أن المنقذ موجود اليوم هنا بنفسه وأن قوى الشر تتربص به.

لمح القلق على وجه (سول) فطمأنه مبتسما:

لأنهم يعلمون أن في هذا انتحارهم، فنحن جاهزون وقادرون على التصدي لأي خطر كان، إنما هذه مجرد إجراءات وقائية يتم اتباعها في مثل هذه الأحداث الهامة.

قالها ثم غادره كي يواصل عمله. تابع (سول) الجماهير وهي تملأ مدرجات الساحة ببطء، وعند قرابة الساعة الرابعة كانت المدرجات ممتلئة تماما بالبشر. في وسط الساحة إلى الأسفل كانت هناك حلبة ترابية كبيرة يحدها أربع فتحات مظلمة موجودة في كل جانب من الجوانب الأربعة. انطلقت الكاميرات المستديرة الطافية في الهواء والتي تنقل الصورة الهولوجرامية للاحتفالية إلى الساحات في باقي المدن. تطلب الأمر ساعة أخرى كي يستقر الناس في أماكنهم وتم توزيع عصائر باردة في محاولة لتلطيف الجو الحار.. ثم بدأت الموسيقي..

كان هذا من أهم أحداث الاحتفاليات والتي دائما ما ينتظرها (سول)، إلى جانب معجزات المنقذ بالطبع، فالاحتفالية هي المناسبة الوحيدة التي يتم فيها عزف الموسيقي لتعهد الإله أن يقي العبيد من شرها بنفسه في هذه المناسبة الخاصة. كانت النغمات القادمة من آلات لا يعلمها إلا الإله كالنسيم الذي يداعب القلب فينسيه حرارة الجو بل العالم كله. كما توقع (سول)، بدأ دخول المطهرين على تلك النغمات الساحرة والتي تحولت تدريجيا من الرقة إلى شيء من الرزانة إذا كان يمكن إطلاق هذا الوصف على الأصوات. انتشر الفوج الأسود من المدخل القادم من حيث يلتصق المعبد بالساحة متجها يسارا إلى حيث يجلس (سول). ملأوا المدرجات الخاصة بهم تدريجيا في نظام متناه مبهر. صفوف المطهرين كانت تضم

الرجال والنساء ففي عالم ما بعد الكارثة لا توجد التفرقة البغيضة بين الجنسين في أي عمل والتي يعلم (سول) أنها كانت موجودة قديما طبقا لدروس الكهنة.

بعد المطهرين، جاء دور الكهنة المسنين والذين يضمون أيضا الرجال والنساء. مرة أخرى تدرجت الموسيقى بفعل عصا سحرية إلى نغمات تحمل حكمة السنين. انتشار هؤلاء كان بطيئا كما هو متوقع ومليئا بالتخبطات اللا إرادية أي أنه على النقيض تماما من دخول المطهرين. أثناء جلوس الكهنة بطيء، أضيئت الكشافات القوية لتعوض الظلام الذي بدأ يزحف مع تواري الشمس الغاربة.

عند جلوس آخر الكهنة، توقفت الموسيقى فجأة ثم خرج من إحدى فتحات الحلبة عشرون شخص تقريبا. كان بينهم الرجل والمرأة والعجوز والطفل، ثيابهم ممزقة متسخة ويسيرون كما لو كانوا تائهين. علم (سول) على الفور أن هذا هو المشهد التمثيلي المعتاد في الاحتفاليات، فهؤلاء يمثلون البشر السابقين قبل الكارثة. هنا هدر صوت رهيب قوي في أرجاء المكان:

ـ هذا كان حال البشر قبل الكارثة..

الرهبة هي الكلمة المناسبة لوصف حالة الجماهير الغفيرة والتي يسمع معظمها صوت المنقذ مباشرة لأول مرة. هذه الرهبة هي التي أدت إلى الصمت التام بدلا من أن يكون رد فعلهم التهليل الفرح. تابع الصوت المزلزل:

ـ كانوا تائهين أعمتهم الشرور التي انغمسوا فيها..

هنا بدأ (سول) يشعر بهزة خفيفة. نظرة واحدة إلى التوتر الضامت البادي على الوجوه من حوله جعلته يدرك أنهم يشعرون بتلك الهزة مثله.

ـ الشرور التي أنستهم حب الإله..

أصبحت الهزة هزات متتابعة مصحوبة بتحول نظرات التوتر إلى نظرات خوف. فكر (سول) أن هذا قد يكون جزءا من العرض غير أنه لاحظ نفس النظرات بادية على وجوه الممثلين في الحلبة مما دفعه للظن أن ما يحدث غير متفق عليه مسبقا.

ـ لم يدركوا أنهم بنسيانهم حب الإله، يعطون مجالا أكبر لتلك الشرور كي تدمرهم..

تابع الصوت الذي لم تتغير نبرته القوية. الهزات بلغت من القوة أن انقلبت زلزالا. سقطت أكواب العصير من أيدي الناس وبدأوا يتدافعون في محاولة بلوغ مداخل الساحة وهم لا يكادون يحفظون اتزانهم. رؤية (سول) للمطهرين وهم يتحركون في تخبط وعلامات الذعر نفسها تسود وجوههم كانت كافية كي يبدأ التحرك هو الآخر.

ـ يعطونها المجال كي تنسف عالمهم نسفا وتأتي بالكارثة..

فجأة سمع الجميع صوت فرقعة عالية. التفت (سول) إلى الحلبة فرأى شقا في الأرضية الترابية آخذا في الاتساع بسرعة رهيبة. صارخين، ركض الممثلون بعيدا ولكن كان الأوان قد فات بالنسبة لثلاثة منهم ابتلعهم الشق في أعماقه المظلمة. أدرك (سول) بعينين مرتاعتين أن الشق مستمر في طريقه المدمر إلى المدرجات وبالتحديد إلى حيث يقف هو الآن. شله التفكير وهو يتابع الكهنة وهم يحاولون الإفلات دون جدوي. هوي الكثيرون إلى القاع وأصبحت مقدمة الشق على بعد مترين فقط

من (سول) الذي وبقفزة جانبية في آخر لحظة، نجح في تفادي الوحش الزاحف. على قرب منه، رأى رجلا قد نجح في تفادي السقوط هو الآخر، إلا أن الهزات القوية أخلت توازنه فمال جسده تجاه الهاوية وصار مصيره واضحا. بدون تفكير، تحرك (سول) بسرعة خاطفة لم يعهدها في نفسه من قبل إلى حيث الرجل الساقط وأمسك ذراعه. رفع الرجل عينين تحملان ذعر الدنيا إلى (سول) غير مصدق أن سقوطه قد توقف وصرخ:

ـ لا تتركني.. أرجوك لا تتركني..

تمنى (سول) لو أن الفعل بسهولة القول فقد كان الرجل ثقيلا جدا ونحافة (سول) لا تساعده كي يصبح جسده مركز ثقل لهما معا. بدأ الرجل يفلت وبدأ جسد (سول) في الزحف البطيء تجاه الهوة. مدركا ما يحدث، صرخ الرجل ثانية وهو يبكي:

ـ لاااااا.. أرجوك.. أرجوك...

كان على (سول) الاختيار في تلك اللحظة بين اختيارين مستحيلين. أن يظل متمسكا بذراع الرجل وفي تلك الحالة يسقطان معا لا محالة، أو أن يفلته فينجو هو. للحظة فكر ووجد أن موتهما معا لا يفيد فقال محاولا كتمان مرارته:

ـ لا تخف.. فإن الإله ينتظرك في الفردوس..

لم يرد الرجل ولم يصح هذه المرة. فقط تسمرت عيناه على وجه (سول) وهما يحملان رعبا رآه (سول) كثيرا من قبل في عيني الحيوان الذي يعلم أنه مساق للذبح، رعب الموت. على الرغم من قراره، لم يتمكن (سول) من حمل نفسه على ترك الرجل. فكر متحسرا عن سبب

ما يحدث.. هل هو حادث أم أنه المنقذ؟.. وإن كان المنقذ فلماذا؟..
ثم فكر في مصيره وكيف كان سيكون لو لم يهب لنجدة الرجل، أو أن الرجل لم يفقد اتزانه.. نعم.. فقط لو أنه لم يفقد اتزانه. الألم الذي ينهش ذراعه دفعه أن يغمض عينيه ويصيح صيحة يائسة ذابت وسط صرخات الآخرين ولكنه عندما فتح عينيه رأى آخر شيء يمكن أن يتوقعه، وجد الرجل المذهول مرتميا على الأرض بجواره. لم يستوعب (سول) كيف حدث هذا ولم يبد على وجه الرجل أنه يفهم هو الآخر. الأعجب من هذا أن ألم ذراعه الذي كان يمزقه من لحظات بدأ ينحسر بسرعة كبيرة. كان الصراخ مازال يرج حولهما ولكن التجربة العجيبة والغير مفهومة التي مرت بكلا الرجلين عزلتهما تماما عن كل ما يدور حولهما فبديا ساكنين وسط عالم فائر.

ـ كيف فعلتها؟

جاءه تساؤل الرجل أخيرا والذي أحلت الدهشة والفضول محل الرعب في عينيه.

ـ عن ماذا تتحدث؟

رد (سول) التساؤل بتساؤل آخر.

ـ أنت فعلتها.. أنا كنت هالكا لا محالة وأنت أنقذت حياتي. لا أدري كيف ولكن شيئا قويا ينبئني أنك أنت من فعلها.

أدرك (سول) ما يعنيه الرجل فهو أيضا كان لديه نفس اليقين الداخلي، ولكن عدم فهمه لكيفية حدوث هذا أخافه وجعله يحاول التملص بأن قال:

ـ أنا لم أفعل شيئا.

بدا الإصرار على وجه الرجل وهم بقول شيء ما إلا أن صوت المنقذ عاد يرج من جديد بعد أن انقطع فترة ليقطع حوارهما:

ـ ولكن الإله الرحيم بعبيده أبي إلا أن يتدخل لينقذهم من الشر الذي جلبوه لأنفسهم.

هبط الصمت من جديد على الحاضرين مصاحبا لصمت الهزات التي مزقت الساحة وتوقف اندفاعهم المحموم للهروب، ثم اتسعت العيون كلها في دهشة غير مصدقة وهي تتابع صعود كل من سقطوا في الهوة. كانوا يحومون في الهواء خارجين من الظلمة السحيقة فيرتفعون إلى بضعة أمتار ثم يهبطون أخيرا بنعومة فوق الأرضية. كان أول المذهولين هم أولئك الطائرين الذين لم يفهموا كيف تتحدى أجسادهم الجاذبية هكذا.

ـ ولهذا بعثني إليكم كي أرشدكم إلى طريقه مرة أخرى.

الصوت كان مركزا هذه المرة وليس قادما من كل مكان كما كان في السابق مما دفع الجميع للالتفات إلى مصدره وللمرة ال أولى رأوا المنقذ. بدا وكأنه ظهر فجأة وجسده معلق في الهواء على ارتفاع يعلو فوق ارتفاع المدرجات. تعلقت العيون المبهورة بوجه المنقذ المضيء دائما وعباءته البيضاء الطويلة أثناء هبوطه البطيء إلى وسط الحلبة. تزامن هبوطه مع عودة الشق المخيف إلى الالتئام مرة أخرى بعد أن خرج من بطنه كل من سقطوا فيه مسبقا. الالتئام في حد ذاته كان معجزة فقد أخذت ضفتا الشق تتمايلان في نعومة وتنسجمان معا بحركة تشبه حركة السوائل غير مخلفتين خلفهما أي أثر للشق وكأنه لم يكن.

الجماهير المضنونة كانت بحاجة إلى بضع ثوان لامتصاص ما حدث والذي لم يسبق أن حدث مثله في أي من الاحتفاليات السابقة. تابعوا هبوط المنقذ في صمت تام في البداية حتى لمس بقدميه أرضية الحلبة الترابية. بدأت صيحات مهللة قليلة تشق الصمت وما لبث أن انضمت إليها صيحات المزيد من الناس حتى صار الجميع يحيون المنقذ مرددين:

ـ المنقذ.. المنقذ..

كانت فرحة الجماهير برؤية المنقذ أخيرا يضاعفها فرحتهم بنجاتهم من المصير الأسود الذي ظنوا أنه مصيرهم لا محالة. أشار المنقذ بيده مبتسما ابتسامة أب حنون متابعا الهتافات الآخذة في العلو. انتفض (سول) أخيرا عائدا إلى عالم الواقع بعد أن استحوذت الأحداث المتتالية السريعة على انتباهه لفترة وجيزة. عاد ينظر إلى الرجل الذي أنقذه بطريقة عجيبة والذي عاد هو الآخر إلى عالم الواقع في تلك اللحظة. كان ما حدث بمثابة النجدة القادمة لتنقذ (سول) من تساؤلات الرجل والتي لا يعلم لها أي منهما إجابة. طارقا الحديد وهو ساخن قال (سول):

ـ أرأيت؟ ما حدث معك كان معجزة من معجزات المنقذ.

رغم كل ما رأياه يحدث حولهما، بدا عدم الاقتناع على وجه الرجل ولكنه لم ينبس بكلمة مكتفيا بنظراته الشاكة. كي يبتعد (سول) عن مجال نظرات الرجل، اتجه عائدا إلى حيث كان جالسا كباقي الجماهير. كانت رحلة عويصة، فقد كان العائدون لا يحيلون النظر عن المنقذ أثناء عودتهم مما أدى إلى بعض التخبط. المنقذ نفسه استقر وسط الحلبة شامخا مهيبا وقد انضم إليه الممثلون الذين جمعوا شتاتهم المبعثر. بعد الاطمئنان إلى عودة الاستقرار إلى المدرجات وبدون أي مكبرات صوتية، تكلم المنقذ:

ـ عام جديد على ذكرى الكارثة وأنا بينكم وهذا بفضل دعائكم للإله أيها العباد الطائعين.

رد الناس في صوت واحد مستعينين بمقطع من الصلاة كما جرت العادة:

أيها الإله العظيم

اجعل لنا نور منقذنا خالدا دائما

ـ عام جديد وأنا أعمل بعناية الإله لحمايتكم من شرور النفس قبل شرور الغير كي لا تلقوا نفس مصير السابقين، تلك المهمة التي لا أستطيع أن أقوم بها إن لم يسلم العبد مصيره لأيدي الإله الذي يوجهني. لذا ومثل كل عام وجب على العبيد الطائعين تجديد عهود التسليم.

صمت المنقذ لحظات ثم فرد ذراعيه إلى الجانبين بأقصى امتداد لهما صائحا:

ـ هل تسلمون للإله مصائركم؟

ـ نعم.

انضم (سول) إلى صوت الجماهير التي لم تتردد في الإجابة.

ـ هل تعاهدونه على الصلاة دائما؟

ـ نعم.

ـ هل تعاهدونه على بذل كل جهدكم في أداء العمل؟

ـ نعم.

ـ هل تتركون شر التشكيك في وسائله؟

ـ نعم.

ـ إذن.. أعدكم أنا، المنقذ الذي بعثه الإله، أن أستمر بينكم لحمايتكم لعام جديد.

انفجرت صيحات الفرح والتي حاول (سول) أن يشارك فيها ولكن جزءا شاردا من عقله جعل محاولاته مصطنعة بعض الشيء. إحساسه ينبئه أن شيئا ما غير طبيعي أو بالأحرى إعجازي قد أنقذ حياة الرجل الساقط في الشق وأن (سول) نفسه هو المتسبب فيه. وجد صعوبة بالغة في استساغة هذا فمثل هذه المعجزات ليست في قدرة بشري إلا المنقذ، إن كان حقا بشريا. حاول إقناع نفسه أن ما حدث لم يكن له علاقة به بل بالمنقذ نفسه وكما فشل في إقناع الرجل، فشل في إقناع نفسه. انتبه في تلك اللحظة إلى الاحتفالية التي تابعت مراسمها بالمشاهد التمثيلية التي يقود بطولتها المنقذ نفسه. محاولا نزع نفسه من شروده، تابع الممثلين الذين مدوا أيديهم إلى المنقذ الذي انتزعهم للتو من ظلمة الشرور مستعيدين نظرات الحيرة التي كانت تعلو وجوههم قبل توقف تمثيلهم. تناول المنقذ أيديهم ومسحها بحنان كي يضفي الاطمئنان على قلوبهم فكان كلما لمس أحدهم انتفض جسده واستبدلت نظرة خوفه بابتسامة وهدأت حركته المتوترة. بعدها التفت المنقذ إلى الجماهير:

ـ وبعد أن تم دحض الشرور بفضل الإله، كان وقت بناء العالم الجديد قد حان.

قالها ثم أغمض عينيه وبدأ في رفع ذراعيه ببطء بكفين مفتوحين إلى الأعلي. سمع الناس ضجيجا جديدا فعاود البعض خوفهم إلا أن الصوت هذه المرة كان يأتي من خارج الساحة. لم يفهوا ما يحدث حتى رأوا مشهدا معجزا آخر في تلك الليلة العجيبة. أدرك (سول) أخيرا الغرض من الأحجار المتكومة خارج الساحة وهو يراقبها تطوف الواحدة بعد الأخرى من الخارج فوق رءوس الجماهير المشدوهة. أحجار صغيرة وأخرى ضخمة تسبح بطيئة في مشهد خلاب جعل الناس لا يفكرون فيما يمكن أن يحدث إذا خرجت إحداها عن سيطرة المنقذ وسقطت فوق رؤوسهم. اتجهت الأحجار إلى حيث يقف المنقذ وقبل أن تستقر كانت تتلوى وتتشكل في حركة سائلة تماما كما كان طرفا الشق يتلويان. بعد تشكلها، كانت الأحجار تنضم لبعضها مكونة قاعدة بنائية ما. لم يفهم أحد ما الذي يهدف إليه المنقذ من هذا البناء ولم يهتموا كثيرا فمشهد الصخور الطائرة كان هو المسيطر على حواسهم. بدأت معالم البناء تصبح أكثر وضوحا مع تراكم الأحجار المتواصل فظهر سلم صغير لا يصلح إلا لأقدام طفل صغير ويصعد مؤديا إلى مدخل صغير هو الآخر. كما ظهرت شقوق في الحجارة أصبحت تماثل النوافذ في البناء. استمر البناء في العلو حتى وصل إلى ارتفاع أعلى المدرجات. اتضح أخيرا ما يمثله البناء أمام الأعين المبهورة، فقد كان نموذجا مصغرا من المعبد الأكبر والذي يظهر من خلفه. بعد إضافة الحجر الأخير، تحول لون البناء تدريجيا من خليط من الألوان المختلفة إلى الأبيض الذي كان لون المعبد الأصلي قبل أن تمحوه السنين.

هتف الناس منتشين بنشوى عارمة:

ـ المنقذ.. المنقذ..

فتح المنقذ عينيه وزادا على هتاف الجماهير قال:

ـ هكذا بنينا العالم الجديد وهكذا سوف نستمر في بنائه.

تواصل الصياح المجنون بعض الوقت حتى رفع المنقذ يده بإشارة أسكتت الجميع وتابع:

ـ رغم كل جهودنا للتخلص من شرور السابقين إلا أن بذرة الشر تأبى أن تغادر في هدوء، فهذه البذرة يتبناها البعض الذين لم تنجح توسلاتنا في إدخالهم حظيرة الإله. الأدهى من هذا أن هؤلاء لم يتركوا العباد الطائعين لحالهم بل غيرتهم وحقدهم من نعمة الإله على هؤلاء العباد، جعلتهم يودون لو أن تصلهم نفس الشرور كي تقضي عليهم.

توقف المنقذ لحظات عن الكلام وتلفت بأنظاره إلى الجماهير وكأنه يستنفر شيئا ما بداخلهم قبل أن يسأل سؤالا هو يعرف إجابته:

ـ ما المصير العادل لهؤلاء؟

جاءت تشكيلة مختلفة من الهتافات مستشهدة مرة أخرى بمقاطع من الصلاة:

ـ المرض..

ـ التشريد..

ـ الجوع..

ـ انتقام الإله..

موافقا قال المنقذ:

ـ نعم.. هو الانتقام..

ترقب الجميع في شغف بالغ وقد تنبأوا بما سوف يحدث بعد لحظات، فكلمات المنقذ تلك كانت مقدمة لمحاكمة المنبوذين من قبل الإله نفسه والتي تعد أهم وآخر فقرات الاحتفاليات. بالفعل انسحب الممثلون من الساحة بهدوء عائدين إلى الفتحات الجانبية تاركين المنقذ وحده ولكن لم تمر ثوان قبل أن تخرج مجموعة من المطهرين يجرون رجلين وامرأة. حالتهم كانت مزرية بوجوههم البائسة وأجسادهم النحيلة المتسخة وأذرعهم وأرجلهم المقيدة. كل من الرجلين كان لا يستره إلا سروال خفيف أما المرأة فكانت ترتدي ثوبا يكشف معظم جسدها ما عدا الصدر وأعلى الفخذين. الثياب لم تكن أفضل حالا من أصحابها فكلها كانت ممزقة متسخة.

أجلسهم المطهرون على ركبهم متباعدين بنفس المسافة من المنقذ ومن بعضهم البعض بحيث يحتل كل واحد منهم إحدى زوايا مربع وهمي فوق أرضية الحلبة. لم يبد أحدهم حتى رغبة في أن يركض هاربا وهذا لم يدهش (سول) فمظهرهم الناضح بالهزال والقيود التي تكبلهم كانوا كافين لتفسير هذا الاستسلام الكامل. هذا بالإضافة إلى أن المطهرين الذين يملأون المكان لم يكونوا ليدعوا مغامرة كهذه تذهب بعيدا.

قال المنقذ وهو يشير إلى المنبوذين:

ـ أولئك الملعونين اقتحموا مدينتكم جالبين الشر معهم، فقد قدموا بغرض سرقة خيراتكم التي رزقكم إياها الإله الكريم والتي عملتم

كادحين من أجلها، قدموا كي يدمروا أسلوب حياتكم المثالي السلمي، قدموا كي يفسدوا في مدينتكم الفاضلة.

بنبرة أعلى صاح:

ـ فلتكرروا معي إذن.. ماذا يستحق هؤلاء؟

ـ انتقام الإله.

بلغ الجنون الحماسي بالجماهير مرحلة بدت لامعة في العيون المتعطشة لرؤية غضب الإله. كان الكره الشديد تجاه أولئك الذين تجرأوا على محاولة تعكير صفو حياتهم الرتيبة يملأ القلوب. هدأت نبرة المنقذ بعض الشيء وهو يتابع بعد أن حصل على الموافقة الجماعية:

ـ ولكن الإله عادل وعليه، فحتى هؤلاء لهم الحق أن يقفوا بين يديه على نفس المسافة التي يقف عندها عبيد الإله الطائعين كي يحكم بينهم بالعدل.

هرع اثنان من المطهرين كي يأخذا عباءة المنقذ الطويلة التي خلعها ليكشف جذعه العاري والذي كان مثالا للكمال التشريحي بعضلاته البارزة المتناسقة تناسقا بديعا.

ـ وأنا بصفتى مبعوث الإله الذي غرضه إنقاذكم من الشر فأنا أضع نفسي بين يدي الإله نيابة عنكم، عباد الإله الطائعين، كي يحكم بيني وبين هؤلاء على أن ينزل عقابه على من ظلم منا.

نزل على ركبتيه مثل المنبوذين الثلاثة أثناء انسحاب المطهرين حاملي العباءة، ثم رفع رأسه إلى السماء قائلا:

ـ أيها الإله العظيم... هاأنا من بعثته لإنقاذ البشرية أقف بين يديك مع من نظن أنهم ظلموا عبيدك وآثروا طريق الشر على طريقك، فاحكم بيننا بحكمتك ولتنزل عقابك لتوصم جسد الظالم منا بعلامة الشر.

قالها ثم أغلق عينيه. خيم صمت مترقب فوق المدرجات وجميع المدن التي تراقب المشهد. لبضع ثوان لم يحدث شيء ثم وبدون مقدمات تلبدت السماء الصافية بغيوم كثيفة. كان هذا المشهد قد رآه (سول) العديد من المرات في احتفاليات سابقة ولكن كما توقع، كانت رؤية بث حي للمشهد تختلف تماما عن رؤية ما تنقله الكاميرات، فقد شعر مع الجميع بالطاقة الخفية في الجو من حوله. تساءل إن كان هذا هو ما يشعر به المرء عند حضور الإله. ظهور السحب السوداء المهولة فوق رؤوسهم من لا شيء ساهم في ترسيخ هذا الإحساس الغامض بوجود حضور ما بالغ القوة. الخوف تغلب على أحد الرجلين المنبوذين فحاول النهوض وبعد عدة محاولات فاشلة نجح في الوقوف وبدأ مرحلة شاقة من القفز بعيدا. لم يعترضه المنقذ ولم يبد عليه ملاحظته حتي، كما أن أحدا من المطهرين لم يهرع إلى داخل الحلبة لإيقافه.

لم يمهل الهارب الوقت الكافي لمغادرة الحلبة على أي حال فقد شقت السماء ثلاث صواعق خاطفة أجبرت المشاهدين على إغلاق أعينهم لتفادي ضوئها الساطع كما أصمهم صوت الرعد الهائل. فتحوا عيونهم بعد ثانية والمشهد الذي رأوه أنبأهم بحكم الإله الواضح. كانت الأجسام الثلاثة الهزيلة ما تزال في رحلة اندفاعها العنيف في الهواء نتيجة ضربها بالصواعق قبل أن تستقر فوق أرضية الحلبة وقد طار ما بقي من ثيابهم المهترئة تاركة أجسادا بلا حياة. رأى الجميع بوضوح التفرعات

السوداء العديدة التي تشبه الجذور والتي شوهت الأجساد الميتة: تلك كانت هي علامة الشر. وحده المنقذ ظل جسده كما هو لم يمس. قام من جلسته وعلامات حزن بادية على وجهه:

ـ هذا كان حكم الإله عليكم وليتكم أطعتموه.

وسط هتافات الفرحة بنجاة المنقذ وموت أنصار الشر، اندفع حاملا عباءة المنقذ فتناولها وغطى بها جسده مرة أخرى ثم نظر إلى الجماهير قائلا:

ـ يا عباد الإله الطائعين فلتعتبروا هذه تذكرة من الإله بالعقاب الذي ينتظر كل من تسول له نفسه فيخرج من تلك الطاعة. اعتبروها تذكرة بأهمية الصلاة والعمل حتى يضمكم الإله إليه في فردوسه.

بدأ جسد المنقذ في الطفو عاليا في الهواء كما كان دخوله:

ـ أما الآن، فقد حان موعد الوداع على أن نلتقي العام القادم بإذن الإله.

النور الصادر من المنقذ زادت حدته تدريجيا حتى بلغت سطوعا جاوز سطوع ضوء الصواعق التي رأتها الجماهير منذ قليل. مغمضين أعينهم مرة أخرى، لم يتمكنوا من رؤية ما يحدث حتى انقشع الضوء فجأة كاشفا عن اختفاء المنقذ مع نموذج المعبد المصغر دون ترك أي أثر وكان هذا إيذانا بنهاية الاحتفالية التي لم ير مثلها في العالم الجديد.

٤

لا يعرف (سول) كيف وصل إلى منزله ولكنه وجد نفسه أمام الباب فجأة. أقل ما يمكن به وصف حالته بعد انتهاء الاحتفالية أنه كان مشوشا إلى أقصى الحدود. تحرك بآلية شاردة إلى الحافلات التي أعادته إلى المعبد المحلي الصغير ثم مشى في اتجاه منزله وها هو يدخله الآن. هو حتى لم ينتظر كي يودع (آكي). أضيئت الحوائط البيضاء فور دخوله ولاحظ أن باب غرفة أبيه مغلق فعرف أنه نائم.

كانت جرعة مكثفة من الحوادث العجيبة تلك التي مر بها الناس هذه الليلة ولكنهم جميعا عادوا إلى منازلهم يتحاكون عنها في مرح، فيما عدا (سول). التساؤلات العديدة لم تغادر عقله لحظة وكان كلما وصل لتفسير منطقي قد يثلج صدره، سرعان ما يجد الذي يدحض هذا التفسير. وحده التفسير الغير منطقي اللا معقول هو ما سكن عقله المرهق.. حاول تحويل تفكيره إلى نقطة أخرى ففكر في رؤيته للمنقذ ومعجزاته المبهرة. نجحت بالفعل محاولته إلا أنها استبدلت مشاعر الحيرة بمشاعر الحنق. فهذه كانت الليلة التي انتظرها طوال حياته وها هي تأتي وتذهب دون أن يعيشها بكل ذرة في عقله. نعم رأى معجزات لم يتخيلها ولكنه

كان يتابعها بنصف عقل فقط فلم يكن تأثيرها عليه كتأثيرها على باقي الجماهير.

دخل غرفته وقد تطورت مشاعر الحنق إلى غضب كامل. حاول أن يستعيذ بالإله ليهدأ عندما لاحظ جهاز الأحلام المستكين فوق الفراش كالكابوس. كان قد نسيه وسط كل ما حدث ولكن الآن عاوده قلق كونه معطلا. فكر ألا يضعه أثناء نومه هذه الليلة إلا أنه أدرك سخافة هذا الاحتمال الذي يهدد بخضوعه للتحقيق. كان هذا كثيرا بالنسبة لعقله الذي أرهق بالفعل من التفكير في كل تلك الأشياء في نفس الوقت فقرر ألا يفكر أكثر من ذلك. سوف يضع الجهاز لعل ما حدث الليلة السابقة كان حادثا فرديا، أما بخصوص ما حدث أثناء الاحتفالية فقد قرر أن يتحدث إلى أحد الكهنة غدا بخصوصه واثقا أنهم بالتأكيد يملكون التفسير.

غير ملابسه وأدى الصلاة المسائية مرتلا نفس التراتيل الصباحية ثم تربع فوق السرير ممسكا جهاز الأحلام. ألقي نظرة مرتابة أخيرة عليه ثم تنهد حاسما الأمر مثبتا إياه فوق رأسه واستلقي على ظهره استعدادا للنوم. مرت دقائق ثقيلة في محاولته إجبار نفسه على النوم دون جدوى ولكن في النهاية كان إرهاق اليوم صاحب الكلمة العليا فاستدرجه تدريجيا للغوص في نوم عميق.

كان الحلم مطابقا لكابوس الليلة السابقة بكل تفاصيله، البحيرة الهادئة، القارب، الشاطئ، و(نول) ذات الابتسامة الآلية بالإضافة إلى إدراك (سول) الكامل أنه يحلم. عاجزا، تلفت (سول) حوله وكأنه يبحث عن مخرج من هذا الكابوس. الصوت القادم من الشاطئ عاد يرن في رأسه ولكن هذه المرة كان واضحا منذ البداية:

ـ من أنت؟

صاح (سول) محاولا حفظ توازنه في القارب الذي بدأت الأمواج تهزه بقوة. الغيوم تراكمت كي تكمل نفس مشهد الكابوس السابق. الإجابة الوحيدة التي جاءت (سول) كانت:

ـ ابحث عني.. ابحث عني..

بعصبية أمسك (سول) مجدافي القارب المتراخيين فوقه. كان قد سئم هذا الإحساس العاجز وقرر أن يواجه خوفه ويتجه بالقارب نحو الشاطئ. حول دفة القارب بالفعل موليا ظهره لـ(نول) وبدأ التجديف. الماء الثائر جعل مهمته صعبة ولكنه تابع بإصرار. لم يتوقف الصوت القادم من الشاطئ المقترب لحظة مما زاد من قوة دفع (سول). الأمواج كان ارتفاعها يزيد بشكل ملحوظ دافعة دفة القارب إلى الأعلى تجاه السماء ثم إلى الأسفل مرة أخرى مما جعل الماء يغمر ملابس (سول) فتبتل تماما. خشي أن تؤدي تلك الأمواج الضخمة إلى انقلاب القارب ولكن إصراره لم يفتر وبنفس قوة العزيمة استمر في الدفع. فجأة أمسكت معصمه يد حديدية تمنعه من الاستمرار.

ـ ماذا تفعل؟

التفت ليجد أن صاحبة اليد والسؤال ما هي إلا (نول) التي تحركت من ثباتها الأزلي. وجهها يحمل اهتماما هادئا ويدها القابضة على معصمه كانت أقوى من أن تكون يد فتاة. جفل (سول) للمشهد وحاول التملص من يد (نول) بكل قوته. لاحظ أن قدميها ثابتتان فوق أرضية

القارب وكأنها ملتصقتان به. فشلت محاولات تملصه فرفع مجدافا بيده الحرة ليطوحه بوجه (نول) صائحا:

ـ اتركيني..

مال وجهها من أثر الضربة لاويا عنقها بزاوية مستحيلة إلى الوراء إلا أن نظرتها الهادئة لم تهتز وسرعان ما التف عنقها مرة أخرى بشكل عجيب ليعود إلى ما كان عليه. كان (سول) يدرك أنه داخل حلم وأن القوانين البشرية لا تحكم هنا ولكن هذا لم يقلل من أثر هذا المشهد الغير بشري عليه. ارتياعه جعله يكرر ضربات مسعورة متتالية فوق ذراعها المتشبثة به كي تفلته مكررا صياحه:

ـ اتركيني.. اتركيني..

أخيرا وبعد محاولات عديدة أفلتت يده بالفعل. لم يدر إن كان هذا من أثر الضربات أم أنها قد قررت ببساطة أن تتركه ولكنها حين أفلتته فجأة أدى هذا إلى اختلال توازنه ومع اهتزاز القارب، لم يستطع منع سقوطه من فوقه. آخر شيء شاهده قبل أن يضرب جسده الماء كان نظرة (نول) الفضولية.

غاص في الماء البارد فحاول أن يحرك يديه وقدميه كي يطفو مرة أخرى. لم يكن يعرف السباحة فمتطلبات عمله لم تحتج إلى تعلم هذه المهارة. هذا بالإضافة إلى أن الماء المظلم حوله أفقده الإحساس بالاتجاهات فلم يدر أين اتجاه السطح. بحركات هستيرية وهواء ينفذ من رئتيه حاول وحاول أن ينجو ولكن الأمل كان بعيدا. «هذا مجرد حلم وحتما سأستيقظ في أي لحظة»، هكذا فكر ولكن هذه المعرفة لم تساعد رئتيه في الحصول على الهواء

خلال ساعات قليلة. لم يشعر بالذعر هذه المرة وكأن كل ذعره قد استنفد ولكن عوضا عن هذا أخذ يتمعن بفضول حقيقي في هذه الفكرة العجيبة أن يموت أثناء حلمه. فكر في الإله وهل هو قريب من رؤيته حقا؟ هل تلك هي يده التي تحاول أن تمسك به؟ أم هي يد (نول) تريد إنقاذه لغرض غامض ما؟ أيا كان صاحب اليد، استسلم لها (سول) مضطرا بعد أن غادرت جسده كل مقاومة باقية. أمسكت به اليد بالفعل ثم جذبته بقوة إلى السطح. فور أن شعر بالهواء يملأ رئتيه المتلهفتين.. استيقظ.

شهق بقوة وهو يفتح عينيه اللتين اصطدمتا بوجه أبيه. لبضع ثوان ظن أنه مازال يحلم إلى أن سأله أبوه في جدية صارمة:

ـ هل قمت بتغيير مسار حلمك؟

انتبه إلى أن يد أبيه قابضة على معصمه. «هل هو من أنقذني من الغرق في الحلم؟».

ـ ماذا تعني؟ ولماذا أنت مستيقظ؟

حاول (سول) جمع شتات أفكاره المبعثرة ولكن أباه لم يمهله الوقت الكافي فأعاد السؤال:

ـ هل كان حلمك يسير في مسار معين وقمت أنت بتغيير هذا المسار؟

كاد (سول) يجيب سؤاله بسؤال آخر إلا أن ذهنه لمع فجأة بتلك اللحظة في حلمه التي قرر فيها تغيير دفة القارب والاتجاه إلى الشاطئ، ولكن كيف لأبيه أن يعرف؟ أجاب بصوت منخفض من فرط الاضطراب وعدم الفهم:

ـ نعم.. ربما..

ـ هذا ما كنت أخشاه.

قالها أبوه ثم وبسرعة مدهشة لم يرها في أبيه من قبل، ترك معصمه وهرع راكضا إلى خارج الغرفة صائحا:

ـ انتظرني هنا.

لم يكن (سول) بحاجة إلى أمر كي يقبع في مكانه وعلى أي حال لم تمض سوى ثوان قليلة حتى عاد أبوه حاملا صندوقا معدنيا في يد وفي اليد الأخرى كان يحمل جهاز أحلامه هو بالاضافة إلى ورقة مطوية. ما لفت انتباه (سول) كانت الورقة، فالورق غير معتاد في العالم الجديد إذ تم استبداله باللوحات الإليكترونية وتلك الأخيرة تستخدم أثناء أداء الأعمال فقط.

ـ علينا أن نتحرك سريعا، فلدينا ثلاث دقائق فقط قبل أن يأتوا طبقا لحساباتي.

قالها بنفس الصرامة وهو يفتح الصندوق كي يخرج عصا سوداء هي نفسها التي يستخدمها المطهرون لصعق أعدائهم. كيف لم ينتبه إلى وجودها بالمنزل من قبل ولماذا يحتفظ بها أبوه؟ ثم من هم الذين يتحدث عنهم؟ الأسئلة تزاحمت في رأس (سول) فسأل بعصبية:

ـ من تقصد؟ أنا لا أفهم شيئا.

ترك أبوه ما بيده على السرير ثم أمسك كتفي (سول) قائلا:

ـ اسمع يا بني، عليك أن تثق بي الآن. أنت في خطر حقيقي كنت أتمنى

ألا تقع فيه ولكن هذا ما حدث.. إن جميع أجهزة الأحلام مراقبة من قبل المطهرين وهم حتما قد التقطوا ما حدث في حلمك وفي طريقهم الآن إلى هنا.

كانت نظراته وطريقة كلامه غير معتادة بالنسبة لـ(سول) فقد كانت تحمل حنانا لم يعهده (سول) في أبيه الصارم دائما. كما أنه لم يستخدم كلمة «بني» من قبل في توجيه كلامه إليه. عقدت دهشة (سول) لسانه فلم يقل شيئا وأبوه يتناول جهاز أحلامه الذي أتى به قائلا:

ـ للأسف لا يوجد وقت كاف كي أشرح لك. كل ما أستطيع إخبارك به الآن أن ما حدث في حلمك يرصده المراقبون على أنه شذوذ يتطلب التحقيق، وأنا عندما أقول «تحقيق» أعني في الواقع مصيرا أسوأ من الموت فمهما كان ما سمعت به عن تحقيقات المطهرين، تأكد أن الواقع أبشع بكثير.

توقف لحظة وبعينين تفيضان حزنا تابع:

ـ أنا أعرف هذا لأني كنت جزءا من هذا الواقع.

كان كل هذا مربكا لـ(سول)، فها هو ذا أبوه الذي طالما افتخر به لأيام عمله في صفوف المطهرين يبدو وكأنه حزين بل نادم على تلك الأيام. ثم أي مصير هذا الذي يتحدث عنه والذي هو أسوأ من الموت؟..

أزال أبو (سول) جهاز الأحلام الخاص بالأخير والذي كان لا يزال يعلو رأسه مثبتا جهازه هو بدلا منه. حاول (سول) أن يجد الكلمات كي يقول:

ـ سوف.. سوف أشرح لهم.. فأنا لم أقصد شيئا من هذا.

ـ للأسف لن يفيد أي شيء تفكر به. ولكن لا تقلق، فأنا قد احتطت لمثل هذا اليوم.

أراد (سول) أن يسأله عن كيف عرف أن هذا سيحدث ولكن أباه عاجله وكأنه قرأ أفكاره:

ـ مثل هذا الشذوذ لا يأتي مرة واحدة بل يبدأ بتغييرات بسيطة في قراءة الجهاز قد تحدث في الحالات العادية فلا يقوم المطهرون بالتحقيق مع من تظهر معه إلى أن يظهر الشذوذ الكامل. صديق قديم مازال يعمل مطهرا جاء لزيارتي في بيت الانتظار وأخبرني أنه لاحظ مثل تلك القراءات في جهازك فعرفت ما يعنيه هذا مما دفعني للعمل على الفور.

تذكر (سول) هنا الحريق والذي لم يجد أحد له سببا. قارئا أفكاره للمرة الثانية تابع أبوه:

ـ كان يجب أن أعود إلى المنزل وتدريبنا كمطهرين يجعل افتعال حريق ما شيئا هينا.

لم يحتج أن يشرح أكثر من هذا كي يفهم (سول) الذي عقدت المفاجأة لسانه. أشار أبوه إلى الجهاز الذي ثبته فوق رأسه للتو سائلا:

ـ هل تعلم كيف يتم تكلفة أجهزة الأحلام لأصحابها؟

دون انتظار إجابة منه تابع:

ـ يتم مسح البصمة الإليكترونية لكل جهاز كي يتم إدراجه في ملف صاحبه ثم عندما يتم استخدام الجهاز، يعلم المراقبون أي شخص

هو الذي يحلم الآن طبقا لملفه. هم أيضا يحتاطون لاحتمالية أن تختلط الأجهزة فوضعوا في كل جهاز قدرة قراءة بصمة صاحبه الوراثية للتأكد من مطابقتها لصاحب الملف.

توقف لحظة للتأكد أن (سول) يتابع ما يقول ثم أكمل:

ـ أنا قد بدلت جهازينا أنا وأنت منذ أن عدت إلى هنا ثم لكي أتفادى مسألة التعرف على البصمة الوراثية هذه، بدلت أيضا بصمتي جهازينا الإليكترونيتين بين ملفينا، فأصبح المراقبون يرصدونني أنا عندما تحلم أنت والعكس.

ـ كيف؟

سأل (سول) المشوش فأجاب أبوه متطلعا إلى الساعة الظاهرة على الحائط:

ـ لا يهم كيف. ما يهم الآن هو أنهم سيأتون ظانين أن الشذوذ الذي وجدوه هو قادم من جهازي أنا وليس أنت ولكن لن تنجح تلك الطريقة بعد اليوم بعد أن استرددت جهازك، لذا يجب أن تهرب من المدينة غدا.

«هل مازلت في الكابوس؟»، هكذا فكر (سول) وهو يتابع أباه الذي فتح الورقة المطوية ليبين الخطوط والأشكال المرسومة عليها والتي يبدو أنها رسمت بخط اليد في عجالة:

ـ هذه الخريطة المرسومة على الورقة، هل تتعرف عليها؟

خريطة!! تطلع (سول) إلى الورقة بتمعن أكثر فلم ير تلك الخريطة

التي يزعمها أبوه. كل ما رآه هو مستطيل صغير يقع على أحد أطراف مستطيل أكبر بكثير ومن الطرف المعاكس للمستطيل الصغير، ظهر سهم ينطلق بين أشكال تبدو كشخبطة. لم يتعرف (سول) على الخريطة وبدا تساؤله واضحا على وجهه فشرح أبوه مشيرا إلى المستطيل الكبير:

ـ هذه هي حقول الرعي التي تعمل بها أما هذا المستطيل الصغير فهو استراحة الرعاة.

بالفعل بدأ (سول) يرى الملامح المألوفة راسما في خياله حقول الرعي، وطبقا لهذا فما بدا له شخبطة في البداية يجب أن يمثل خط الأشجار الكثيفة التي ترسم حدود المدينة الشمالية. خط الأشجار لم يكن مستمرا ففي وسطه تقريبا كان يوجد ما يشبه تجويفا خاليا يمتد إلى داخل مساحة الأشجار الكثيفة وهذا هو المكان الذي اخترقه السهم. سأل مشيرا إلى السهم:

ـ هذا السهم يؤدي إلى خارج المدينة أليس كذلك؟

بدا الارتياح على وجه أبيه عندما استوعب (سول) الخريطة مؤكدا:

ـ بالفعل، إن المدينة محاطة بنطاق أمني مكون من أجهزة ترصد أي محاولة تسلل ولكن هذا النطاق لا يخلو من الثغرات التي ينجح من خلالها المنبوذون في المرور إلى داخل المدينة. السهم يشير إلى إحدى تلك الثغرات، وهذه هي الوجهة التي يجب أن تتخذها.

كان كل هذا مازال يبدو لـ(سول) غير حقيقي فسأل مشوشا:

ـ ولكن.. ماذا أفعل بعد ذلك؟ أنا لا أعرف أي شيء خارج المدينة.

رد أبوه بسرعة:

ـ أعرف، ولهذا عليك أن تتصل بأحد المنبوذين. إنهم يقومون عادة بمراقبة هذه الثغرات في حال اتصل بهم أحد رجالهم من داخل المدينة.

لوهلة لم يصدق (سول) ما سمع فسأل مستنكرا:

ـ المنبوذون؟ هؤلاء المفسدين؟ سوف يقتلونني.

ـ لن يفعلوا عندما تذكر لهم أنك مرسل من طرفي إلى (ماليك).

وقع الاسم كان غريبا على آذان (سول)، فهو لم يسمع بمثله من قبل. قرر (سول) هنا أنه لن يدع هذا الكابوس الحقيقي أن يقلب حياته الرتيبة والتي بدت في هذه اللحظة أقرب ما تكون من المثالية فعاند:

ـ لا.. أنا لن أترك المدينة. أنا واثق أني أستطيع أن أشـ...

قاطعه أبوه في صرامة:

ـ أخبرتك أن هذا لن يفيد.

صمت (سول) زائغ العينين فخفض أبوه من نبرته الحادة بعض الشيء مؤكدا:

ـ (سول)، أنا أعلم أن هذا كثير عليك، ولكني أطلب منك ثانية أن تثق بي وأن تتأكد من أني لن أؤذيك أبدا كما لن أسمح لأحد أن يؤذيك.

لسبب ما ورغم أن الرجل الذي يجلس أمام (سول) الآن هو شخص مختلف تماما لا يمت بأدنى صلة لأبيه الذي يعرفه، إلا أن عينيه اللتين تفيضان حنان أبوي حقيقي جعلت (سول) يشعر أنه أكثر إنسان في العالم يستطيع الوثوق به. مستسلما سأل:

ابتسم أبوه بارتياح ملقيا نظرة أخيرة على الساعة:

ـ عليك أن تحفظ هذه الخريطة عن ظهر قلب قبل أن أتخلص منها ولكن أسرع فلم يعد أمامنا سوى بضع ثوان.

تناول (سول) الخريطة وتفحصها جيدا حتى تأكد من أنها انطبعت في ذاكرته فناولها لأبيه الذي أخذها ثم أمسك بالعصا السوداء. عبث أبوه بمؤشر السلاح الذي هو عبارة عن دائرة صغيرة جانبية فاحمر طرفه في لحظات. لمس الطرف المحمر بطرف الورقة فاشتعلت نارا ما لبثت أن ابتلعت الورقة بالكامل فألقاها أبوه في ركن الغرفة.

سمعا جلبة قادمة من الخارج فوضع أبوه جهاز الأحلام الذي كان يستخدمه (سول) منذ عودة أبيه إلى المنزل على رأسه هو ثم قال بحسم:

ـ والآن، المرحلة الأخيرة من الخطة.

اعتدل واقفا وهو يعبث بمؤشر العصا مرة أخرى ثم نظر إلى (سول) نظرة تحمل حنان وحزن الدنيا في مزيج واحد متابعا:

ـ تذكر يا بني أني أفعل هذا لأجلك.. لأني أحبك.

قالها ثم رفع العصا إلى صدغه وقبل أن يستوعب (سول) ما يحدث، انطلقت النبضة الزرقاء القاتلة لتوقف مخ أبيه عن العمل نهائيا. مذهولا، لم يصدر (سول) أي صوت وهو يراقب جسد أبيه الخالى من الحياة وهو يسقط على الأرض بعنف متزامنا مع اقتحام المطهرين للمنزل.

٥

الأحداث كانت تجري حول (سول) وكأنها حلم أو كأن وعيه قد انفصل عن جسده وتجمد عند تلك اللحظة التي سقط فيها أبوه جثة هامدة. المطهرون أتوا به إلى المعبد الأكبر بملابس نومه وأجلسوه داخل غرفة صغيرة بالطابق الأرضي الفسيح. الغرفة كانت خالية إلا من منضدة معدنية وكرسي غير مريح جلس (سول) عليه. لم يتخيل أن زيارته الأولى للمعبد الأكبر قد تكون بسبب ظروف كهذه. لم يكن وعيه المشتت يسمح له بملاحظة ضخامة القاعة التي دخل إليها والمليئة بالمطهرين وبعض الكهنة. نظرات تتراوح بين الدهشة والغضب والفضول كانت تلاحقه دون أن ينتبه إليها. في نهاية القاعة كانت توجد مجموعة أبواب تقود إحداها إلى الغرفة التي يجلس فيها (سول) الآن.

لم يدر كم من الوقت مر ولم يهتم، فعقله كان مشغولا بكل ما جرى له في هذا اليوم المشؤوم الذي بدأ بكابوس ثم بمعجزة كان هو المتسبب فيها دون أن يعلم كيف ثم بصدمة أبيه الذي فاجأه بخطة مجنونة لإنقاذه من مصير مجهول وأخيرا بانتحاره. كيف حدث كل هذا؟ ولماذا حدث له هو بالذات؟ هل يثق بأبيه وينفذ خطته؟ هل يحاول الاتصال بالمنبوذين؟

وكيف يثق بهؤلاء؟ كل ما يعرفه عنهم أنهم مجرمون خرجوا من طاعة الإله فلعنهم. كيف يستعين بقوم لعنهم الإله؟ بدت له الفكرة سخيفة لا يمكن التفكير فيها أصلا، ولكنه تذكر وجه أبيه قبل أن يطلق سلاحه. لقد ضحى بحياته من أجله.. هل هذا حقا شيء غريب؟ لقد كان هو نفسه على وشك الموت في سبيل إنقاذ شخص غريب عنه، فما بالك بالابن؟ لقد قال له أنه يحبه و(سول) يصدقه.. كل ملامح أبيه كانت تنطق بها. لا يعرف كيف تسللت تلك الدمعة التي شعر بها تمر فوق خده، مسحها بيده ثم نظر إليها مندهشا، هو ظن أنه لا يحمل مشاعر ما تجاه أبيه.. إذن لماذا سالت تلك الدمعة؟ هل هي نتيجة خوفه من المجهول، أم هي نتيجة مشاعر لم يدر (سول) أبدا أنها بداخله؟ لا.. لا يمكن.. فهو أقوي من هذا. إن مشاعره كلها موجهة تجاه الإله العظيم. إنما ما يجول بقلبه الآن ما هو إلا الشر الذي يريد العبث به كما عبث بأبيه.

صوت الباب وهو يفتح كان بمثابة النداء كي يعود (سول) إلى عالم الواقع. ترقب متوترا ولكن سرعان ما شعر بارتياح ولو بسيط عندما رأى صديقه (آكي) يدلف إلى الغرفة. لم يكن هناك كرسي آخر فظل واقفا. القلق كان باديا على ملامحه المقطبة وهو يسأل:

ـ ماذا حدث يا (سول)؟

«الكثير يا (آكي)».. أراد أن يقولها (سول) وأن يحكي كل شيء إلا أن نفس الغريزة التي منعته أن يحكي له عن الكابوس سابقا جعلته يجيب:

ـ لا أدري..

تطلع (آكي) إليه باهتمام ولكن (سول) حاول التماسك أمام نظراته متابعا:

ـ لقد انتحر أبي. فجأة دخل غرفتي ليودعني.. ثم انتحر.

ـ هل كنت على علم بأنه يحتفظ بسلاحه القديم؟ إن جميع المطهرين يسلمون هذا السلاح قبل دخولهم بيوت الانتظار وسجلاتنا تقول أنه سلمه بالفعل، فكيف إذن احتفظ به؟

صادقا هذه المرة أجاب (سول) بسرعة:

ـ حقيقة لا أدري، فأنا لم أره قبل الليلة قط.

الصمت خيم لحظات بدا فيها (آكي) كأنه يقلب شيئا ما في رأسه قبل أن يقول قاطعا الصمت:

ـ سأكون صادقا معك يا (سول).. إن كبار المطهرين قلقون للغاية مما حدث لأبيك، فإننا لم نر حادثة انتحار من سنين لا يعلم مداها إلا الإله، هذا بالإضافة إلى أن هذه الحادثة لم تحدث لأي شخص بل لمطهر سابق له سجل حافل بالبطولات ولهذا فالأمر كله مربك للغاية.

صمت لحظة أخرى ثم تابع مطوحا يديه:

ـ ثم إنهم يشكون أن هناك حتما من ساعد أباك من المطهرين الحاليين للإبقاء على موضوع سلاحه سرا، تحديدا هم يشكون بي لعلاقتنا أنا وأنت حتى وإن لم يقلها أحد علانية.

كانت هذه مفاجأة لـ(سول) فهو لم يتوقع أبدا أن تجر هذه الحادثة (آكي) في أذيالها.

ـ دعني إذن أتحدث إليهم لأؤكد أنك لا علاقة لك بأبي، أنت حتى لم تلتقه شخصيا أبدا.

حاول (آكي) الابتسام في مرارة:

ـ لا تقلق، فهم سوف يتحدثون معك قطعا. على الرغم من عدم وجود شواهد تورطك أو تورطني في انتحار أبيك، إلا أن تلك الحادثة الشاذة والقلق الذي تسببه قد يجعل التحقيق معنا ضروريا.

اضطرب قلب (سول) عند سماعه كلمة «تحقيق» ذات السمعة البغيضة والتي زاد من أثرها في نفسه، ما سمعه من أبيه.

ـ وماذا سيفعلون بنا أثناء هذا التحقيق؟

سأل محاولا استشفاف أي أمل من صديقه أن ربما المسألة ليست بالخطورة التي يرسمها الجميع ولكن ابتسامته الشاحبة وعدم إجابته السؤال كانتا كافيتين كي يدرك (سول) أين تقع الحقيقة. انخلع قلبه عندما فتح الباب فجأة ليدخل أحد زملاء (آكي). كان يبدو كمن يحمل رسالة عاجلة فمال على أذن (آكي) وهمس شيئا ما. راقب (سول) صامتا وعينا (آكي) تتسعان وكأنه صعق لما يسمع. خرج الرجل تاركا (آكي) وراءه بنفس نظرته المندهشة. لم يتكلم فصاح (سول) الذي نفد صبره والذي يريد أن يفهم ما يحدث:

ـ (آكي).. أخبرني ماذا هناك؟

التفت إليه (آكي) مجيبا ببطء:

ـ المنقذ يريد رؤيتك.

* * *

دلف إلى المصعد الذي يقود إلى المنقذ القاطن بأعلى طابق في المعبد.
كان مصعدا صغير الحجم مقارنة بالمصعد الواقع بجواره والذي يقود إلى كل الطوابق الأخرى عدا طابق المنقذ. اثنان من المطهرين صحباه إلى الداخل وفور إغلاق الباب، بدأ مؤشر ضوئي جواره يصعد إلى الأعلى مشيرا إلى بداية رحلة الصعود.

الخوف.. هذا بالضبط ما يمكن أن يصف حال (سول) منذ أن سمع من (آكي) أن المنقذ يريد رؤيته. لم تملأه مشاعر الفرحة كأي شخص يقابل المنقذ شخصيا نظرا لظروف هذه المقابلة، فمعنى هذه المقابلة أن مسألة انتحار أبيه هي أخطر مما تخيل (سول)، بل هو يستطيع أن يجزم أنها حتى أخطر مما تخيل أبوه نفسه. (آكي) هو الآخر لم ينجح في كتمان قلقه الذي تضاعف.

ما شغل تفكير (سول) هو فيما إذا كان يجب أن يخبر المنقذ بالحقيقة، وإذا أخبره ماذا سيفعلون به؟ وماذا سيكون تبريره أنه لم يقلها من قبل؟ ثم هل يستطيع إخفاء الحقيقة عن المنقذ حتى لو أراد؟ المنقذ معروف بقدراته الإعجازية التي لا يستطيع إحصاءها أحد، فهل تكون إحدى هذه القدرات هي القدرة على كشف الكذب؟ فكر كثيرا وهو يتابع المؤشر الضوئي المتصاعد متسائلا عما يحمله له عند بلوغ غايته. فجأة وصل المصعد معطيا الإشارة لقلب (سول) أن يخفق بجنون. فتح الباب كي يجد المنقذ بنفسه ينتظر أمامه مباشرة. بحركة غريزية، تراجع (سول) خطوتين إلى الوراء فقد كان هذا آخر شيء توقعه، ولكن ها هو ذا المنقذ يقف أمامه باسما طويلا قويا بنور وجهه وشعره الفضي وعينيه الخضراوتين الثاقبتين. كان يرتدي

قميصا وسروالا واسعين مصنوعين من نسيج الإله الأبيض. مد المنقذ يديه بعد أن لاحظ توتر (سول):

ـ تعال يا (سول).. تعال يا بني.

هو يعرف اسمه، بالطبع هو يعرف فبالتأكيد المطهرون أطلعوه على كل شيء بخصوصه. لم يتحرك (سول) حتى دفعه أحد المطهرين دفعة خفيفة إلى الأمام فتقدم في بطء حتى تجاوز باب المصعد.

ـ لا تخف يا بني.

قالها بنفس الابتسامة الأبوية الحنون وبعدها قام بشيء آخر لم يتوقعه (سول) إطلاقا.. عانقه .. ثم بنبرة متعاطفة قال:

ـ أرجو أن تتقبل تعازي في وفاة أبيك.

ظل (سول) على نفس جموده فهو لم يدر ماذا يفعل.. كانت رائحة المنقذ عطرية جميلة ولكنها في نفس الوقت قوية جدا لدرجة أنها أدارت رأس (سول). أنقذه المنقذ أخيرا من دواره عندما أعتقه محتفظا بذراع يحيط بكتف (سول) وهو يلتفت متابعا:

ـ أهلا بك في غرفتي الخاصة.

أغلق المصعد بالمطهرين داخله تاركا (سول) وحده مع المنقذ في غرفته. رغم توتره، لم يملك (سول) سوى الانبهار. الغرفة كانت واسعة للغاية ولا تحوي سوى مكتب زجاجي شفاف وكرسيين شفافين مثله. الحوائط والأرضيات كانت مصنوعة من مادة مصقولة لامعة أحالت المكان كله إلى مرايا تعكس عددا لا نهائيا من أشباه (سول) والمنقذ. ولكن الجزء المبهر بحق كان واجهة الغرفة المقابلة للمصعد فقد كانت

زجاجية بالكامل ومن خلفها استطاع (سول) أن يرى منظرا بانوزامنيا للمدينة. تبادل اللونين الأبيض والأخضر كان بديعا في ضوء الصباح وللمرة الأولى استطاع رؤية الجانب الجمالي للأشكال الهندسية التي قسمت أحياء المدينة طبقا لها. حركة نمل نشيطة تجول في الشوارع والتي لم تكن سوى حركة الناس وهم يمارسون أعمالهم. المشهد كله كان ساحرا فمن هذا الموقع السامي فوق كل شيء كان من السهل أن يعتقد (سول) أو أي شخص آخر أن الكون نفسه في متناول يده.

ترك المنقذ (سول) لانبهاره بضع ثوان ثم سأله مبتسما:

ـ هل أعجبك المنظر من هنا؟

ـ إنه بديع.

أجاب (سول) بآلية ولكنه سرعان ما أفاق مستعيدا سبب وجوده هنا ومعه توتره. تقدما من المكتب وأشار المنقذ لـ(سول) كي يجلس ثم دار حول المكتب ليجلس معطيا ظهره للمشهد البانورامي. تساءل (سول) رغما عنه أن كيف يعطي أحد ظهره لمشهد كهذا ولكنه لم يقل شيئا وهو يتجه إلى المقعد المقابل للمنقذ. حاول أن يقاوم دوارا انتابه عند اقترابه أكثر من الواجهة الزجاجية فهو في حياته لم يتجاوز ارتفاع مدرجات الساحة مما يجعل مثل هذا الارتفاع الذي يتطلع منه الآن غير معتاد على الإطلاق.

تمكن من مقاومة دواره والجلوس أخيرا. وضع المنقذ كفيه متشابكين فوق المنضدة الزجاجية متطلعا إلى (سول) باهتمام بعينيه الخضراوتين اللتين تشعرانك أنك عار تماما أمامهما:

ـ أكرر أسفي مرة ثانية يا بني. إن أباك كان رجلا عظيما.

ـ ن.. نعم!!

تابع المنقذ مبتسما:

ـ أرى أنك لازلت متوترا. لماذا؟ هل تخافني؟

أدرك (سول) أن عليه مداراة توتره الشاهد بأنه يخفي شيئا ما فحاول التظاهر بالثبات:

ـ بالطبع لا، ولكنها كانت ليلة صعبة.

ـ أوافقك تماما، وأنا أعتقد أن أصعب ما فيها هو غير معقوليتها.

تراجع قليلا ليسند ظهره متابعا:

ـ إن سجل أبيك مشرف للغاية وقد قابلت بنفسي بعضا من زملائه السابقين منذ ساعات وأكدوا لي أنه آخر شخص يمكن أن يفعل شيئا كهذا، فقد كان قوي الإرادة مطيعا للإله. هذا يطرح السؤال الهام: كيف وهو هكذا، ينتحر ويختار الضياع في حياته الأخرى بدلا من فردوس الإله؟

لفت السؤال انتباه (سول) إلى نقطة هامة فاتته وهي أن الانتحار هو رفض لمشيئة الإله الذي خلقنا للعمل، فمن يقوم به يستحق مصيرا أسودا وهو الضياع الأبدي في الظلام وعدم إيجاد الفردوس. بالتأكيد أبوه كان على علم بذلك المصير إلا أنه رغم هذا اختاره. لماذا إذن؟ لماذا لم يحذره ثم يسلم نفسه للمطهرين؟ هل انتحر لتجنب مصير أسوأ من الضياع الأبدي؟ أي مصير هذا؟

ـ لهذا أنا طلبت التحدث إليك بنفسي.

مال عليه فجأة مقطبا جبينه:

ـ أخبرني يا (سول)، هل يوجد شيء ما تريد أن تقوله لي؟

فاجأه السؤال فحاول الإجابة بهدوء:

ـ شيء مثل ماذا أيها المنقذ العظيم؟

تراجع المنقذ مرة أخرى في مقعده ضاحكا ضحكة لم تبد متناسبة مع الموقف أبدا أو مع سؤاله:

ـ أي شيء قد يكون أبوك أخبرك به قبل أن يموت. هو انتحر في غرفتك، أليس كذلك؟

أجاب (سول) نفس الإجابة التي أعطاها لـ(آكي):

ـ نعم، جاء يودعني.. ثم انتحر.

لا يستطيع إخباره بالحقيقة. حاول (سول) إقناع نفسه أنه لا يريد هذا لأنه قد قرر مسبقا أن أباه كان ضحية الشر وأنه لن ينفذ خطته لذا لا داعي أن يفتح بابا من يدري إلى أين يؤدي، ولكنه في قرارة نفسه يعلم أنه لم يتخذ قرارا حاسما بعد.

ـ عظيم، وهذا كان فقط كل ما قاله؟

ـ نعم.

أجاب (سول) بسرعة وكان كل ما قاله المنقذ هو:

ـ هممم..

بدا عليه التفكير لحظة ثم مد يدا في جيب سرواله وأخرج منه قنينة زجاجية صغيرة تحتوي على شيء أسود اللون وسأل:

ـ ماذا تستطيع إخباري عن هذا؟

في البداية لم يعرف (سول) ماذا تعني تلك القنينة ولكنه وبعد تركيز أدرك ما الذي يوجد داخلها. كان يعلم تماما أن أي علامة ذعر أو حتى فهم قد يعني نهايته، لذلك بأعصاب فولاذية احتفظ بهدوئه أو هكذا خيل له وهو يقول:

ـ ما هذا بالضبط؟

ضحك المنقذ مرة أخرى، ومرة أخرى كانت الضحكة خارج السياق العام.

ـ إنها بقايا ورق محترق وجده المطهرون بركن في غرفتك. أصابهم هذا بالحيرة فهم لم يدروا ماذا تفعل تلك البقايا في غرفتك إلا أني وجدت التفسير المناسب.

تضاعفت سرعة ضربات قلب (سول) وهو ينتظر التفسير الذي سيفضحه:

ـ أنت تعمل بالرعي أليس كذلك؟

ـ بلي.

ـ وأثناء عملك تتجول في حقول رعي بها الكثير من الأشجار؟

ـ نعم.

لم يدر (سول) إلى أين تؤدي تلك الأسئلة ولكنه لم يملك سوى أن يتابع المنقذ وهو يكمل:

ـ ربما إذن تكون هذه البقايا مجرد أوراق شجر ميتة سقطت ثم علقت بحذائك وتبعتك إلى المنزل.

رغم غرابة هذا الاحتمال خاصة أنه لم يكن وقت تتساقط فيه أوراق الشجر إلا أن (سول) رد متشبثا بأمل أن ينقذه:

ـ بالفعل هذا احتمال وارد.

ـ وهذا هو ما قلته لهم وما اقتنعوا به..

القليل من الارتياح تسرب إلى قلب (سول) حتى تابع المنقذ:

ـ أعرف أنه يبدو احتمال بعيدا بعض الشيء ولكنه على الأقل احتمالا أفضل من البديل، ألا تظن؟

ماذا يقصد؟ ابتسامة المنقذ تلك اللحظة رغم أنها بدت ابتسامة عادية ولكن (سول) كاد يقسم أنها تحمل شيئا آخر غير مريح، فقد كان يبدو أنه يعرف أكثر مما يبوح به. الخيار الوحيد أمام (سول) كان التشبث بموقفه المدعي الجهل فسأل:

ـ وما الاحتمال البديل؟

أجاب المنقذ بسؤال هو الآخر:

ـ هل تعلم ماذا أيضا أخبرني به زملاء أبيك القدامي؟

ـ أخبروني أن أباك كان شديد الذكاء، فإذا وضعنا هذا إلى جانب عمله كمطهر فيما سبق مما يتيح له معرفة أن استخدام لوحة إليكترونية لكتابة شيء ما قد يرصد بسهولة من قبل مراقبينا، نجد أننا أمام احتمال آخر قد يفسر ما بداخل القنينة..

صمت لحظة نظر فيها إلى القنينة الصغيرة مكملا:

ـ هذا الاحتمال هو أن ما نراه بداخلها هو ورق استخدمه أبوك لكتابة شيء ما لم يرد للمراقبين أن يرصدوه.

هو يعرف.. حتما يعرف.. رغم هذا قرر (سول) التمسك بثباته حتى النهاية متسائلا:

ـ شيء مثل ماذا؟

لدهشة (سول) البالغة، تلاشت ابتسامة المنقذ الغامضة فجأة لتحل محلها ملامح هادئة حنون كالتي قابله بها في البداية:

ـ لا عليك يا بني. المهم الآن أن تنسى ما حدث بأسرع وقت وأن تعاود عملك كي ترضي الإله ومن يدري!!.. فربما عملك وتفانيك يستعطفان قلب الإله الحنون على أبيك فيرحمه بأن يريه ملامح من الفردوس. فقط أخبرني إن كان هناك أي شيء أستطيع فعله من أجلك كي أخفف عنك من وطأة الصدمة.

ردود أفعال المنقذ والتي تتغير بشكل عجيب كانت قد حيرت (سول) تماما فلم يدر ماذا يمكن أن يتوقع منه بعد ذلك. رغم حيرته إلا أنه ارتاح لعدم الإيحاء بأي نوع من أنواع التحقيق. كي يؤكد هذا قال:

ـ أشكرك أيها المنقذ العظيم ولكن هل أفهم من كلامك أن المظهرين لن يقوموا بالتحقيق معي؟

مستنكرا أجاب:

ـ التحقيق معك؟ ولم؟ أنت لم ترتكب أي خطأ.

ـ لا أدري.. هذا ما فهمته من....

قاطعه المنقذ مستعيدا ابتسامته التي قد توحي بأي شيء طبقا للموقف ولكن هذه المرة كانت مطمئنة:

ـ لا.. لا تقلق، فلا يوجد شيء من هذا، والآن سوف أجعلهم يعيدونك مباشرة إلى الحقول كي تمارس عملك فلا يوجد أفضل منه حاليا كي يشغل تفكيرك.

اعتدل واقفا وأقبل عليه كي يساعده على النهوض ثم عانقه مرة أخرى قائلا:

ـ صحبك الإله يا بني.

اتجه (سول) إلى المصعد الذي فتحت أبوابه ليظهر المطهران اللذان صحباه صعودا. لم يدر كيف عرفوا أن اللقاء انتهى ولكنه لم ينشغل بهذا كثيرا، كل ما شغل باله هو راحته أن هذا اللقاء موشك على الانتهاء.

ـ أحلاما سعيدة يا (سول).

التفت بحدة إلى حيث المنقذ الذي قال العبارة فوجده واقفا خلف مكتبه موليا إياه ظهره ومتطلعا إلى مشهد المدينة من الواجهة الزجاجية. لم يواجهه فلم يتمكن (سول) من رؤية ملامحه في تلك اللحظة. كان

احتمال أن يكون مبتسما ابتسامته الغير مريحة متساو تماما مع احتمال أنه فقط يتابع المدينة بملامح هادئة لا انفعال فيها، ومع ذلك فشتان الفارق في المعنى بين الاحتمالين. رغم أنه لم يعرف أي الاحتمالين هو الصحيح، فعبارة المنقذ الأخيرة هذه كانت كافية بالنسبة لـ(سول) كي يحسم أمره بخصوص خطة أبيه.

٦

أوصله المطهرون إلى الحقول. لم ير (آكي) بعد لقائه مع المنقذ وهو فضل هذا على أي حال فلم يكن هناك ما يمكن أن يقوله له. كان النهار قد انتصف فاتجه (سول) إلى قاعة الغداء مباشرة بعد أن بدل ثيابه بزي العمل. استلم طعامه واتجه إلى حيث تجلس (نول). كان مرهقا للغاية ولكن عقله كان يعمل بسرعة خرافية لدراسة الترتيبات اللازمة للهرب. في قرارة نفسه أصبح يدرك أن هذا هو خياره الوحيد وأنه يجب أن يحدث اليوم كما نصحه أباه. لا يستطيع أن ينام مستخدما جهاز أحلامه الليلة لأنه سوف يقرأ البصمة الوراثية الخاطئة هذه المرة. المراقبون سوف يلتقطون هذا وسيدرك الجميع أنه قد أخفى الحقيقة عنهم ووحده الإله يعلم ما يعنيه هذا بالنسبة له. لقاؤه بالمنقذ كان هو الفيصل في قراره هذا فعلى الرغم من أن تصرفات المنقذ الظاهرية كلها بدت طبيعية إلا أن شيئا ما غير مريح بالمرة سكن قلب (سول) بعد هذه المقابلة، وهذا الشيء أكد له أن حياته كما يعرفها قد انتهت فعليا.

لا يعرف لم اتجه إلى حيث (نول) عالما أنها على الأرجح المرة الأخيرة التي يراها فيها ولكنه فعل على أي حال. جلس فتظاهرت بعدم رؤيته كما فعلت

اليوم السابق. لم يجد في نفسه رغبة في تناول الطعام فلم يفعل شيئا سوى النظر إليها. لاحظت نظراته وهي تختلس رؤيته بين الحين والآخر بينما تتظاهر بتناول طعامها دون أن تقول شيئا. هي لا تعلم بأمر الحادثة، في الواقع لا يبدو أن هناك أي أحد يعلم بما حدث.. توقع هذا فالمطهرون أخبروه أن حادثة أبيه سوف تظل سرا لأنهم لم يروا داع أن يؤرق الحادث العجيب الناس. لم يكن هذا صعبا فالحقيقة أنه لا أحد سوف يفتقد أباه أو يسأل عنه.

شعر ببعض من الحسد ناحية (نول) وهو يراقبها، فها هي تمارس حياتها الطبيعية المرتبة، تأكل ثم بعدها تذهب إلى عملها حتى المساء فتعود إلى منزلها لتنام وتستيقظ فتعيد الكرة. لا تحمل هم مفاجآت الحياة ولا قلق أن يلتفت إليها أحد، وعندما يخبرونها أن زوجها المستقبلي قد اختفي، لن يغير هذا شيئا في حياتها.. الشيء الوحيد الذي قد يضايقها هو أنها ستضطر أن تخوض إجراءات اختيار زوجها من جديد.

ـ (نول).. هل أنت سعيدة لأني سأكون زوجك؟

لم يبد عليها فهم السؤال فردت بسؤال آخر:

ـ ماذا تعني؟

ـ أعني ما قلته بالضبط، هل أنت سعيدة لأني سأكون زوجك؟

صمتت لحظات تفكر ثم أجابت:

ـ أكيد، أليس زواجنا هذا هو رغبة الإله لنا؟

ـ بلى ولكن.. هل كان الأمر سيكون سيان بالنسبة لك إن كنت شخصا آخر؟

مرة أخرى لم يبد أنها تفهم مغزاه و(نول) لم يلمها كثيرا على ذلك، فهو نفسه لا يعرف الغرض من سؤاله هذا خاصة وأنه يعرف الإجابة جيدا. بالتأكيد لا فارق لديها إن تزوجته هو أو أي شخص آخر. لم يظن أن هناك علاقة خاصة قد تربط بينهما وهما لم يعرفا بوجود أحدهما الآخر إلا من أيام معدودة؟ هو نفسه لم يهمه أي زوجة سيتم اختيارها له فهو كان مسلما تلك المسألة للإله، فلم إذن هذا السؤال؟ لماذا يهمه أن يشعر بأن هروبه سوف يؤثر بحياة شخص ما؟ جاءته إجابتها المتوقعة بعد قليل:

ـ حقيقة أنا لا أفهم ما تعني، فأنت الشخص الذي اختاره الإله لي وليس شخصا آخر. إذن أنت هو الاختيار المثالي.

رغما عنه ابتسم ابتسامة مرهقة متسائلا في سره عن رد فعلها حين تعلم بهروب هذا «الاختيار المثالي». لم يعد هناك ما يقال فصمت. شيء أشبه بالحزن قد انتابه حين تذكر اليوم السابق وهذه اللحظة التي ضحكت (نول) فيها. انتهى وقت الغداء وتفرق الجميع. نظر إليها نظرة مودعة لم تلتفت لها وهي تسرع للخروج من القاعة عودة لعملها.

نفض عنه المشاعر العجيبة التي انتابته وعاد هو الآخر إلى عمله. يومه الأخير كان مع الدواجن. لم يسأله كبير الرعاة لم لم يحضر هذا الصباح. لابد أن المطهرين قد تحدثوا إليه، ولكنه واثق أنهم لم يخبروه كل شيء. مارس واجبات عمله المعتادة مثل تغيير الماء وجمع البيض، لم يكن بحاجة إلى أن يطعم الدواجن فقد تم تقديم الطعام إليهم هذا الصباح. مر اليوم حتى وصلت الساعة السادسة مساء. اتجه الجميع إلى أماكن تغيير الملابس ولكن (سول) كانت لديه وجهة أخرى.

أول شيء في ترتيباته كان الحصول على الطعام وهو ما لم يكن صعبا فالمخازن الملحقة بالحقول كانت بها ما يريد. اتجه إلى المخازن وحيا الحارس الجالس أمامها داخل حاجزه الزجاجي المنيع. وجود الحراس كان هاما لتفادي وقوع سرقات من قبل المنبوذين المتسللين. الحارس لم يوقفه فهو معتاد على دخول وخروج الرعاة طوال الوقت. دخل (سول) فوجد ثلاجات الأطعمة على الجانبين والتي تحتوي على لحوم وبيض وألبان مما تنتجه الحقول. اتجه أولا إلى الرفوف على يمينه ليأخذ منها حقيبة متوسطة الحجم متينة الجوانب موصلة بكابل يخرج من الحائط. كانت تلك هي حقائب حفظ الطعام والتي يستخدمها مسلمو الطعام إلى المنازل فهي تستطيع أن تحتفظ بدرجة حرارة منخفضة لفترة تصل إلى ثلاثة أيام دون الحاجة إلى شحن جديد لطاقتها. خلع كابل الحائط من إحداها ثم وضع داخلها دجاجتين مجمدتين وقطعتي لحم بقري وبعض البيض الذي وضعه في جيب جانبي خاص يحافظ عليه ضد الكسر. لم يدر كم من الوقت يمكن أن يكفيه هذا الطعام ولكنه ما سمح به حجم الحقيبة كما أنه لم يرد أن يحمل وزنا ثقيلا لمدة سير لا يعلمها. حاول ألا يفكر فيما سيحدث له إن نفد طعامه دون أن يلتقي بالمنبوذين، فهو في الحقيقة لا يعرف ان كان سيظل حيا كي يقلق بخصوص هذا الشأن. لم ينس أيضا أن يضع خمس زجاجات مياه صغيرة قبل أن يغلق الحقيبة ويخرج. الحارس كان منهمكا في النظر إلى المجهول فلم يلتفت إلى (سول) أثناء خروجه وكان هذا جيدا، فـ(سول) لم يملك تفسيرا واضحا لأخذه حقيبة الطعام من المخازن.

وجهته الثانية كانت غرفة الأدوات وهذه لم يكن عليها حارس. هذه

الغرفة كانت تحتوي على ما قد يحتاج إليه الراعي أثناء عمله من أدوات مختلفة. دلف إلى الغرفة وتناول حقيبة أخرى لينة هذه المرة ثم وضع بداخلها مجموعة من أشياء تشبه الأصابع الصغيرة وتستخدم في إشعال النار. التقط أيضا سوارا لفه حول رسغه الذي هزه فأضاء جانب السوار بضوء قوي موجه إلى الأمام. هز رزغه مرة أخرى فانطفأ الضوء. السوار كان به نتوء مرر يده فوقه فانطلق ضوء خفيف للغاية من السوار ليرسم دائرتين زرقاوتين الواحدة داخل الأخرى، الدائرة الصغرى كانت تعرض ساعة رقمية أما الكبرى فكانت بوصلة يشير سهمها الصغير تجاه الشمال. كان هذا أحد السوارات التي يستخدمها الحراس أحيانا إن احتاجوا أن يحققوا في شيء مريب خارج حدود المدينة. نظر حوله كي يرى إن كان هناك شيء آخر قد يفيده في رحلته. لم يكن يوجد أي شيء يمكن أن يستخدم كسلاح ولم يشغل هذا بال (سول) كثيرا فهو يعلم جيدا أنه في حالة مواجهته خصم اعتاد الحياة خارج المدينة فلن ينفعه سلاح هو غير معتاد على استخدامه حتى إن وجد. اكتفى بما جمعه ثم عاد إلى أماكن تغيير الملابس. كان يستطيع رؤية الحافلات التي تستعد للرحيل من بعيد. لم يكن قلقا من أن يفتقده أحد فالعيون تكون مترقبة في الصباح لتسجيل من حضر ومن لم يحضر إلى العمل، أما في المساء فلا أحد يهتم، فلا يوجد شخص طبيعي قد يتأخر على حافلة العودة للمنزل. خلع ملابسه ثم استعد للاستحمام في الحمامات الخالية. لا يعلم كم من الوقت قد يمر قبل أن يتمكن من الاستحمام من جديد. بعد انتهائه، وضع في الحقيبة اللينة زيا نظيفا من أزياء الرعاة وملابس نومه التي أتى بها من المعبد الأكبر ثم ارتدى قميصا وسروالا يحتفظ بهما في خزانته للحالات الطارئة.

راجع استعداداته في ذهنه كي يتأكد أنه لم ينس شيئا ثم خرج إلى الحقول. عصر مخه كي يتذكر خريطة أبيه. الثغرة الأمنية في محيط المدينة كانت تقع شمالا فاخترق الحقول متجها إليها. الشمس كانت قد غابت تماما فهز (سول) رسغه ليضيء طريقه. كان يعلم بوجود حراس يجولون هذه المنطقة ليلا ولكنه أيضا يعلم أنهم كسالى ولا يجولون باستمرار. فقط تمنى ألا يلمح ضوءه أحد من بعيد. وصل إلى خط الأشجار الواقع في أقصى الشمال الشرقي للحقول فاتجه يسارا. بعد دقائق وجد التجويف الخالي من الأشجار الذي رآه في خريطة أبيه. تذكر أن السهم الذي كان بالخريطة كان يشير إلى الشمال تحديدا دون أي ميل فأخذ بضع خطوات داخل التجويف ثم ضبط بوصلته بأن ضغط باتجاه الشمال واستمر بضغطه قليلا حتى اهتزت البوصلة هزة خفيفة. أصبحت بهذا مثبتة على هذا الاتجاه فإن مال عنه سوف تهتز البوصلة حتى يعود إلى الطريق الصحيح مرة أخرى.

هذه هي اللحظة إذن، لحظة تغير حياته بالكامل. خفق قلبه بقوة متطلعا إلى الظلمة الحالكة خلف الأشجار والتي تطلعت إليه هي الأخرى في تحد. هل يجرؤ على فعلها ويخطو تلك الخطوة؟ ثم ما الذي تعنيه تلك الخطوة بالضبط؟ هل هي خروج بلا رجعة من طاعة الإله؟ لم يرد أن يصدق هذا. لحظات أخرى قضاها يفكر بـ(آكي) وإذا كان هروبه هذا سيؤذيه بطريقة ما. الوقت كان يمر وهو ينظر إلى المجهول بقلب راجف.

ـ أحلاما سعيدة يا (سول)..

استعاد ذهنه كلمات المنقذ الأخيرة، فأخذ نفسا عميقا ثم أخذ الخطوة.

٧

هز أحد أصابع إشعال النار بقوة ثم ألقاها بين العيدان الخشبية التي جمعها في كومة صغيرة. كل معلوماته عن سبل العيش في البرية كانت آتية من قصص الكهنة عن الناجين الأوائل وكيف صمدوا بعد الكارثة مما يجعل معلوماته محدودة للغاية. إحدى هذه المعلومات كانت الحرص على انتقاء العيدان الجافة أثناء إشعال النار، المهمة التي اكتشف أنها ليست سهلة كما تبدو، فرطوبة الصيف في الغابة كانت قد امتدت إلى معظم ما يجده. انتظر لحظات مترقبة حتى اطمأن عند رؤيته للشعلة الصغيرة التي بدأت تلتهم العيدان.

كان قد مشى طويلا وسط الأشجار فقط ليجد أنه لم يقطع سوى كيلومترين خلال ساعة ونصف من السير المتواصل حتى لم يستطع أن يستمر أكثر من هذا. بدأ طريقه شاقا للغاية يعوقه تشابك أغصان الأشجار الكثيفة والتي كانت تخدش يديه ووجهه باستمرار، ساهم هذا مع الرطوبة الخانقة والظلمة الحالكة في إحساسه بأنه ألقي نفسه في عالم لا قبل له به. إحساس آخر بالضياع غلف قلبه فعلى الرغم من أن بوصلته تنبئه باتجاهه وأن سواره يضيء له طريقه إلا أن عدم قدرته على

له أن الأشجار المحيطة به ممتدة إلى الأبد وأنه هو مجرد شيء ضئيل جدا بالنسبة لها. هذا بالإضافة إلى الأصوات العجيبة التي كانت تأتيه من كل مكان حوله والتي كانت تجعله يتلفت فجأة لتوجيه الضوء إلى الوراء ظنا منه أن تلك الأصوات كانت تتسلل إليه من الخلف. فترة عصيبة مرت عليه ولكنه بإرادة بدت كما لو أصبحت فجأة جزءا من شخصيته الجديدة قاوم رغبته الملحة كي يركض عائدا إلى أمان المدينة.

بعد مرور النصف ساعة ال أولى على توغله، بدأت الأمور تتحسن قليلا فعلى الرغم من أن الرطوبة والأصوات لم تهدأ ولكنه اعتاد عليها شيئا فشيئا، كما أن تشابك الأشجار كان قد خف قليلا مما أتاح له سيرا أسهل. إرهاق اليومين الماضيين واللذين لم ينل فيهما قسطا كافيا من الراحة كان قد بلغ ذروته بعد ساعة ونصف، أصيب (سول) بالإحباط عندما قرأ المسافة التي قطعها في تلك الفترة ولكنه قرر أن يستريح رغم هذا. الساعة كانت تشير إلى العاشرة إلا دقائق قليلة. تساءل إن كان غيابه قد لوحظ الآن، فقد مر وقت النوم وتسجيل الدخول بجهاز الأحلام، فهل التقط المراقبون عدم تسجيله وأرسلوا المطهرين إلى منزله للتحقيق؟

راقب النيران المستمرة في الانتشار ثم أخرج قطعة لحم من حقيبة حفظ الطعام وغرز فيها غصنا مدببا ثم مد يده كي تشوي فوق النار. بيده الأخرى تناول إحدى زجاجات المياه وأفرغ كل ما فيها في جوفه دفعة واحدة، فحرارة الجو التي ضاعفت تأثيرها الرطوبة الشديدة كانت تزيد من إحساسه بالعطش وهو ما لم يفكر فيه جيدا، فها هي إحدى زجاجات المياه الخمس التي أحضرها معه تنتهي في أقل من ساعتين على رحيله.

أيقن أن عليه أن يجد مصدرا آخر للماء وسريعا قبل أن ينفد رصيده منها. التهم جزءا من قطعة اللحم التي لم تسوى بالكامل بعد ولكن جوعه كان هو صاحب الكلمة العليا. استعد بعدها للنوم فحاول أن يجد بقعة جافة إلى حد ما ثم وضع حقيبته تحت رأسه كي يستخدمها كوسادة. كانت هناك لحظة فكر فيها عما يمكن أن يرى في حلمه هذه المرة وإن كان سيرى نفس الكابوس لليلة الثالثة على التوالي. فور استعداده للنوم، اكتشف (سول) أن هناك شيئا آخر لم يفكر فيه وهو الحشرات. كان يشعر بقرصاتها في كل جزء من جسده تقريبا ولكنها كانت مركزة أكثر في قدميه ويديه وأحالت محاولات نومه جحيما. قضى بعض الوقت في ضرب ما يراه من حشرات تسير فوق جلده ولكنه بعد فترة استسلم كما استسلم عقله أيضا لسلطة النوم ونام على صوت فرقعة الخشب المحترق.

كان نوما بلا أحلام أو كوابيس حتى شعر (سول) بشيء بارد يلمس عنقه. ظل مستغرقا في نومه ولم يستيقظ بل كل ما فعله هو محاولة إزالة هذا الشيء المزعج بيده ولكنه عندما فعلها، الألم الحاد الذي شعر به في كف يده كان كفيلا بإيقاظه مذعورا. فتح عينيه محاولا النهوض ولكن صوتا شابا أتاه آمرا:

ـ لا.. فلتظل كما أنت.

كان الصوت يتحدث بلغة العالم الجديد ولكن اللكنة كانت مشوهة بعض الشيء. تطلبت عينا (سول) ثوان كي تفيق هي الأخرى فكان أول ما التقطته حواسه هي رائحة كريهة أزكمت أنفه. بدأت عيناه تعتادان الرؤية من جديد، فرأى أول ما رأى ضوء الصباح الباكر الذي يحاول التوغل إلى قلب الغابة والنار الخامدة ثم رأى مصدر الرائحة الكريهة

والتي كانت عبارة عن قدمين تنتعلان حذاءا مهترئا وتكادان تلتصقان بوجهه. عرف أيضا أن الشيء البارد المثبت فوق عنقه والذي جرح يده هو سكين يبدو الصدأ على معظمه. رفع نظره إلى الأعلى لير صاحب السكين والقدمين فرأى وجه شاب مبتسم يميل بجذعه فوقه. ملامحه توحي أنه في أوائل العشرينات ذوعينين مسحوبتين وشعر قذر لم يمس الماء منذ فترة ليست بالقليلة. ابتسامة الشاب لم تكن جميلة بأي حال فقد كشفت عن أسنان صفراء سقط بعضها تاركا فجوات قبيحة، الشيء الذي لم يره (سول) من قبل في شاب صغير السن كهذا الواقف فوقه. سأل الشاب وهو بادي الاستمتاع بذعر (سول):

ـ من أنت؟ وما الذي تفعله هنا؟ ومن أين أتيت؟ هل أنت قاطع طريق؟

قبل أن يتمكن (سول) من الإجابة على هذا السيل من الأسئلة سمع صوتا أنثويا يجيب عنه:

ـ إنه من المدينة.

التفت إلى مصدر الصوت فرأى تلك الفتاة التي ظهرت من خلف الأشجار. كانت من نفس سن الشاب تقريبا صغيرة الجسم قمحية البشرة ذات شعر قصير به بعض الشوائب هو الآخر ولكنه أنظف كثيرا من شعر الشاب. أسنانها أيضا رغم أن بها اعوجاجا خفيفا ولكنها لم تفقد أيا منها كما لم تفقد لونها الأبيض. ثيابها كانت كثياب الشاب ذات ألوان عجيبة غير متماشية والبلى يبدو عليها وعلى حذائها ذي الرقبة الطويلة والذي ضمت طرف سروالها داخله. حول وسطها، التف حزاما جلديا تدلي من كلا جانبيه سكينان يبدوان أفضل حالا بكثير من سكين الشاب

التي فوق عنقه. كانت مقطبة الجبين وهي تقترب منهما. قال الشاب شيئا ما موجها كلامه إليها دون أن يزيح السكين عن عنق (سول) الذي لم يفهم ما قاله هذه المرة فقد تحدث بلغة غريبة لم يسمعها من قبل ولكنه استنبط من لهجة الشاب أنه يسأل سؤالا ما. أشارت الفتاة إلى (سول) وهي تجيب بنفس اللغة ثم أشارت إلى حقيبته وحقيبة الطعام. بدا على وجه الشاب عدم الاقتناع وهم أن يتمتم بكلمات أخرى إلا أن (سول) وجد صوته أخيرا:

ـ هل أنتما من المنبوذين؟

هنا ضحك الشاب قائلا:

ـ «المنبوذون!!».. نعم، هو من المدينة كما قلت فوحدهم هؤلاء الحمقى هم من يطلقون علينا هذا الاسم. ولكن ما الذي يفعله أحد سكان المدينة هنا؟

ـ لا يهم، فلنقتله ونأخذ أشياءه ونرحل.

قالتها الفتاة في بساطة مرعبة جمدت الدم في عروق (سول) خاصة أن الشاب بدا عليه أنه سعيد بهذا القرار فصاح بسرعة بالاسم الذي أخبره به أبوه:

ـ (ماليك)..

الاسم أدى إلى تأثير بالفعل ولكنه لم يكن التأثير الذي تمناه (سول)، ففور أن سمعت الفتاة هذا الاسم انقضت عليه مزيحة سكين الشاب من فوق عنقه التي لفت كفيها حوله وجذبته منه كي ترغمه على الوقوف على قدميه ثم دفعته بقوة لا يوحي بها صغر جسمها ليصطدم ظهره بقسوة بجذع شجرة ضخم. تأوه متألما ولكنها لم تلتفت لهذا صائحة:

ـ كيف عرفت هذا الاسم؟ أجبني..

قاوم (سول) إحساسه بالألم والاختناق وهو يجيب:

ـ أبي.. أبي هو.. من أخبرني به.

ـ ومن هو أبوك؟ ولماذا أخبرك بهذا الاسم؟

فطن (سول) أنه ليس من الحكمة أن يخبر هذين بكل التفاصيل خاصة تلك المتعلقة بعمل أبيه السابق فأجاب:

ـ هو يعرف (ماليك) وقد.. قد أبلغني أن أوصل إليه رسالة خطيرة.

ـ أي رسالة؟

ـ لا أستطيع أن أخبر بها أحدا سوى (ماليك) نفسه.

لم توجد رسالة بالطبع ولكن (سول) كان يبحث عن إجابة لا تورطه أكثر وفي نفس الوقت تخرجه من موقفه هذا. بسرعة البرق تناولت الفتاة أحد السكينين المتدليين من حزامها وللمرة الثانية في أقل من دقائق وجد (سول) سكينا مثبتا فوق عنقه وصوت الفتاة المهدد يقول:

ـ سوف تخبرني الآن فحوى هذه الرسالة وإلا سأذبحك.

كان (سول) يصدقها تماما ولكنه كان متأكدا أيضا أنه حتى لو كان لديه رسالة حقيقية وأخبرهما بها فسوف يقتلانه بعد أن تكون الحاجة إليه قد انتهت فثبت على موقفه:

ـ يمكنك أن تقتليني ولكنك بهذا سوف تحرمين (ماليك) من تسلم الرسالة وأنا لا أظنه سيكون سعيدا بهذا.

لحظات والفتاة تنظر إليه بعينين تقدان شررا وتضل السكين الخاد هذه المرة ينغرز في عنقه أكثر ليسيل منه خطا دمويا دافئا. صاح الشاب بشيء ما ولم ترد الفتاة والتفكير بادي على وجهها وكأنها تقلب المسألة في رأسها. أخيرا أفلتته مبشرة بنجاح خطته ثم مدت يديها لتفتشه بعناية وعندما انتهت سألته بصرامة:

ـ ولم لم يأت أبوك ليوصل الرسالة بنفسه؟

حاول إيقاف نزيف جرحه بيده واطمأن أنه لم يكن غائرا ثم أجاب:

ـ لأنه.. مات.

بدت خيبة الأمل على وجه الشاب عندما أدرك أنهما لن يقتلاه فوجه بعض كلمات غاضبة إلى الفتاة لم يفهمها (سول) ولكن تلك الأخيرة ودون أن تزيح نظرها عن (سول) أجابت إجابة ما حاسمة فاكتفى الشاب بأن قطب ممتعضا ثم اتجه إلى أشياء (سول) يحملها. أدرك هذا الأخير من هذا الموقف أن الفتاة هي صاحبة الكلمة العليا هنا. بنفس الحسم وجهت كلامها إليه:

ـ هيا تقدم أمامنا، فسوف نأخذك إلى (ماليك)، ولكن إن كنت تكذب أو حاولت فعل أي شيء مريب أثناء الطريق.. فسوف أذبحك.

وكما صدقها المرة الأولى، صدقها أيضا هذه المرة.

٨

مشوا حوالى ساعة وسط الأشجار دون تبادل حرف واحد، فقط نظرات الغضب من الشاب ونظرات الوعيد من الفتاة. تعبيرات وجهيهما كانت تتجاوز سنين عمرهما المعدودة فقد كانت قاسية لا تحمل تعاطفا كما أن عيونهما كان بها شيء ما يشبه نظرة الترقب الغريزية لدى الحيوانات. لم يحملا أي بوصلة ولكنهما كانا واثقين في خطواتهما وكأنهما يحفظان هذه الغابة عن ظهر قلب.

وصلوا أخيرا إلى مساحة قليلة الأشجار وفور أن عبروا إليها اتسعت عينا (سول) في انبهار، فقد رأى حصانين مربوطين بإحدى جذوع الأشجار ومنهمكين في تناول الحشائش. كانت هذه هي المرة الأولى التي يرى فيها (سول) حصانا. هو درس الخيول بعض الشيء في مدرسة الرعاة ولكن هذا الجزء كان ضئيلا بالمقارنة بدراسة باقي الحيوانات فالخيول قد اختفت من المدن منذ سنين ولم تعد هناك حاجة إليها في الرعي. لهذا وعلى الرغم من الهزال الواضح للحصانين، ظن (سول) أنهما أجمل شيء رآه في حياته. أحدهما كان رماديا وأضخم حجما من الآخر ذي اللون الأسود والبقع البيضاء. ابتسم الشاب الذي بدا أنه تجاوز مرحلة الغضب لعدم تمكنه من قتله قائلا:

ـ أنت محظوظ أيها العبد، فالحصانان لم يسرقا هذه المرة مما يوفر عليك مشوارا طويلا على قدميك.

ـ «العبد»؟

بدهشة سأل (سول) فأجابه الشاب ضاحكا:

ـ ألا تطلقون علينا اسم «المنبوذين»؟ حسنا.. نحن أيضا نطلق عليكم اسما وهو «العبيد».

قالها بلهجة ساخرة إلا أن (سول) لم يفهم ما الذي يدعو إلى السخرية في هذا، ألا يطلق هذا اللقب على العبيد الطائعين ويعتبر تبجيلا لهم؟ دفعه هذا للتساؤل:

ـ ولماذا تطلقون علينا هذا الاسم؟

ـ هاهاهاها..

كانت هذه هي إجابته وعرف (سول) أنه لن يحصل منه على أكثر من هذا فسأل سؤالا آخر:

ـ من هم الذين كان يمكن أن يسرقوا الحصانين؟

أجابت الفتاة هذه المرة دون أن تتغير نظرة وعيدها:

ـ هل ظننت أننا الوحيدون الذين يسكنون خارج المدن؟ كم أنتم عميان يا أهل المدن.

أكمل الشاب:

ـ فلنقل أنك كنت محظوظا لأننا نحن من وجدناك وليس «هم».

اتجهت الفتاة إلى الحصان الأضخم والشاب إلى الأصغر حجما وبمهارة وسرعة بهرتا (سول) اعتلى كل منهما حصانه ثم أشارت له الفتاة أن يتقدم كي يعتلي الحصان خلفها. حاول أن يفعلها بنفس سرعتها فسقط أرضا. ضحك الشاب وصهل الحصان صهيلا قلقا. مغتاظا اعتدل (سول) ليجد يد الفتاة ممدودة إليه هذه المرة. أمسك يدها فجذبته بنفس القوة المدهشة لتضعه خلفها قائلة:

ـ تمسك جيدا فإنك إن سقطت لن نعود من أجلك.

لم يكن هذا سهلا على (سول) الذي حاول التغلب على شعوره بالحرج، فهو لم يسبق له أن كان بهذا القرب من جسد فتاة، حتى (نول)، زوجة المستقبل التي كانت.. هو حتى لم يمسك يد هذه الأخيرة. مد يدين مترددتين ليحيط بهما جسدها الصلب فأمسكت لجام الحصان وبدأت المسير يتبعها الشاب فوق حصانه. رائحتها كانت تختلف تماما عن رائحة الشاب فقد كانت عطرية جميلة تشبه رائحة الورود الناضجة.

المسير كان بطيئا نسبيا فتشابك الغابة لم يسمح لهم أن يسرعوا أكثر. بعد بضع ساعات وتوسط الشمس السماء سأل (سول) الفتاة:

ـ كم من الوقت بقي أمامنا؟

ـ أربعة أيام.

ـ ماذا؟

الرقم كان كبيرا بالنسبة لـ(سول) الذي لم يكن يحمل أي فكرة عن نسب المسافات خارج المدينة. أربعة أيام في العراء!!.. بدت لـ(سول) فترة أبدية.

اللغة التي لا يفهمها (سول) مما أغاظه:

ـ أي لغة هذه التي تتحدثان بها؟

لم تلتفت إليه الفتاة ولكن الشاب أجابه بشيء من الفخر:

ـ إنها إحدى لغات العالم القديم.. تدعى العربية.

بالطبع لم يسمع بها (سول):

ـ ولم تتحدثون بها وأنتم تجيدون لغة العالم الجديد؟

أجابت الفتاة بلهجة مشمئزة:

ـ هذه هي لغتكم أنتم أيها العبيد. نحن نتعلمها فقط كي نعرف كيف نتعامل معكم. والآن.. أقترح عليك الصمت حتى لا ينفد صبري وحينها لن أفكر فيما يمكن أن يفعل (ماليك) إن قتلتك.

كان (سول) قد سئم هذا اللقب والذي وإن كان لم يفهم بعد ما العيب فيه، فهو لسبب ما كان يشعر بالإهانة عندما يقوله أحدهما. دفعه هذا للرد في عناد:

ـ اسمي (سول) وأعتقد أن التفاهم بيننا سيكون أسهل إن عرف كل منا اسم الآخر.

هم الشاب بقول شيء ما ولكن الفتاة نهرته بنظرة صارمة فلاذ الصمت أما هي فقالت بلهجة ناهية للنقاش:

ـ نحن لا يهمنا اسمك.. أيها العبد.

بالفعل انتهى النقاش عند هذا الحد حتى اقترب الغروب. توقفوا ثم ترجلوا عن الحصانين ليشعر (سول) بألم بين الفخذين ناتج عن الركوب كل تلك الساعات. أوقدوا نارا مستخدمين تلك الأصابع الصغيرة التي جلبها (سول) معه، كما أن الشاب والفتاة شربا من زجاجات المياه التي جلبها هي الأخرى وأعطياه زمزمية إحداهما ليشرب هو منها. مياه الزمزمية كانت بها عكارة وطعمها طيني جعل وجه (سول) يتقلص وهو يشربها فضحك الشاب مستمتعا:

ـ هاهاها.. ألا تعجبك مياهنا؟ لا تقلق فسوف تعتاد عليها. أما بخصوص مياهك التي نشربها، فاعتبرها أجرنا مقابل حمايتك حتى تصل إلى (ماليك). فنحن «المنبوذون» قلما نجد مياها نقية كهذه.

تناولوا اللحم الباقي ثم ومع الغروب التام، أطفأوا النار. تساءل (سول) عن سبب إطفائهم النار وكالعادة كان الشاب هو المجيب:

ـ النار قد تفيد في إبعاد الحيوانات الضارية ولكنها أيضا قد تجذب الحيوانات الأكثر فتكا..

نظر إلى عيني (سول) مباشرة وبلهجة مسرحية أراد منها إدخال الذعر في قلب (سول) أكمل:

ـ قطاع الطريق.

إذن هؤلاء هم سارقو الخيول. لخيبة أمل الشاب الثانية هذا اليوم، لم يبد فزع حقيقي على وجه (سول) الذي لا يعرف لماذا عليه أن يخش هؤلاء. توجهت الفتاة بعدها إلى سرج حصانها لتخرج منه فرشة سميكة فردتها فوق الأرضية الخضراء استعدادا للنوم. وجهت بضع كلمات إلى

الشاب فاتجه إلى جذع شجرة وجلس مسندا ظهره عليه متطلعا إلى الظلام المحيط. وجهت بعدها كلامها إلى (سول):

ـ سوف نتناوب أنا و(زيوس) على الحراسة وسوف يتولى هو الفترة الأولى.

ابتسم (سول) ولم تفهم هي لم حتى قال:

ـ إذن اسمه (زيوس)، ماذا عنك؟

لم ينجح الظلام في إخفاء ملامح الغيظ البادية على وجهها عندما أدركت زلة لسانها. زاد من غيظها ضحكة (زيوس) التي حاول كتمانها فاتجهت إلى فرشتها مولية ظهرها لـ(سول) وأكملت كأنها لم تسمعه:

ـ أما أنت فلا يهمني إن نمت أم ظللت مستيقظا، ولا يهمني حتى إن هربت في الظلام، فأغلب الظن أنك لن تظل حيا ليوم آخر إن فعلت، ولكن في تلك الحالة لن يقع لوم (ماليك) إلا على غبائك.

شعر ببعض النصر لغيظها ثم حاول كالأمس إيجاد بقعة جافة وحين وجدها مدد جسده فوقها. تمنى لو أن لديه شيئا يفرده تحته كالذي تنام عليه الفتاة ليقي جسده من قسوة الأرض الغير مستوية. عادت الحشرات تمارس هوايتها في تعذيبه مرة أخرى فاستغرقت المسألة بعض الوقت حتى يألف قَرصاتها من جديد وينام.

أيقظته الرائحة الكريهة المألوفة وصوت الشاب الذي صار يعرف أن اسمه (زيوس):

ـ استيقظ أيها العبد..

كانت ليلة أخرى بلا كوابيس، حلم (سول) حلما ما لا يتذكر تفاصيله ولكنه قطعا لم يكن الكابوس الذي يطارده. رغم ارتياحه لهذا إلا أنه حين فكر أن الكابوس قد لا يزوره من جديد، أصابه هذا بقلق غير مفهوم. الفتاة كانت تعتلي ظهر حصانها بالفعل تنتظره بنفاد صبر واضح. جاهد (سول) كي يفيق سريعا وتاقت نفسه لبعض الماء يغسل به وجهه ولكنهم لم يكونوا ليهدروا هذا المورد الحيوي فقط ليغسلوا وجوههم. صعد إلى ظهر الحصان بمساعدة فاترة منها ثم استمرت المسيرة البطيئة. من بوصلته، عرف (سول) أنهم مازالوا يسيرون في خط مستقيم تجاه الشمال.

ـ لماذا سميت (زيوس)؟

سأل (سول) موجها كلامه إلى الشاب فالتفت إليه هذا الأخير وأجاب بفخر:

ـ أنا لم يسميني أحد، فأنا الذي أطلقت هذا الاسم على نفسي، وهو اسم ملك الآلهة.

مندهشا سأل (سول):

ـ ملك الآلهة؟ أي آلهة؟ الإله العظيم هو الإله الوحيد؟

ـ هذا طبقا لكم أيها العبيد، ولكن الحقيقة أن العالم به آلهة فوق الحصر.

لم يستسغ (سول) هذه الفكرة على الإطلاق ولكنه تذكر أن المنبوذين هم خارجون عن طاعة الإله وساقطون في ظلمات الشر فليس عجيبا أن يتبعوا آلهة أخرى الشر هو مصدر قوتها. هم بقول شيء ما ولكن توقف الحصان المفاجئ أسكته، فالفتاة شدت لجامه وأخذت تدور بنظرها في الأشجار المحيطة بهم. كانت المرة ال أولى التي يرى فيها القلق في عينيها.

توقف (زيوس) هو الآخر وقال شيئا ما بالعربية بدا كسؤال وما كاد ينتهي منه حتى انزلق جذع شجرة ضخم معلق من طرفيه بحبال قوية تجاههم بكل ثقله. لفت الفتاة جسدها بسرعة خرافية وأحاطت جسد (سول) بذراعيها لتسقطهما معا فوق الأرض قبل أن يصطدم الجذع بهما. تأوه (سول) متألما ولكنه اكتشف بعد ثوان أن مصيره أفضل من مصير (زيوس) الذي لم يكن بنفس سرعة الفتاة فضربه الجذع وانتزعه نزعا من فوق ظهر حصانه ليطير جسده في الهواء بضعة أمتار قبل أن يسقط «ملك الآلهة» مغشيا عليه.

الحصانان كانا في حالة ذعر واستعدا للفرار ولكن انطلق من وسط الأشجار رجلان قويان أمسك كل منهما بإحدى لجامي الحصانين ليهدئوهما. سرعان ما انضم إلى الرجلين ثلاثة آخرون ظهروا من مكان ما. الخمسة رجال كانوا غاية في الضخامة بشكل لم يتناسب مع حجمي الفتاة و(زيوس). قفزت الفتاة واقفة جاذبة (سول) بقوة ليقف هو الآخر خلفها ثم انتزعت سكينيها من حزامها وواجهت الرجال الثلاثة المتقدمين تجاههم فضحكوا وقال أحدهم الذي هو في نفس الوقت أضخمهم بلغة العالم الجديد:

ـ القطة تريد أن تحمي صغيرها.. هاهاها..

أثار تصرفها دهشة (سول) هو الآخر فهي كانت واضحة تماما في التعبير عن مشاعرها اللا مبالية تجاه ما يحدث له الليلة السابقة. يبدو أنها لم تكن لتخاطر ألا يتسلم (ماليك) رسالة (سول) الخطيرة الوهمية. هي فقط كانت تكذب عليه لإخافته من الهرب. ردت بسخرية شعر (سول) أنها تستخدمها درعا لمداراة توترها:

ـ إن كان الحال هكذا، فعليك إذن ألا تهدد صغير القطة قبل أن تنهشك بأسنانها.

رد الضخم الذي خمن (سول) أنه زعيمهم:

ـ وما الذي تستطيع قطة صغيرة مثلك أن تفعل أمام ستة رجال.

ستة!! لم يكد يقولها حتى قفز الرجل السادس من فوق الشجرة التي يحتميان بها ليسقط الفتاة و(سول) أرضا. فقدت السكينين من أثر السقطة وحاولت أن تستعيد توازنها ولكن قدم أحد الرجال ثبتتها فوق الأرض كما ثبت آخر (سول) وفجأة تحول الموقف من السيئ إلى الأسوأ بكثير. أخذت الفتاة تصيح وهي تحاول جاهدة التخلص من الثقل القابع فوقها ولكن محاولاتها لم تزد الرجال إلا ضحكا.

مال أحدهم فوق جسد (زيوس) يتحسسه ثم أعلن أنه لا يزال على قيد الحياة فابتسم زعيمهم في رضا:

ـ هذا جيد، فأنا أحب أن آكل اللحم طازجا.

خيل إلى (سول) أنه لم يسمع جيدا. بالتأكيد هو أساء تفسير ما قاله زعيمهم للتو والذي قطعا لا يعني ما قاله حرفيا. تابعت عيناه الزعيم وهو يقترب منه متسائلا في فضول:

ـ والآن.. ما المميز في هذا النحيل والذي يجعل القطة تحاول حمايته؟.. هو بالتأكيد رائحته أفضل من المعتاد في هذه الأنحاء وأسنانه نظيفة لامعة و..

صمت عندما وقعت عيناه على السوار الذي يرتديه (سول) حول رسغه فانقض عليه وانتزعه متابعا في دهشة:

ـ لقد رأيت مثل هذا السوار من قبل، إنه قادم من المدينة.

تهللت أساريره عندما وصل باستنتاجاته إلى هذه النقطة فصاح في رجاله:

ـ من منكم يا رجال كان يحلم بتناول لحم أحد سكان المدن؟

تعالت الصيحات الفرحة من الأفواه يقابلها ذعر (سول) التام والذي أدرك أنه لم يسيء الظن فيما قال الزعيم سابقا. كيف هذا؟ كيف يأكل البشري لحم البشري؟ في أسوأ كوابيس (سول) لم يتخيل أن هذا هو الحال خارج حدود المدن. شل الرعب تفكيره تماما والزعيم يخرج سكينه هاتفا:

ـ فلنبدأ به إذن، ولكن نظرا لهزاله الواضح، علينا أن نكون حريصين أن نقطع منه أجزاء صغيرة وأن نوقف نزيفه حتى لا يموت فيفسد اللحم.

انطلقت صيحة أخرى موافقة من الحناجر. صاح (سول) أخيرا غير مصدق للجنون الذي يحدث حوله:

ـ ماذا تكونون؟ كيف تفعلون هذا؟ هل أنتم وحوش؟

الإجابة كانت واضحة في العيون المسعورة. جذب الزعيم ذراع (سول) المثبت وهم أن يغرز فيها السكين. أغمض (سول) عينيه في حين أن عقله الغير مصدق لما سيؤول إليه مصيره أخذه في تلك اللحظة إلى الساحة الكبيرة وإلى الشق والرجل الذي كاد يسقط فيه حتى أنقذه (سول). ألح عليه السؤال مرة أخرى وهو: كيف فعلها؟ كل ما حدث هو أن أغمض عينيه وتمنى لو أن الموقف كان مختلفا، تمنى لو أن الرجل

لم يستيقظ وبالفعل هذا ما حدث. ماذا عن الآن؟ هو مغمض عينيه كالمرة السابقة راغب بشدة أن يكون ما يحدث حوله الآن مجرد وهم، بل إن الذي يحدث بالفعل هو أن هذا الزعيم الذي يوشك أن ينزع ذراعه قد ضربه جذع ضخم كالذي هبط عليهم. كل ما تبقى لضمان المحاكاة الكاملة هي الصيحة والتي أطلقها (سول) بكل ما أُوتيت حنجرته من قوة.

شعر بتفريغ هوائي هائل يلحف وجهه مع صوت فرقعة عالية مصحوبا بصياح مذعور. فتح عينيه ليجد مسرح الأحداث كما رآه في عقله بالضبط، فزعيم قطاع الطريق كان مكوما على بعد أمتار منه والدماء تسيل من وجهه المهشم. نفس الجذع الذي هبط عليهم كان مستقرا في مكانه الجديد بعد أن أدى واجبه ودماء الزعيم واضحة عليه. نظرة ارتياع كانت تكسو وجوه الرجال الذين تجمدوا تماما فيما عدا الرجل الذي كان يثبت (سول) أرضا والذي تراجع فزعا محررا إياه. الفتاة هي الأخرى كانت تنظر إليه نظرة ذهول ولكنها كانت أيضا أول من انتزع نفسه من أثر ما حدث فمستغلة أن الرجل الجاثم فوقها قد خفف من ضغطه عليها بعض الشيء، نفضته عن جسدها بحركة قوية سريعة فسقط أرضا، أما هي فمدت يدها إلى أحد سكينيها الساكنين أمامها ثم لفت جذعها برشاقة لتشق عنقه بحركة خاطفة.. الثانية التالية كان السكين يطير في الهواء حتى استقر في قلب الرجل الأقرب لـ(سول) والذي كان مجثما فوقه منذ لحظات. على الرغم من أن الرجال الأربعة الباقين كانوا لا يزالون يفوقون (سول) والفتاة عددا إلا أن ما رأوه يحدث لزعيمهم ثم سقوط زميليهم الخاطف كان كافيا كي يولون الفرار.

بعد أن تأكدت الفتاة من فرار قطاع الطريق التفتت بوجه ملطخ

بدماء هذا الذي ذبحته لتراقب (سول) وهو يهم واقفا. حاولت أن تصبغ نظرتها بالصرامة ولكنها لم تستطع إخفاء ما فيها من خوف. كما توقع، جاءه نفس سؤال الرجل الذي أنقذه في الساحة:

ـ كيف فعلتها؟

ـ كيف فعل ماذا؟

سأل (زيوس) الذي نسياه وسط كل هذا. كان يفيق معتدلا وممسكا خلف رأسه في ألم. شرحت له الفتاة ما حدث سريعا وكيف طفى الجذع في الهواء ليضرب زعيم قطاع الطريق ثم كيف أسقطت اثنين منهم قبل أن يفروا. استمع (زيوس) متابعا بعينيه الجذع والجثث الساقطة وكان كلما استوعب جزءا من الأحداث اتسعت عيناه أكثر. نسي الألم الذي كان يشعر به وهو يقلب كل ما سمعه في عقله وعندما تأكد من امتصاصه كل شيء حدث أثناء غيبوبته، تأمل (سول) في انبهار قائلا:

ـ أنت.. أنت أحد «الحالمين»!!

٩

الليلة الرابعة حلت عليهم فأعلنت الفتاة أن أمامهم ساعتين تقريبا ويصلون. قضوا الأيام الثلاثة بعد الهجوم عليهم في هدوء نسبي دون هجمات أخرى. النتائج التي تبعت الهجوم عليهم كانت عديدة، فمن ناحية بات (سول) متأكدا أن هناك قوة ما بداخله، هو مازال لا يفهمها إلا أنه عندما استطاع أن يستحضر تلك القوة لإنقاذهم، صار لديه شعورا ما بالامتنان تجاهها ولم يكن يشعر بالخوف منها كما حدث في ساحة الاحتفالية عندما ظهرت للمرة الأولى. من ناحية أخرى تغيرت معاملة (زيوس) والفتاة لـ(سول)، فقد كفا أخيرا عن مناداته بلقب «العبد» واستبدله (زيوس) بلقب «الحالم» أما الفتاة فلم تستبدله بشيء إذ أنها تقريبا لم توجه له كلمة واحدة طيلة الأيام الماضية. كان (سول) يشعر بتوجسها منه في نظراتها وفي الرعشة الخفيفة التي تسري في جسدها حين يلمسها وهو راكب فوق الحصان خلفها. كان يريد أن يعرف من هم هؤلاء الحالمين ولم يظن (زيوس) أنه واحد منهم ولكن كان كلما سأل (زيوس) عنهم، تنهره الفتاة كعادتها فيلوذ الصمت. أما إن سألها هي فإجابتها كانت واحدة دائما:

ـ لا يوجد شيء اسمه الحالمون.

عرف (سول) أنه لن يحصل على أي إجابة من هذين.. ربما حين يقابل (ماليك). السؤال الذي وجهه إلى (زيوس) ووجد إجابة له كان يخص قطاع الطريق ومن يكونون.

ـ هم كانوا منا في يوم من الأيام ولكنهم تمردوا وحاولوا الانضمام إلى سكان المدن، وعندما رفضهم هؤلاء ورفضنا عودتهم إلينا، أصبحوا تائهين فكونوا فرقا عصابية تنهب أي أحد يسقطه سوء حظه بين أيديهم.

ـ وهل كانوا حقا سي...؟

لم يتمكن (سول) من إنهاء السؤال، فحتى مجرد التفكير فيما كان قطاع الطريق ينوون فعله بهم كان كافيا كي يجعل فرائصه ترتعد. لم يحتج (زيوس) أن يكمل (سول) سؤاله كي يجيب:

ـ نعم، هم لم يكونوا دائما هكذا فموضوع أكل البشر هذا بدأ فقط لإثارة الرهبة في قلوب الخصوم ولكن بمرور الوقت ومع الندرة الزائدة في موارد اللحوم، صار هذا هو أسلوب حياتهم. هم بالطبع يأكلون أي لحم تقع عليه أيديهم ولكنهم أصبحوا يفضلون اللحم البشري على أي نوع آخر.

كان (زيوس) يقص عليه هذه الحقائق المخيفة ببساطة من اعتاد عليها. اقشعر بدن (سول) وحاول أن يسيطر على غثيان معدته.

الشيء الغريب الذي بدأ (سول) يشعر به والذي لم يتوقعه أبدا هو الألفة تجاه هذين المنبوذين فعلى الرغم من جفاء الفتاة والتي لم تخبره

باسمها إلى هذه اللحظة، فهو لم ينس أنها وضعت نفسها بينه وبين قطاع الطريق لحمايته. صحيح أنه يدرك تماما أن ما قامت به هو من أجل توصيل رسالته وليس حبا فيه هو شخصيا، ولكن لم يمنعه إدراكه هذا من الشعور بأمان أكثر في وجودها، أما (زيوس) فقد كان يذكر (سول) كثيرا بـ(آكي) صديقه الوحيد فقد كانا يحملان نفس الروح اللامبالية المرحة والتي طالما أعجب بها (سول). أصبحت كلمة «منبوذين» باهتة في ذهنه بعد أربعة أيام معهما خالية من المعنى فقد كان كل ما يراه أمامه الآن هو «الشاب» و«الفتاة». رغم هذا لم يخدع نفسه باعتقاد أن المنبوذين خالون من الشر أو معفيون من غضب الإله، هو فقط كان يجد صعوبة في رؤية مصدر هذه اللعنة في هذين الشابين.

مر الوقت وهم يسيرون وسط الظلام، كانوا قريبين من وجهتهم فلم يستريحوا بل واصلو المسيرة حتى يصلوا قبل أن تنقضي الليلة. لم يبد أن عدم القدرة على الرؤية الواضحة يمثل مشكلة للفتاة أو (زيوس) فمن الواضح أنهما قد خبرا تلك الطرقات جيدا لدرجة أنهما لم يعودا بحاجة لرؤيتها. بعد ساعتين، شدت الفتاة لجام حصانها ليتوقف وتبعها (زيوس) ثم صاحت:

ـ أنا (كارما).

أخيرا عرف اسمها ولكنه لم يعرف لماذا تصيح هكذا إلى أن قفز شبحان رشيقان من قمم الأشجار حولهم.

ـ أهلا بعودتك يا (كارما).. أرى أنك مازلت على قيد الحياة.

قال أحد الشبحين في مرح. أدرك (سول) أنهما مجرد شابين وخمن أنهما كانا يقومان بالحراسة. ردت (كارما):

ـ هذه المرة كنا قريبين جدا من ألا نعود أبدا لولا...

لم تكمل، فقط نظرت إلى (سول) متابعة:

ـ سوف نذهب لرؤية (ماليك) الآن، فمعنا ضيف يشتاق لمقابلته.

تمعن الشابان في (سول) بارتياب ولكنهما لم يعترضا طريقهم فقط أمسكا بلجامي الحصانين وعرض أحدهما:

ـ نستطيع أن نعيد الحصانين إلى الحظيرة ونريحكم منهما.

قبلت الفتاة العرض فترجلوا ثم مشوا بضعة أمتار قليلة أخرى حتى انتهت الغابة فجأة ليجد (سول) أنهم وسط مساحة مستوية خالية من الأشجار. الظلام كان يحجب معظم الرؤية ولكن (سول) استطاع تمييز أشكال ضخمة الحجم توحي أنها مبان. أدهشه هذا فهو لم يتوقع رؤية مبان خارج حدود المدينة. كانت تلك المباني تبدو ممتدة إلى مساحة كبيرة كما أنه رأى بقعا مضاءة بضوء النيران. اقتربوا من المباني أكثر فميز أن النيران محاطة بالناس. مروا ببعضهم فحاول أن يتمعن فيهم ولكن ضوء النار المتراقص جعلها مهمة صعبة. الشيء الذي لاحظه أنهم صامتون كالقبور وإن تكلم أحدهم، تكلم بلغة غريبة خمن أن ربما تكون العربية التي يتحدث بها (كارما) و(زيوس). الحالة الصحية لهؤلاء الذين مر بهم كانت تبدو سيئة للغاية، فقد كان الهزال الواضح باديا على أغلبهم مصحوبا بصوت سعال مستمر، بالإضافة إلى أن أسنانهم جميعا كانت تشترك في صفرتها وعدم انتظامها. عيونهم تعلقت بـ(سول) في فضول وهم يمرون إلى أن بلغوا مبني متهالك ارتفاعه قد يصل إلى خمسة طوابق. دخلوا من المدخل المظلم ولا يعرف كيف كانت (كارما) و(زيوس) يتقدمان بثقة

بينما هو يجاهد كي لا تزل قدمه. تذكر متخسرا سنوازه الذي أتسناه كل ما حدث مع قطاع الطريق أن يستعيده من جثة زعيمهم. صعدوا سلما تحسسه أنبأ (سول) بحالته السيئة للغاية، فقد كانت به درجات مكسرة وأخرى مفقودة تماما. وصلوا إلى الطابق الأخير والذي أصبح عبارة عن سطح بعد أن دمر سقفه وثلاثة من حوائطه. أثر الركام كان في كل مكان فتساءل (سول) عن سبب هذا التدمير الذي لحق بالمكان. النار كانت موقدة في وسط السطح يحيط بها ثلاثة رجال يتسامرون. اقتربوا منهم وهمت (كارما) بقول شيء ما إلا أن (زيوس) والذي ظل صامتا فترة قرر أن يقطع صمته في تلك اللحظة بصيحة مفاجئة:

ـ لقد وجدنا أحد الحالمين.

انقطع حديث الرجال فجأة والتفتوا إليهم بحدة. عينا (كارما) كانتا تنطقان شررا وهي تنظر إلى (زيوس) هاتفة بعصبية:

ـ لا يوجد شيء اسمه الحالمون.

رد (زيوس) بعناد وكأنما قد استمد قوة غريبة من وجود الرجال الجالسين:

ـ إذن كيف تفسرين ما حدث لقطاع الطريق؟

ـ هناك بالتأكيد تفسير ما غير...

ـ إذن فلنستمع إلى ما حدث أولا ثم نحكم.

قالها بصوت حازم أحد الرجال الثلاثة ثم أشار لـ(كارما) و(زيوس) و(سول) كي ينضموا إليهم حول النار. كان الرجل والذي خمن (سول)

من لهجته الآمرة أنه هو (ماليك) نفسه في الخمسينات من عمره، ذو شعر طويل أشيب يغطي كتفيه ولحية كثة وكان يرتدي نفس الملابس المهترئة الغير متناسقة والتي يرتديها كل من رآه في هذه الأطلال بالإضافة إلى (كارما) و(زيوس) بالطبع. شعر (سول) بقليل من خيبة الأمل فقد كان (ماليك) مختلفا تماما عن صورته الذهنية والتي كونها (سول) عنه معتمدا على الأهمية التي أولاها أبوه و(كارما) إليه. تصور أنه عملاق ما يثير الذعر في قلب كل من يراه ولكن (ماليك) الجالس أمامه الآن لم يكن حتى ليميزه عن الرجلين الآخرين.

انضم ثلاثتهم إلى الثلاثة رجال بالفعل حول النار ثم حاولت (كارما) أن تسيطر على أعصابها وهي تقول:

ـ (ماليك)، لقد وجدنا هذا العبد مختبئا في أحد طرق منافذنا إلى المدينة وقد أخبرنا أنه يحمل رسالة هامة لك.

هب أحد الرجلين فجأة من مجلسه صائحا:

ـ ماذا؟ هل أتيتما بأحد سكان المدن إلى هنا؟ أجننتما؟ قد يكون هذا فخا من المطهرين للإيقاع بنا.

توتر (سول) شاعرا أن موقفه قد يتعقد. همت (كارما) بالكلام ولكن (ماليك) سبقها قائلا:

ـ لا أعتقد أن هذه لعبة من المطهرين، فهذا ليس أسلوبهم، كما أن (كارما) بالتأكيد فتشته جيدا بحثا عن أي جهاز تتبع، أليس كذلك؟

ـ بلي.

ـ قد يكون أسلوبا آخر يتبعونه أو...

ـ هذا يكفي.. لو كان هذا فخا لوجدنا المطهرين يهبطون علينا الآن، وهذا ما لم يحدث.

رغم علامات عدم الاقتناع التي ظلت على وجه الرجل، آثر الصمت وعاد إلى جلسته.

بعد أن تأكد (زيوس) من هدوء الموقف، تابع كلام (كارما):

ـ ليس هذا كل شيء، فهو أيضا قد قضى على أحد قطاع الطريق بطريقة أقل ما يقال عنها أنها معجزة.

ـ أنت حتى لم تر ما حدث.

قالتها (كارما) فرد (زيوس) بسرعة:

ـ وهل ما قصصته على بنفسك لم يحدث؟

هزت كتفيها متأففة ولم ترد وكانت هذه إجابة كافية. انتبه (سول) أن (ماليك) كان يدرسه بعناية بعينيه الحادتين.

ـ ما اسمك؟

ـ (سول).

ـ وما تلك الرسالة التي تحملها لي؟

حانت لحظة الحقيقة. اختلس (سول) النظر إلى (كارما) وهو يجيب ببطء:

لم يكمل مما جعل (كارما) تسأل في غضب:

ـ في الحقيقة ماذا؟

أجاب (ماليك) نيابة عنه مقطبا حاجبيه:

ـ الحقيقة واضحة يا (كارما)، فهذا الشاب لا يحمل أي رسالة على الإطلاق. مما يجعلني أتساءل عن نواياه الحقيقية للمجيئ إلى هنا ومقابلتي.

تابع مشيرا إلى الرجل الذي غضب سابقا عندما عرف أن (سول) من سكان المدن:

ـ أمامك خمس ثوان لتخبرني بالسبب الحقيقي لوجودك هنا وإن لم يعجبنا فسوف يمزقك صديقي سريع الفتيل هذا.

بلع (سول) ريقه بصعوبة متأملا الرضا الواضح على ملامح الرجل والذي ضم قبضتيه استعدادا لتمزيقه كما وعد (ماليك).

ـ لقد.. لقد أرسلني أبي إليك.

ـ ومن هو أبوك؟

ـ اسمه (رانو)..

اتسعت عينا (ماليك) فأدرك (سول) أن اسم أبيه يعني شيئا ما بالنسبة له. أدرك أيضا من الحيرة التي ارتسمت على عيون الآخرين أنهم لا يشاركون (ماليك) نفس المعرفة.

ـ من يكون هذا الشخص يا (ماليك)؟

تجاهل (ماليك) سؤال الرجل الثالث والذي يتحدث للمرة الأولى وتابع سائلا (سول):

ـ ولكن مازلت لا أفهم لم أرسلك إليَّ؟

لم يكن لدي (سول) في جعبته سوى أن يحكي كل شيء حدث له منذ رؤيته للكابوس أول مرة حتى هروبه من المدينة. لم يترك أي تفصيلة حتى ولو كانت تافهة ففي الحقيقة، (سول) لم يكن يدر أي التفاصيل كانت مطلوبة كي يرسم (ماليك) صورة كاملة للأحداث.

العيون كانت مبهورة بما يقص، خاصة الأجزاء المتعلقة بالاحتفالية وما حدث فيها ومقابلة المنقذ. شعر براحة عجيبة بعد أن انتهى من إلقاء كل شيء أمامهم، فأخيرا أصبح هناك من يشاركه أسراره التي جثمت فوق صدره أياما دون أن يخبر بها أحدا. صاح (زيوس) منتصرا بعد أن سمع للمرة ال أولى كيف أنقذ (سول) الرجل الهاوي في الشق:

ـ ألم أقل لكم؟

حاول (ماليك) التغلب على تأثر بالغ ظهر على وجهه عندما حكى (سول) الجزء الخاص بانتحار أبيه وهو يلتفت إلى (زيوس) قائلا:

ـ حسنا.. الآن هات ما عندك يا (زيوس). ماذا حدث مع قطاع الطريق؟

حكى (زيوس) بحماس منقطع وكأنه رأى كل شيء بعينيه. اختلس

(سول) النظر مرة أخرى إلى (كارما) فوجدها تنظر إليه بشيء من الشفقة التي لم تخل من غضبها المعتاد. بعد أن انتهى (زيوس)، اعتدل (ماليك) واقفا واتجه إلى (سول) وأوقفه هو الآخر ثم أمسك كتفيه وبنفس التأثر قال:

ـ أهلا بك بيننا يا (سـول)، تأكد أننا سوف نحميك هنا بقدر استطاعتنا.

سأله (سول):

ـ هل كنت تعرف أبي؟

التأثر صار حزنا واضحا في صوته وهو يجيب:

ـ نعم.. أبوك كان صديقي.

صعق (سول) للجواب، بالفعل هو اكتشف أن أباه لم يكن الكتاب المفتوح الذي ظنه وقد خمن أنه على علاقة ما بـ(ماليك) أما أن يكون صديقا لأحد المنبوذين فهو الشيء الذي لم يتوقعه إطلاقا. من ملامح الوجوه، علم (سول) أنه ليس الوحيد المندهش بل كان يبدو أن الجميع قد فوجئ بهذه المعلومة. لم ينطق أحد إلى أن قطع الصمت أحد الرجلين سائلا بحذر:

ـ ماذا عن ما قاله (زيوس)؟ هل هو محق؟

لاحت ابتسامة على وجه (ماليك) تشق ملامح الحزن وهو يجيب:

ـ هو محق تماما، فهذا الفتى هو بالفعل أحد الحالمين، وهو الذي سيغير هذا العالم.

١٠

صباح اليوم التالي، أخذ (ماليك) (سول) في جولة بين الأطلال. ظلام الليلة الماضية لم يجعل الأخير يدرك حجم الدمار الذي لحق بهذا المكان، فلم يكن هناك مبنى سليم بالكامل بل إن المبنى الذي تهدم نصفه والذي يقيم فيه (ماليك) كان هو الأفضل حالا في هذه الأطلال. الزمن أيضا قد مارس دوره، فإهمال المكان سنينا طويلة ترك المجال للخضرة كي تغزو كل شيء من الشوارع إلى الحوائط وكأن الطبيعة تسعى لاسترداد ما اغتصبته يد الإنسان الغاشمة. الشيء الآخر الذي أدركه هو حجم البشر القاطنين هنا، فقد قابل المئات منهم. أقل الطوائف التي رآها كانت الأطفال والشيوخ فمعظم من رآهم كانوا من الشباب.

العديد من الأسئلة كانت تخبط برأس (سول) منذ الأمس ولكن (ماليك) لم يعطه فرصة أن يسأل أيا منها في الليلة السابقة بحجة أنه بلا شك متعب بعد رحلته الطويلة وعليه أن يستريح على وعد أن يجيبه عن كل أسئلته اليوم التالي. أصر أيضا أن ينام (سول) تلك الليلة فوق نفس السطح الذي يقيم هو فيه وأعطاه فرشة ينام عليها مما جعل نوم (سول) أفضل كثيرا من الأيام السابقة. استيقظ فجرا على صوت صياح متقطع أفزعه فهتف:

ـ ما هذا الصوت؟

ضحك (ماليك) الذي كان مستيقظا:

ـ لا تقلق، هذا فقط نداء الصلاة.

ـ صلاة؟ أي صلاة؟

انتبه في تلك اللحظة إلى أنه لم يقم بأداء صلواته منذ أن ترك المدينة. اقترح عليه (ماليك) أن يواصلا حوارهما أثناء تجولهما وسط الأطلال فوافق. بدآ السير في الشارع الرئيسي الذي يقطع الأطلال من أولها إلى آخرها ثم قرر (ماليك) الكلام أخيرا:

ـ أنا متأكد يا (سول) أنك قد سمعت الكثير من الأكاذيب عنا وأننا «منبوذون» من طاعة الإله وما إلى ذلك، ولكن ما أريد أن أريك إياه الآن هو أننا لا نتعدى كوننا بشر عاديين، كل ما نسعى إليه هو الحياة لا غير.

مروا ببعض الناس الذين يقفون خلف رجل يرتل كلمات لم يفهمها (سول) ثم يثني جسده ويعود ليفرده ثم ينحني ساجدا، كل هذا والذين يقفون خلفه يتبعونه. البعض الآخر كان ملتفا حول امرأة ترتل أيضا بعض الكلمات وتقوم بحركات عجيبة بيدها فتمرر أطراف أصابعها فوق جبينها ثم صدرها فكتفها الأيسر ثم الأيمن ثم تضم كفيها وبالطبع يقوم من حولها بالمثل. أشار (ماليك) إليهم شارحا:

ـ نحن لسنا مصدر «شر» أو ننكر الإله وهؤلاء هم أكبر دليل على ذلك، فهم يمثلون نموذجين ضمن نماذج عديدة هنا لأشخاص متدينين يقيمون صلواتهم وطقوسهم كل طبقا لدينه الذي انشرح

حر في اختياراته حتى وإن اختار ألا يعبد إلها مطلقا.

عقل (سول) لم يستسغ هذه الفكرة ولكنه لم يعقب فتابع (ماليك):

ـ مجتمعنا أيضا لا يجبر أحدا على الزواج من شخص بعينه أو استخدام لغة بعينها فكل شخص هنا يتعلم اللغة التي يرغب فيها.

ـ مثل العربية؟

تساءل (سول) فابتسم (ماليك) مجيبا:

ـ نعم، مثل العربية. هناك أيضا لغات أخرى كثيرة كانت حية في العالم القديم مثل الإنجليزية والفرنسية والصينية. للأسف نحن فقدنا الكثير منها ولكننا نحاول الحفاظ على ما تبقى.

ـ لماذا؟.. لماذا تحافظون على لغات قديمة وهناك لغة موحدة للعالم الجديد؟

ـ لأن هذه اللغات هي جزء من تاريخنا ونحن بتمسكنا بها، نتمسك أيضا بحضارتنا القديمة.

لم يبد الاقتناع على وجه (سول) فسأل مرة أخرى:

ـ ولماذا؟ أليست تلك الحضارة هي التي أودت بالعالم القديم وأتت بالكارثة؟

لم يفقد (ماليك) ابتسامته الهادئة وهو يجيب:

ـ دعنا نكمل جولتنا ثم أجيبك على هذا السؤال مع باقي الأسئلة التي تدور برأسك.

تابعا طريقهما حتى رأيا عربة خشبية يجرها حصان ومحملة بقوارير عديدة منها الخشبية ومنها المعدنية وكان الماء الأصفر يفيض فينسال من القوارير مع ارتجاج العربة.

ـ المياه هي أكبر مشاكلنا هنا، فمصادر المياه محدودة وعادة نضطر لقتال مجموعة أخرى لضمان حقنا فيها. كما أن مصادر المياه عادة مراقبة من قبل المطهرين مما يجعل مهمة جلبها محفوفة بالمخاطر.

كان (سول) قد أدرك في الأيام الماضية أهمية المياه بالفعل.

ـ ولكن هذه المياه تبدو ملوثة!!

ـ بالفعل، فإذا كان العثور على مصدر مياه صعبا، فإن العثور على مصدر مياه جار نقي هو شيء أقرب إلى المستحيل. الوقت الوحيد الذي نجد فيه الماء النقي هو عندما تمطر أو تثلج السماء، أما هذه المياه التي تراها فهي آتية من بحيرة بعيدة، ركودها يجعلها مصدرا للجراثيم الضارة ولكننا نغليها قبل الشرب للتخلص من تلك الجراثيم، أما بالنسبة للطمي الذي يعطيها لونها الأصفر، فنحاول أن نستخدم قطعا قماشية لفلترتها وتحسين حالتها بعض الشيء، ولكن كما ترى فهذه الطريقة ليست ناجحة مائة بالمائة.

رأوا عائلة مكونة من أب وأم وطفل جالسين حول نار موقدة ومثبتين فوقها إناء معدني صديء يغلون فيه الماء مع قطع القرنبيط، فاستغل (ماليك) الفرصة كي ينتقل من نقطة الماء إلى نقطة الطعام:

ـ الطعام هو مشكلة أخرى، ولكنها ليست على قدر سوء مشكلة المياه، فلدينا مزرعة دواجن صغيرة نستخدمها للحم والبيض كما

والغزلان رغم أننا لم نر غزالا واحدا طوال العامين الماضيين. هذا بالطبع بالإضافة إلى أننا نحاول زراعة بضعة أنواع من الخضروات والفاكهة مثل القرنبيط وغيره.

الرائحة جعلت ريق (سول) يجري فهو لم يذق شيئا منذ الغداء أمس. لحسن حظه عندما رأتهما الأسرة، تعرفوا (ماليك) وحيوه ثم أعطى الأب قطعتي قرنبيط للطفل الذي أخذهما وركض تجاههما. حيا (ماليك) الأسرة بدوره وتناول الطعام من الطفل والذي لاحظ (سول) شيئا ما غير سليم بعينه اليسري، فقد كانت مغلقة نتيجة احتقان شديد. أعطى (ماليك) إحدى القطعتين لـ(سول) مكملا الطريق فسأله هذا الأخير عن سبب احتقان عين الطفل.

ـ هو مرض ما أصابه، فكما قد تكون لاحظت، العناية الصحية هنا في أسوأ أحوالها فلا يوجد لدينا علاجات إلا ما نكتشفه عن طريق الكتب القديمة، هذه بالطبع كلها من المواد الطبيعية فنحن لا نستطيع تصنيع أي شيء معقد.

شعر (سول) بالشفقة على الطفل الصغير خاصة أنه يدرك أن علاجا كهذا هو في الأغلب متوافر بسهولة في مراكز العلاج في المدن. تساءل صامتا عن «الشر» الذي فعله هذا الطفل كي يستحق ألما كهذا، في الحقيقة هو بدأ يتساءل عن «الشر» الذي فعله أي من هؤلاء الناس ليستحقوا هذه الحياة. دائما كان يرى المنبوذين أثناء محاكماتهم من قبل المنقذ دون أن يشعر بشفقة تجاههم، بل حتى دون أن يشعر أنهم بشر، أما هنا فعندما يراهم (سول) عن قرب وليس من مدرجات الساحة، فالوضع يختلف

كثيرا. عاد (ماليك) فالتفت إلى الأسرة التي صارت بعيدة متابعا في شيء من الحزن:

ـ هما فقط سعيدان أن طفلهما على قيد الحياة، فالمعظم لا يستمر طويلا وسط الأجواء التي نعيش فيها.

«أين هو هذا «الشر» اللعين؟» تساءل (سول) مرة أخرى في سره دون أن يجد إجابة شافية. الذي أدهشه أيضا أنه لم يسبق أن فكر في ماهية هذا «الشر». كيف تعرفه؟ ما التصرفات التي قد تصفك بالشرير؟ كيف لم يفكر بهذا من قبل؟ الفعل الوحيد الذي رآه من المنبوذين والذي اعتبر شر كان تسللهم إلى المدينة للسرقة، ولكن هل سرقة الطعام أو الملابس من قبل هؤلاء البؤساء تعتبر حقا سرقة؟

فجأة لم تعد لديه رغبة في الأكل فاحتفظ بقطعة القرنبيط كما هي لاحقا بـ(ماليك) الذي مال بخط سيره مخترقا الأطلال إلى ربوة مرتفعة. اتجه إلى صخرة ضخمة وجلس فوقها مشيرا لـ(سول) أن يجلس بجانبه ففعل. ناظرا إلى الأطلال بالأسفل قال:

ـ هذه هي حياتنا باختصار، كل ما نفعله هو أن نبقى أحياء. نتعاون للاستقرار في مكان كهذا وندافع عنه، نستخدم كل ما تقع عليه أيدينا من ملابس قديمة نجدها وسط بقايا السابقين أو أحذية أو أدوات، السلاح الذي بأيدينا هو في معظمه السلاح الأبيض، صحيح أننا وجدنا من ضمن ما وجدنا وسط الأطلال أسلحة أخرى ولكن معظمها لا يعمل، فقط بعض أسلحة التفجير هي التي تعمل وقد جربناها ولكننا لم نجد لها استخداما عمليا بعد. الخلاصة هي أننا نعتبر شبه عزل أمام المطهرين الذين ما أن نستقر في مكان ما حتى

ينقضوا علينا ويدمروا كل ما بنيناه في لحظات فنضطر أن نجد مكانا آخر يؤينا. الحقيقة أن فترة وجودنا في هذا المكان قد بلغت عاما مما يجعلها الفترة الأطول التي نقضيها في مكان ما دون أن يتم الهجوم علينا.

تنهد ثم التفت إلى (سول) سائلا وكأنه قرأ أفكاره:

ـ هل وجدت «الشر» الذي تبحث عنه؟

مندهشا سأل (سول):

ـ كيف عرفت..؟

ضحك (ماليك):

ـ هذا هو أول شيء يفكر فيه أي قادم من المدينة.. صدقني، أنا أعرف.

قبل أن يفكر (سول) في كيف يمكن لـ(ماليك) أن يعرف هذا وهو من المنبوذين، استطرد هذا الأخير:

ـ والآن، هات ما عندك من أسئلة.

من أين يبدأ؟

ـ من هم الحالمون؟

ابتسم (ماليك) مجيبا:

ـ حسنا، ولكن هذه قصة طويلة وتفاصيلها عديدة، فعليك أن تشنف أذنيك جيدا.

لم يكن (سول) بحاجة فعلية إلى هذا التنبيه. تابع (ماليك):

ـ الحالمون هم مجموعة خاصة جدا من البشر ولديهم قدرات لم تتح لأحد غيرهم، من ضمن تلك القدرات القدرة على تغيير الواقع مثلما حدث معك، فأنت قد رغبت في واقع مختلف في حالتي الساحة وقطاع الطريق وهو ما حدث بالفعل. المهم أن هؤلاء الحالمين كانوا يزدادون عددا ويزدادون قوة قبل نهاية العالم القديم. لأنهم بشر، فقد كان منهم الطيب ومنهم الشرير ولكن لسوء الحظ، أقوى هؤلاء لم يكن من المجموعة الأولى وهو الذي جلب «الكارثة» على هذا العالم وقتل عددا لا حصر له من البشر كي يقضي على كل الحالمين الذين قد يهددون طموحه في فرض سيطرته على هذا العالم، هو كان مصدر الشر. هل تعرف من هو هذا الشخص؟

رغم أن (سول) توقع إلى حد ما من الذي يقصده (ماليك) ولكن هذا لم يقلل من حجم صدمته حين سمع إجابته:

ـ إنه «المنقذ» العظيم؟

قالها في شيء من التهكم. كان من الممكن أن تكون صدمة (سول) أضعاف صدمته الآن، ولكن ما شعر به من عدم ارتياح تجاه المنقذ عندما قابله وما رآه في الأيام القليلة الماضية والتي هزت كل الثوابت التي آمن بها أعواما طويلة، جعلت حدة صدمته أقل بكثير مما توقع.

ـ كيف عرفتم كل هذا؟

ـ من المجموعة التي رفضت أن تعيش في عالم يشكله هذا «المجرم» برؤيته ففارقوا الآخرين الذين استسلموا وصغروا له. منذ هذا التاريخ القديم وهذه المجموعة يطلق عليها «المنبوذون».

ـ هنا الروايات تتضارب، فلا أحد يعرف بالضبط ما حدث، ما نعرفه هو حجم الدمار الذي تركته.

قالها (ماليك) وهو يشير إلى الأطلال أسفلهما.

ـ ولكن كيف اختفت هذه التفاصيل من الذاكرة؟ كيف لا يعلم بها أحد من سكان المدن؟

ـ الإجابة بسيطة يا (سول).. الزمن.. الزمن كان كفيلا بإزالة هذا التاريخ، فقد أجبر الذين تبعوا المنقذ أنفسهم على أن ينسوا ولم ينقلوه إلى أبنائهم فحين ماتوا، لم تجد تلك الذكريات أحدا تتشبث به.

الإجابة كانت منطقية، فصمت (سول) لينصت مرة أخرى إلى استطراد (ماليك):

ـ نجح المنقذ في القضاء على كل الحالمين وقتها بالفعل، ولكن المشكلة التي واجهها هي أن هذه القدرات كانت لا تزال كامنة في البشر وبين الوقت والآخر كان يظهر أحد الأشخاص الذين يمتلكونها. المنقذ لم يكن يمهل هؤلاء الوقت بالطبع كي تتطور هذه القدرات وكان يسارع إلى القضاء عليهم ولكن كان هناك دائما الاحتمال أن تكون هذه القدرات لدى أحدهم ولكنه لا يظهرها. هنا خرج المنقذ بفكرة عبقرية، جهاز الأحلام.

انتبهت حواس (سول) عند هذه النقطة، فربما يحصل أخيرا على تفسير لما حدث له مع هذا الجهاز.

ـ أتدري لم يدعى هؤلاء الأشخاص بالحالمين؟.. لأن قدراتهم تبدأ ظهورها في الأحلام، فأبحاث العلماء قبل الكارثة أثبتت أن هؤلاء الذين يملكون قدرة تغيير حلمهم بإرادتهم أثناء النوم، لديهم هذه القدرة الكامنة والتي سرعان ما تعلن عن نفسها خارج عالم الأحلام.

تذكر (سول) سؤال أبيه في الليلة المشئومة: «هل قمت بتغيير مسار حلمك؟» الأمور تتضح شيئا فشيئا.

ـ إذن فجهاز الأحلام كان هو الطريقة التي يعرف بها المنقذ هؤلاء الذين يملكون القدرة الكامنة!!

قالها (سول) فرد (ماليك) موافقا:

ـ بالضبط. وهكذا أصبح باستطاعته القضاء عليهم قبل حتى أن يدركوا هم أن لديهم تلك القدرات. كان هذا الأسلوب ناجحا جدا حتى أننا ظننا أن هؤلاء قد انقرضوا، فكل من يعيشون هنا لم يروا أحد الحالمين من قبل قط، حتى جئت أنت.

لهذا لم تقتنع (كارما) أنه من الحالمين، تذكر رد فعلها المستنكر ليلة أمس حين أعلن (ماليك) أنه بالفعل منهم وأن (زيوس) محق. تذكر أيضا صدمة (زيوس) نفسه عندما أكد كلامه فهو لم يعتد أن يكون محقا كما هو واضح.

فكر (سول) قليلا في المعنى الحقيقي لكلام (ماليك) وأدرك خطورة ما يقول. هو لم يكن لديه شك أنه أحد الحالمين الآن، ولكن ما أثار ذعره والذي لم يعرفه من قبل هو ترصد المنقذ لمن يحمل مثل قدراته. كان عنده

أمل أن هزوبه قد يمر وألا يوليه أخذ أهمية كبرى، ولكنه أدرك الآن أن هذا لن يحدث. كيف إذن سيصمد أمام قدرات المنقذ والمطهرين الذين سيسعون حتما لإيجاده والقضاء عليه؟

ـ لماذا أنا؟ لماذا يحدث هذا لي بالذات؟ أنا لم أسأل الإله أن يعطيني هذه القوة، بل إني حتى لم أدر بوجودها قبلا.

أطرق (ماليك) رأسه قليلا ثم قال ببطء:

ـ أنا أعرف إجابة هذا أيضا.

ـ إذن أخبرني، لماذا؟

لم يجب في لحظتها وبدا من تعبيرات وجهه أنه يسترجع ذكريات أليمة نوعا. ثوان مرت بطيئة على (سول) إلى أن فتح (ماليك) شفتيه أخيرا:

ـ إن قدراتك هذه يا (سول) متوارثة، وأنت ورثتها عن أمك..

ـ أمي!!..

لم يجد كلمات تعبر عن تشويش حالته الآن. هو بالتأكيد لم يتوقع هذا.. أمه التي لا يتذكر حتى شكلها هي سبب ما يحدث له الآن!! ألم تكف أسرار أبيه التي قلبت حياته وشككته في كل شيء؟ ولكن مهلا، لم يجب عليه أن يثق فيما يقص (ماليك) عليه؟ ربما هو يعبث به لهدف ما. ثم كيف عرف كل هذا؟ تذكر أنه أخبره أمس أنه كان صديقا لأبيه فسأله مباشرة:

ـ كيف عرفت أبي؟

أنا لم أكن دائما من المنبوذين، فقد كنت سابقا أحد سكان المدينة، بل إني كنت مطهرا.. هكذا عرفت أباك وصرنا أصدقاء.

ـ مطهر!! وكيف انتهى بك الحال هنا؟

رد (ماليك) بشيء من العصبية:

ـ انتهى بي الحال هنا لأني كنت قد اكتفيت من الأفعال الدموية التي كنت أقوم بها باسم الإله ومحاربة الشر. كنت قد سئمت الأكاذيب، كما سئمها أبوك. كنا نسمع الكلام من المنبوذين الذين نقبض عليهم وفي البداية كنا نتجاهلها تماما، ولكن هذه القصص كانت تترك أثرا ما في نفوسنا وبمرور الوقت والتفكير، صرنا ندرك أين تقع الحقيقة، لم نفعل شيئا وصمتنا فقد خفنا من التغيير الذي قد يطرأ على حياتنا، النقطة التي تحول كل شيء عندها كانت ما حدث مع أمك.

سكت قليلا ثم تنهد تنهيدة طويلة هذه المرة ناظرا إلى عيني (سول) مباشرة:

ـ ما الذي تتذكره عن موت أمك يا (سول)؟

رد (سول) متوجسا:

ـ لا شيء أكثر من أنها ماتت منذ خمسة عشر عام بعد أن مرضت مرضا لم يستطع المعالجون شفائه.

ـ هذه كذبة.. فالمنقذ هو من قتلها بعد أن اكتشف أنها من الحالمين.

زاغت عينا (سول) الذي شل تفكيره تماما بعد أن فشل في استيعاب كل هذه الصدمات التي يسمعها. مشفقا وضع (ماليك) يده على كتف (سول) دون أن ينطق.

ـ كيف قتلها؟

ـ لا أحد يعرف. فنحن عندما نقبض على أحد الخالدين، المنقذ بنفسه هو من يتولى التحقيق معه ثم لا نرى المقبوض عليه بعدها، ولكن كلنا واثقون من أن موتهم هو النهاية الحتمية.

لم يعلق (سول) فتابع (ماليك) متألما:

ـ يجب أن تعرف يا (سول) أن أمك كانت أشجع امرأة قابلتها في حياتي، فعندما لاحظ أبوك التغييرات البسيطة في قراءة جهاز الأحلام الذي كانت تستخدمه وعرف ما يعنيه هذا، أخبرني أولا واقترحت عليه أن نهرب أربعتنا، هو وهي وأنت وأنا، ولكنه عندما فاتحها في الموضوع رفضت بشدة لحبها لك، فهي لم ترد أن تعرض حياتك للخطر وأصرت أن بإمكانها وأد هذه القدرات في المهد. أبوك وأنا لم نقتنع ولكننا لم نملك شيئا أمام إصرارها.

أطرق برأسه مكملا:

ـ ليتها سمعت كلامنا، ففي النهاية لم تنجح خطتها وتم رصد الشذوذ الواضح في قراءتها وقبض عليها. لم يفعل أبوك شيئا فقد أوصته قبل لحظة القبض عليها أن يتركها تذهب، كي يظل هو حيا لحمايتك إن حدث أن كنت ورثت قدراتها. كاد أبوك ينهار ويفتك بالمطهرين الذين كلفوا بجلبها إلى المنقذ ولكنها أشارت له ألا يفعل، ثم ذهبت معهم صاغرة.

إذن فليس أبوه وحده هو من ضحى بحياته من أجل (سول)، إنما أمه أيضا. الألم والغضب كانا يملآن قلب (سول) هذه اللحظة، الألم لأنه لا يستطيع حتى أن يتذكر وجه هذه التي أعطت حياتها له والغضب من الذي حرمه من هذا.

ـ أبوك كان يخشى عليك، لدرجة أنه لم يرد حتى التواجد معك كثيرا، فمن معلوماتنا عن الحالمين والتي جمعناها عبر السنين، عرفنا أن قدراتهم ليس بالضرورة أبدا أن تنتقل إلى الأبناء وإن انتقلت، قد تظل كامنة حتى أنها لا تظهر في الأحلام ولكننا عرفنا أيضا أن إحدى أهم الوسائل المساعدة على تطور هذه القدرات هي المشاعر القوية، سواء كانت غضبا أم حبا أم نوعا آخر، فقرر أبوك أن أنسب وسيلة لحمايتك من نفسك هي أن يحاول إخماد أي مشاعر قد تكونها تجاهه، فابتعد قدر استطاعته. أنا لم أوافق على هذا وفضلت أن نعود إلى فكرة الهرب، ولكن أباك لم يسمع لي وظن أنه بهذه الطريقة يحترم وصية أمك الأخيرة، فهربت وحدي في النهاية. ظللنا على اتصال لبضع سنوات، فأبوك كان كلما شعر أن المطهرين على وشك الانقضاض على مجموعتنا يحذرني. كان ذكيا بحيث لم يكشف أبدا. ساعدته بالطبع نظرة المطهرين له على أنه بطل بعد أن أتقن دور الغير متأثر إطلاقا بما حدث لزوجته.

انتهى (ماليك) من السرد وساد الصمت. تطلع (سول) إلى الأطلال وإلى الناس التي تتحرك هنا وهناك. احترم (ماليك) صمته ولم ينبس ببنت شفة.

ـ ما الذي عنيته أمس حين قلت أني سأغير العالم؟

أجاب (ماليك) بسرعة:

ـ أعني ما قلته بالضبط. لقد ظللنا في هذه الحياة طويلا يا (سول) ولم

دفع بنفسية الكثير إلى الحضيض وإلى أن يفقدوا الأمل في حياة أكرم من هذه ولكن بوجودك تقاتل بجانبنا، لدينا أمل جديد.

ـ أقاتل!! أنا لست مقاتلا!!

ـ نعم، أنت لست مقاتلا ولكن بقدراتك تستطيع بسهولة أن تصبح أكثر قيمة من مائة مقاتل، كما أنك سلاحنا الوحيد أمام المنقذ.

ـ المنقذ!! هل جننت؟ إن بإمكانه سحقي فأنا لست قريبا حتى من مستوى قوته.

ـ ربما ليس بعد.

لم يفهم (سول) ما يعنيه فسأل حذرا:

ـ ماذا تعني؟

ـ أعني أني أعرف أحدا يمكنه أن يساعدك في تطوير قدراتك بحيث تستطيع أن تواجه المنقذ.

أثار هذا فضول (سول):

ـ ومن هذا؟

ـ هو أحد الحالمين مثلك ويسكن في البرية. نحن ندعوه «الراهب».

«الراهب»!!.. عظيم.. ها هو ذا موشك على التورط مع شخص آخر بلا اسم تماما كما تورط مع «المنقذ». انتبه (سول) لنقطة هامة:

ـ ولماذا لا يقاتل هذا الراهب في صفوفكم؟

بشيء من خيبة الأمل أجاب (ماليك):

ـ في الواقع هو قد قاتل المنقذ بالفعل سابقا و.. وانهزم، ولكنه تمكن من الفرار في اللحظة الأخيرة.

هتف (سول) مستنكرا:

ـ انهزم؟ أهذا الذي سيعلمني كيف أهزم المنقذ؟

قاطع حوارهما فتى يركض إلى أعلى الربوة تجاههما ولما وصل، مال على أذن (ماليك) وقال شيئا ما. استمع إليه (ماليك) في اهتمام ثم أشار إليه أن يرجع. تركهما الفتى فالتفت (ماليك) إلى (سول) قائلا:

ـ عذرا يا (سول)، يبدو أن هجوما آخر من قبل قطاع الطريق قد تعرض له اثنان من صيادينا وعلى أن أتقصى الموضوع.

نهض واقفا ثم أكد:

ـ لا تقلق.. سوف نكمل حديثنا في وقت آخر. في هذه الأثناء، أريدك أن تشعر بحرية في التجوال في المكان، فقط لا تخرج من حدود الأطلال. سوف أجعلهم يجهزون لك طعاما وشرابا بجانب فرشتك.

قالها ثم ترك (سول) وحده مع كوابيسه.

* * *

مرت ساعات عليه وهو قابع مكانه تائها في محيط أفكاره الهائج، ما نجح أخيرا في إعادته إلى أرض الواقع كانت هي الصيحة من جديد والتي يعرف (سول) الآن أنها نداء لصلاة ما. أجبر نفسه على النهوض

أعطتهما القرنبيط ليعيد إليها نصيبه الذي ظل كما هو، سألهما أن يشرب فأعطوه ماء. تابع مسيره عائدا إلى المبنى الذي بات فيه ولكن استوقفه مشهد عجيب، مبنى متهدم كباقي المباني ولكن هذا بالتحديد كان عبارة عن طابق واحد ويفتقد اثنين من جدرانه. ما شد انتباهه كان هذا الفتى الجالس تحت ما بقي من السقف والذي لا يتجاوز الثالثة أو الرابعة عشر من عمره. هزيلا كان رث الثياب كالآخرين هنا مع فارق أنه أيضا كان حافي القدمين، الشاذ في المشهد هو أن الفتى كان منهمكا في قراءة كتاب ما. دون أن يشعر، وجد (سول) نفسه يتجه إلى هذا الفتى ليراقبه عن قرب.

رفع الفتى عينين تداريهما عوينات متهالكة مشقوقة وقال:

ـ ألم يعلموك في المدينة ألا تدخل منزل أحدهم بلا استئذان أيها العبد.

صدم (سول) لأن الفتى عرفه ثم لوقاحته، كما أن سماعه لقب «العبد» من جديد أغضبه فرد محتدا:

ـ كيف عرفت من أنا، ثم أي منزل هذا الذي تتحدث عنه؟ كل ما أراه هو جدران متهدمة.

ـ الكل هنا يعرف من أنت، (زيوس) ليس من النوع الكتوم، أما بالنسبة لهذه الجدران المتهدمة فهي رغم حالتها، مازالت منزلي.. أيها العبد.

صوت الفتى كان يقترب من الصياح فأجاب (سول) بصياح هو الآخر:

ـ اسمي هو (سول)، ليس «العبد».

أدرك (سول) ساعتها أن صياحهما كان عاليا، فحاول تهدئة الموقف الذي تصاعد بلا سبب واضح:

ـ ولكن على كل، أنا أعتذر أني دخلت «منزلك» بلا استئذان، إلى اللقاء.

هم بالذهاب ولكن الفتى سأل باهتمام:

ـ هل هذا «نسيج الإله»؟

كان مثبتا عينيه على ملابس (سول) فأجاب هذا الأخير:

ـ نعم..

ـ هل لي أن ألمسه؟

تردد (سول) قليلا ثم أومأ برأسه موافقا، مد الفتى يديه يتفحص ملابس (سول) بدقة معلقا:

ـ الملمس ناعم مريح ودرجة الحرارة الداخلية تعدل طبقا للحرارة الخارجية، رائع.

معلومات الفتى أدهشت (سول) الذي لم يعقب. رفع الفتى نظره إلى (سول) مدققا عينيه مما أوحى بأن العوينات لا تعمل كما ينبغي وسأل:

ـ ماذا تريد في مقابل ملابسك؟

أدهشه السؤال:

ـ ماذا تعني؟

ـ أعني أني على استعداد أن أقايضك بشيء قد تحتاجه مني مقابل ملابسك.

ـ أقايضك؟

ـ نعم، لا تستغرب فنظام المقايضة هو النظام الذي نتعامل به هنا. هيا انظر حولك فربما تجد شيئا ما يعجبك.

تلفت (سول) بنظره فلم يجد شيئا سوى كرسي خشبي قديم وفرشة للنوم بجوارها بعض البرطمانات والقوارير الزجاجية غريبة الأشكال ثم الباقي كان عبارة عن كتب. اندهش لهذا العدد حتى وإن كان معظمها حالته سيئة للغاية.

ـ هل قرأت كل هذه الكتب أيها الفتي؟

ـ اسمي (برونو)، ونعم قرأتها كلها أكثر من مرة.

نبرة الفخر كانت واضحة في كلامه.

ـ وأنت الذي اخترت هذا الاسم؟

ـ نعم.. نحن هنا نعطي اسم مؤقت حتى نبلغ سنا نستطيع فيه اختيار أسمائنا..

ثم بنظرة لها معنى تابع:

ـ أم حسبت أننا ندع الإله يختار لنا أسماءنا؟

لم تعجب (سول) النظرة التي رمقه بها الفتى وكأنه يسخر منه، فاستسلم لعناد طفولي سيطر عليه وهو يرد بعصبية:

ـ ومن تظن أفضل من الإله كي يختار لنا أسماءنا!!

هز (برونو) كتفيه مستمتعا بغيظ (سول) ولم يجب، فقط عاد للقراءة في كتابه مما زاد من غيظ (سول) أكثر، فسأل في عصبية من لا يريد أن يترك ميدان المعركة مهزوما:

ـ ما معنى اسم (برونو) على أي حال؟

ببساطة أجاب الفتى دون أن يرفع عينيه عن كتابه:

ـ (جوردانو برونو) هو عالم وفيلسوف شهير من العالم القديم، ولكن لا تشغل نفسك به فعقلك بالتأكيد لن يستوعب أعماله.

الحنق جعل الدم يفور في عروق (سول). من يظن هذا الفتى نفسه؟ إنه مجرد طفل، ولكن على الرغم من حنقه، اضطر (سول) أن يعترف لنفسه أن كلام الفتى وتعبيراته أكبر من سنه بكثير، فقد خيل إليه أحيانا أنه يتحدث مع رجل كامل النضج وليس مع فتى مازال يتحسس أول الخطى في طريق المراهقة. اعترف لنفسه أيضا أن السبب الأساسي لغيظه هو أن الفتى رغم سنين عمره القليلة بالمقارنة به هو، فإنه على ما يبدو يعرف أكثر منه بكثير. كان على وشك أن يعلق بشيء ما ولكن صوت (كارما) الآتي من خلفه قاطعه:

ـ أرى أنك قابلت زائرنا يا (برونو).

التفت (سول) والفتى الذي تهللت أساريره عند سماع صوت (كارما)، كانت تقف حاملة أرنبا بريا ميتا ولكن ما تعجب له (سول) هو أنها كانت تبتسم. كان (سول) قد بدأ يتساءل عن سر ندرة الابتسام لدي

(برونو) المتهدم فاستأذنت:

ـ هل لي أن أدخل؟

سعيدا أجاب الفتى بسرعة:

ـ بالتأكيد.. فمنزلي هو منزلك يا (كارما)، حتى وإن كان زواجنا مازال بعيدا.

ـ زواجكما؟

سأل (سول) وعدم الفهم واضح على وجهه، فالتفت (برونو) إليه مجيبا ببساطة:

ـ نعم زواجنا، أنا درست هذا الاختيار بدقة ووجدت أنه الاختيار الأمثل لكلينا، فأنا بذكائي و(كارما) بقوتها وجمالها نمثل الثنائي المثالي.

خرجت الضحكة رغما عن (سول) فجاء دور (برونو) كي يشعر بالحنق ولكن (كارما) هدأته بابتسامة مازالت تبدو غريبة على وجهها:

ـ لا تشغل بالك به يا (برونو) فهو من سكان المدينة الذين لا يدركون معنى أن تختار زوجتك بنفسك.

ثم التفتت إلى (سول) مولية ظهرها لـ(برونو) حتى لا يرى النظرة المخيفة التي أعطتها لـ(سول). فهم الأخير من النظرة أنها لا تريده أن يسخر من خطط الفتى المستقبلية فأذعن وأزال آثار ضحكته من على وجهه. (برونو) يراها جميلة، تساءل (سول) عن هذا في قرارة نفسه،

هو لم يرها هكذا من قبل ولكن ربما كان كلام الفتى ليس كله أوهام مراهقة، فبعد أن أصبحت (كارما) أنظف مما كانت وهم على الطريق ظهرت تموجات شعرها القصير اللطيفة واستدارة وجهها، بالإضافة إلى أن ابتسامتها وإن استغربها (سول) فقد كانت بلا شك تنير عينيها ببريق ممتع. نعم، ربما الفتى ليس واهما.

عادت (كارما) تلتفت إلى (برونو) بعد نظرتها المحذرة معطية إياه صيدها:

ـ أتيتك بهذا مقابل المزيد من هذا السائل الطارد للحشرات، إنه فعال جدا.

التقط (برونو) إحدى البرطمانات المتراصة فوق الأرضية ثم ناولها لـ(كارما) وأخذ منها الأرنب. السائل داخل البرطمان كان لونه أصفرا باهتا. فتحت (كارما) غطاءه لتشم رائحته التي انتشرت على الفور في المكان فعرف (سول) سر الرائحة الوردية التي كانت تصدر منها. أغلقت البرطمان ثم التفتت مغادرة فتابعتها عينا الفتى اللتان اكتستا بلمحة حزن وهو يهمس شاردا:

ـ سبب آخر يجعلنا مثاليين لأحدنا الآخر هو أن كلينا يتيم الأب والأم.

تماما مثل (سول)، سأل هذا الأخير وقد تحولت نبرته إلى الشفقة:

ـ كيف.. كيف مات أهلكما؟

انتبه (برونو) في تلك اللحظة أنه في شروده أباح بشيء لم يرد أن يعرفه (سول)، فحاول الاستدراك مصطنعا اللا مبالاة وهو يجيب:

ـ والدي قتلهما قطاع الطريق أثناء رحلة قاما بها لجلب المياه منذ عشرة أعوام، لذا أنا بالكاد أتذكرهما، اللذان ربياني كانا أبوي (كارما) واللذان خطفهما المنقذ وقتلهما أثناء الاحتفالية التي أُقيمت منذ أربع سنوات.

ظن (سول) أن هذا يفسر الكثير من تصرفات (كارما) وعدوانيتها تجاهه لأنه من سكان المدن، فهو في الغالب قد شاهد الاحتفالية التي قتل فيها أبواها وفي الغالب أيضا هتف متحمسا والبرق ينزل عقاب الإله عليهما.

تابع الفتى بعد أن صمت قليلا كي يتحكم في نبرة صوته ويزيل التأثر منها:

ـ كانا من أكثر الناس طاعة للإله الذي اختاراه ورغم هذا جهل سكان المدن جعلهم يرونهما من أشر الناس لأنهما توسما بعلامة الشر عند موتهما.

لم يتمكن (برونو) من كتمان انفعاله أكثر من هذا وهو يتابع محتدا:

ـ أنا سأريك حقيقة علامة الشر هذه.

اتجه إلى أحد الكتب المهترئة وقلب في صفحاته حتى استقر على إحداها ثم أراها لـ(سول). الكلمات كانت غير مفهومة بالنسبة له ولكن الصورة كانت واضحة. رأى (سول) امرأة عارية نائمة فوق سرير فلم يعلم إن كانت ميتة أم لا ولكن ما قصد (برونو) أن يريه إياه هي تلك العلامة الظاهرة على جلدها والممتدة من كتفها الأيمن إلى معظم الذراع. العلامة كانت مطابقة لعلامة الشر التي تظهر على أجسام المنبوذين بعد

محاكمتهم. أراد (سول) أن يسأل عن معنى هذا ولكن (برونو) كان الأسرع بالإجابة:

ـ هذه العلامة تظهر طبيعيا حين تضرب الشخص صاعقة، وهي تنتج بسبب تدمير التيار الكهربي للشعيرات الدموية الموجودة تحت الجلد.

قالها ثم أغلق الكتاب بعنف صائحا:

ـ هل عرفت الآن حجم جهلك؟.. بل حجم جهلكم جميعا؟..

أشاح بوجهه سريعا كي لا يرى (سول) تعابير وجهه، ولكن هذا الأخير كان بإمكانه سماع صوت بكاء الفتى المكتوم.

ـ سوف أعطيك هذه الملابس مقابل برطمان كهذا الذي أخذته (كارما).

قالها (سول) وبدون أن يلتفت إليه (برونو)، أومأ برأسه موافقا.

١١

لم يفزع (سول) نداء الصلاة هذه المرة وهو يوقظه فجرا فقد تكرر بضع مرات الليلة السابقة حتى صار يألفه. لدهشته وجد (كارما) جالسة مع (ماليك) حول النار وهما يسلقان شيئا ما. اعتدل نافضا النوم من عينيه ليجد أن ما يسلقانه هو القرنبيط فابتسم مفكرا في مدى شعبية القرنبيط في هذه الأنحاء.

كان (سول) قد اعتاد نظرة الغضب المعترضة دائما على وجه (كارما) ولكن نظرتها هذا الصباح كانت توحي بأنها أكثر غضبا من المعتاد. فور أن اعتدل هتف (ماليك):

ـ تعال يا (سول)، انضم إلينا فلدينا الكثير لمناقشته.

أطاع (سول) فناوله (ماليك) من القرنبيط الذي في القدر. بدأ يأكل وهو يراقب ملامح (كارما) التي لم تشاركهما الطعام. شعر بفضول لمعرفة ما الذي يمكن أن يغضبها إلى هذا الحد.

ـ هل تتذكر حديثنا بالأمس عن الراهب الذي يستطيع أن يجهزك؟

«أتقصد هذا الذي هزم من قبل المنقذ؟» فكر فيها (سول) دون أن يقولها، فقط أومأ برأسه أن نعم.

ـ لحسن الحظ أنه قريب جدا، فموقعه على بعد يومين فقط غربا من هنا.

تحدثت (كارما) لأول مرة معقبة بسخرية:

ـ نعم، حسب معلومات تجاوز عمرها الخمسين عاما.

ما الذي تعنيه (كارما) بـ«الخمسين عام»؟ لمح (ماليك) عدم الفهم على وجه (سول) فتنهد موضحا:

ـ نعم، هي معلومات قديمة للغاية يا (سول)، فالمعركة التي وقعت بين المنقذ والراهب والتي قصصتها عليك أمس وقعت منذ أكثر من خمسين عام، وآخر معلومة لدينا عن موقع الراهب قبل اختفائه كليا هي أيضا منذ هذا التاريخ.

لم يرح توضيحه (سول) على الإطلاق.

ـ مهلا، أتعني أنك لم تر هذا الراهب قط؟

ـ لا، لم أره.. لم يره أحدنا إطلاقا.

لم يملك (سول) إلا أن يضحك ضحكة عصبية:

ـ إذن كيف تعرفون أنه مازال على قيد الحياة أو أنه مازال في نفس الموقع؟ بل كيف تعرفون أنه حقيقي من الأساس؟

بحزم أجاب (ماليك):

ـ هو حقيقي، ولكن بخصوص إن كان على قيد الحياة أم لا، فأنا لدي أمل أنه مازال حيا. المنقذ من الحالمين وهو مازال حيا إلى الآن، الراهب أيضا من الحالمين فربما من قدرات هؤلاء تحدي الزمن كما يتحدون باقي قوانين الطبيعة، أما إن كان قد غير موقعه...

قاطعته (كارما) بنفس السخرية العصبية:

ـ ... فهو الاحتمال الأكبر، لأنه سيكون أغبى من على الأرض إن بقي في نفس المكان كل هذه السنين.

نظرة (ماليك) إليها كانت نارية مما جعلها تصمت عن غير رضا، أما هو فتابع كلامه:

ـ مازال هذا هو الأمل الأكبر لدينا.

عاد (سول) يسأل في نقطة أخرى بدت له غير منطقية:

ـ ولكن إن كنتم تعرفون موقعه كل هذه السنين، فلم لم يحاول أحدكم الاتصال به وطلب المساعدة منه؟

صمت (ماليك) لحظات ثم أجاب:

ـ لقد حاولنا، ولكن كل من ذهبوا باحثين عنه.. لم يجدوا شيئا.

ـ لم يجدوا شيئا!! إذن هو ليس هناك..

عاد (ماليك) إلى حزمه مجيبا:

ـ ربما، ولكن أعود لأكرر أن هذا هو أكبر أمل لدينا، ثم إن لا أحد من الذين أرسلناهم إليه كان من الحالمين مثلك، فربما تستطيع أنت أن تلتقط أثرا ما له وتتبعه إلى موقعه الجديد.

نظر (سول) إليه مفكرا فيما يقول لحظات ثم تنهد:

ـ فلنفرض أن ما تقوله صحيح وأني بالفعل وجدت هذا «الراهب»، بل أني أصبحت جاهزا لمواجهة المنقذ، مازالت هناك نقطة هامة وهي جيش المطهرين، ماذا سنفعل مع هؤلاء؟

بدت الراحة النسبية على وجه (ماليك) بانتقال (سول) إلى الأسئلة العملية فقال:

ـ مشكلتنا ليست في العدد، فإن أعدادنا كثيرة تفوق بكثير ما تراه في هذه الأطلال ونستطيع أن نجمع معظمهم في وقت قليل، نحن فقط نتفرق في مجموعات لجعل تقفي آثارنا أصعب، إذن فمشكلتنا الأساسية هي السلاح وقد فكرنا كثيرا في هذا ووجدنا أن أنسب طريقة للحصول عليه هي الهجوم على مخازن المطهرين داخل المدن والتي يحتفظون فيها بالأسلحة والاستيلاء عليها..

هم (سول) بإبداء اعتراض ما ولكن (ماليك) أوقفه بأن تابع وكأنه سمع السؤال الذي لم ينطق به هذا الأول:

ـ بالتأكيد هذه ليست بالمهمة السهلة وأصعب ما فيها هي تجاوز النطاق الأمني دون أن نرصد، فإن نجحنا في هذا ستكون المفاجأة لصالحنا. نحن ندرك بالطبع أننا قد نفقد الكثيرين ولكننا على أتم استعداد لهذا.

ـ وكيف ستقومون بتجاوز النطاق الأمني؟

ـ عن طريق قطع الطاقة الواصلة إلى المدينة، المنقذ أوهم الجميع أنها طاقة الإله الخفية التي لا تأتي من مكان محدد، ولكننا نعلم

من مضادنا داخل المدن، أن هناك محطات طاقة هي التي تغذيها. هذه المحطات تقع خارج حدود المدن مما يعطينا أمل في أننا نستطيع بلوغها وتدميرها دون الحاجة للتسلل إلى داخل أي مدينة.

ـ وهل حددتم مكان أي من هذه المحطات؟

ـ هنا تكمن المشكلة، فتلك المواقع لا يعرفها أحد غير المنقذ نفسه، ولكننا نسعي جاهدين في هذا الاتجاه وأنا واثق من أننا قريبون..

قالها (ماليك) بلهجة غير مقنعة.

بدا كل هذا بالنسبة لـ(سول) مجرد احتمالات بعيدة المنال، بل ربما هي أحلام ولكنه لم يرد معارضة (ماليك) أكثر من هذا، فالمسألة تبدو حيوية بالنسبة له. ثم فكر أنه لا يملك سببا منطقيا يجعله يتمسك بعدم الذهاب في هذه الرحلة، فهو لا يملك روابط بهذا المجتمع على أي حال، في الحقيقة هو بلا روابط بأي مجتمع الآن، فليجرب حظه إذن مع هذا الراهب الغامض.

ـ ومتى أبدأ رحلتي هذه؟

ـ لا يوجد وجه استعجال، يمكنك أن تقضي بضعة أيام معنا ثم ترحلا بعدها..

ترحلا!! عرف (سول) لم كانت (كارما) غاضبة فوق العادة هذا الصباح. فضل (سول) لو أنه (زيوس) هو الذي سيصحبه رغم رائحته.

ـ أمن الممكن أن أذهب مع (زيوس)؟

ـ لا.. (كارما) هي أكثر شخص أثق فيه لحمايتك، كما أنها تعرف طريقها جيدا أفضل من أي أحد آخر.

تأففت (كارما) موشحة بوجهها وتساءل (سول) سرا عن احتمال أن تقتله هي بنفسها أثناء طريقهما هذه المرة.

* * *

هبط الليل ومعه فتحت أبواب الجحيم. كان (سول) وحده فوق السطح يفكر في رحلته القادمة حتى سمع الصراخ المصحوب بصيحات:

ـ المطهرون.. المطهرون..

هرع إلى حافة السطح كي يرى ما يحدث وما كاد يفعل حتى اشتعلت النيران. رأى حوامات المطهرين السوداء الطافية فوق الأرض وهي تقتحم حدود الأطلال وتطلق قذائف حارقة دون تمييز بين جماد وإنسان. رغم بعده النسبي إلا أن (سول) كان يشعر بلفح القذائف التي تشعل كل شيء تلمسه بسرعة رهيبة. حدق في الأجسام التي أمسكت بها النيران وهي تركض دون وجهة معينة وتطلق صرخات الاحتضار قبل أن تستقر جثثا متفحمة.

حاول (سول) السيطرة على أعصابه من هول المشهد وركض إلى السلالم المؤدية إلى أسفل. وصل إلى مدخل البناية كي يجده مسدودا من قبل مطهر ضخم الجثة يرتدي خوذة سوداء غطت وجهه بالكامل. رفع المطهر عصاته الصاعقة فأغمض (سول) عينيه محاولا استدعاء القوة التي أنقذته من قبل. سمع صوت المطهر وهو يتحدث إلى أحد عبر جهاز اتصال في خوذته:

ـ لقد وجدناه..

ظن (سول) أن ما سيتبع هذا هو أن يشعر بالنبضة القاتلة وهي

تضرب جسده ولكن هذا لم يحدث. هل فعلها مرة أخرى وأنقذته قوته؟ فتح عينيه ليكتشف خطأ ظنه، فالمطهر كان منكفئا على وجهه ولكنه لم يكن هو السبب، بل ما فعل هذا به كان سكينا مستقرا في مؤخرة رأسه. رفع نظره لير صاحب السكين فلم تكن سوى (كارما) التي رآها أجمل شيء في الكون تلك اللحظة. أسرعت إليه واستعادت سكينها بحركة سريعة أطلقت قطرات دماء المطهر على ملابس (سول) ثم صاحت به:

ـ هيا بنا.. لقد أمرني (ماليك) أن أتى كي أحميك، يبدو أن رحلتنا سوف تبدأ باكرا.

ـ وأين (ماليك)؟

ـ مشغول في تنفيذ خطة الإخلاء الطارئة، فكل منا له دور في قيادة مجموعة مختلفة إلى قلب الغابة حتى نشتت المطهرين ثم نلتقي في مكان محدد مسبقا للقاء، والآن اتبعني.

بخفة مالت لتلقي نظرة من خلف جدار المدخل إلى الشارع، لمح (سول) ثلاث حوامات سوداء تخترق الأطلال وبعض المطهرين يطوفون على أقدامهم في الأماكن التي لا تستطيع الحوامات بلوغها. مرت دقائق ثقيلة وهم يتابعون من مخبأهم حتى تجاوزتهم الحوامات والمطهرون. لاحظ أن صوت الصراخ بدأ يخف ثم يختفي مما يعني أن معظم الناس إما سقطوا صرعي أو نجحوا في الفرار. عندما اطمأنت من خلو الشارع انطلقت تقطع طريقها وسط الأطلال و(سول) خلفها حتى وصلا إلى حظيرة الخيول والتي كانت عبارة عن سور خشبي متهالك لاتزال النار مشتعلة في بعض أجزائه. حاولا تفادي هذه الأجزاء ثم عبراه كي يجدا جثثا محترقة هي الأخرى ولكن هذه المرة كانت جثث خيول. فقط بضعة

خيول هي التي ظلت حية منها الحصان الذي ركبه (سول) خلف (كارما)
في طريقهما إلى هنا. الحصان كان مهتاجا وصهيله كان مدويا فقد أفزعه كل هذا الهرج والمرج اللذين يجريان حوله بالإضافة بالطبع إلى النيران. السرج كان محملا بالفعل بأشياء عديدة لزوم السفر فعرف (سول) أنهم يجهزونها مسبقا استعدادا لظروف طارئة كهذه. فكت (كارما) الحبل الذي يربطه إلى جذع الشجرة ثم صعدت فوق ظهر الحصان وجذبته ليجلس في مكانه خلفها.

وكزت الحصان كي يتحرك ولكن لدهشة (سول) لم تتجه إلى الغابة بل اتجهت عائدة إلى الأطلال فسأل غير فاهم:

ـ ماذا تفعلين؟

بحزم أجابت:

ـ قبل أن نرحل، على أن أوصل (برونو) إلى الأمان.

لم يجادل أكثر. كانت رائحة الشواء المفزعة تملأ المكان والجثث متناثرة هنا وهناك فقاوم (سول) رغبة شديدة في القيء. لم يصدق أن من فعل هذا كانوا المطهرين الذين اعتبرهم أبطالا طوال حياته. أخذته تلك الفكرة إلى أبيه. هل كان جزءا من هذا في يوم من الأيام؟ ماذا عن (آكي)؟ أفزعت (سول) فكرة أن (آكي) يمكن أن يكون أحد هؤلاء الذين هجموا عليهم الليلة، بل من المحتمل أن يكون هو من أسقطته (كارما) قتيلا.

قاطع أفكاره وصولهما إلى منزل (برونو). توقف الحصان أمام جثة أخرى ملقاة على الأرض ولكن (سول) أدرك على الفور جثة من هذه. بقايا الملابس الواضح أنها مصنوعة من نسيج الإله تحديدا كانت دليلا

كافيا على أنها جثة (برونو). سيناريو ما حدث كان من السهل رسمه من ملامح المشهد، فالجثة لم تحترق بالكامل مما ينبيء أن القذيفة لم تضربها مباشرة ولكن بقايا الورق المحترق أخبرت (سول) أن الفتى كان يريد إنقاذ بعض من كتبه التي أمسكتها النيران فأدى هذا إلى أن تنتقل إلى جسده هو الآخر. عصرت قبضة باردة قلب (سول) عندما أدرك ما حدث، فها هو ذا (برونو) اليتيم الذي كان يتحدث إليه بتعال بالأمس.. (برونو) الحافي ذو العوينات الرديئة الذي وضع مشروع حياته أن يتزوج (كارما).. (برونو) الذي أحب كتبه حتى مات محترقا معها.. (برونو) الذي لم يستحق هذه النهاية.

عرف أن (كارما) أدركت نفس الحقيقة من تجمد نظراتها فوق الجثة. ظلت في هذا الوضع بضع ثوان ثم ودون أن تنطق حرفا أو تذرف دمعة، أدارت لجام الحصان ووكزته بقوة كي ينطلق متجها إلى الغابة. ذعر (سول) لانطلاقهما بهذه السرعة وسط غابة مظلمة ولكنه لم يجرؤ أن يعترض، فقط تشبث بجسد (كارما) بقوة.

ظلا منطلقين طويلا ولدهشة (سول) العارمة لم يحدث لهما حادث طوال هذه الفترة. وصلوا إلى مساحة شاسعة خالية من الأشجار ولكن (كارما) لم تتوقف أو تهدئ من سرعتهما بل وكزت الحصان كي يزيد من سرعته مستغلة فرصة اختفاء الأشجار كمعوقات.

ربما استمرا هكذا لمدة ساعتين أو أكثر قبل أن تقرر (كارما) التوقف أخيرا. الغابة أصبحت غير مرئية لهما في هذه البقعة الجرداء الخالية سوى من الحشائش. ظل الصمت مغلفا (كارما) وهي تترجل عن الحصان دون أن تكلف نفسها بمساعدة (سول) الذي هبط بمعرفته. لم تكن

هناك أشجار لربط لجام الحصان فثبتته أسفل صخرة كبيرة. أفرغت حمولة السرج من الفرشة التي تستخدمها للنوم وفردتها على الأرض. عرف (سول) أنها تستعد للنوم ففكر فيما إذا كان يجب أن يقول شيئا ما، حسم تردده أخيرا وقال بصوت خفيض:

ـ (كارما).. أنا آس...

وكأنها كانت بانتظار أن يفتح فمه كي تنقض عليه. تحركت بسرعة بالغة وفي لحظة أصبحت مجثمة فوق جسده الذي طرح أرضا صائحة:

ـ لقد سمعته.. لقد سمعت هذا المطهر الحقير قبل أن أقتله وهو يخبر أحدا أنه عثر عليك.. لقد أتوا من أجلك.. كل ما حدث حدث بسببك..

لم يقاومها (سول)، كل ما استطاع أن يفعله هو أن ينظر إلى عينيها اللتين تقاومان دموعها دون أن يعلق.

ـ أليس لديك ما تقوله الآن؟

..ـ

أفلتته واعتدلت بعنف متجهة إلى فرشتها وألقت نفسها فوقها مولية إليه ظهرها. لم تصدر صوتا ولكنه عرف من حركاتها المتشنجة أنها تبكي. اعتصرت المرارة قلبه لمنظرها هذا، قوتها وجفافها الأبديان كانا قد أنسيا (سول) أنها في النهاية إنسان وليست جمادا. كم ود لحظتها أن يضمها إليه، أن يذيب دموعها في صدره وأن يطمئنها أن كل شيء سيصبح على ما يرام، أن يخبرها أن (برونو) بالتأكيد مع الإله الآن في مكان أفضل، لا يهم إن كان من المنبوذين أم لا، ففي النهاية هو مجرد طفل والإله عادل لا يرضى أن يضيع طفل في الظلام الأبدي.

شاغرا بالعجز، استلقى هو الآخر عائدا إلى الأرض الغير مريحة وتطلع إلى السماء دون أن يجافيه النوم. فاجأه هذا الشيء الضخم الذي ضرب وجهه بعنف فاعتدل فزعا. تفحص الشيء فوجده فرشة كالتي تنام فوقها (كارما) فالتفت إلى حيث هذه الأخيرة ليجدها عادت إلى نفس وضعيتها السابقة وكأن شيئا لم يحدث. أدرك أنه كانت هناك فرشتان فوق السرج، هو فقط لم يلاحظ الآخر في الظلام. فرده ثم قبل أن يستلقي، ألقى نظرة أخيرة عليها وبطريقة ما سرقت ابتسامة باهتة طريقها إلى شفتيه.

١٢

ـ علينا أن نرجع، فلا يوجد شيء هنا..

(كارما) كانت محقة، فـ(سول) أيضا لم يجد ما قد يفيد على وجود (الراهب) في هذه البقعة المقفرة. كانا قد وصلا إلى الموقع المطلوب فجر أمس ومنذ اللحظة الأولى أدركا أنه لا شيء يميزه عن باقي المساحات التي مرا عليها اليومين السابقين. حاول (سول) أن يشحذ قوته الجديدة كي تساعده في البحث دون جدوي، فإما أنه لم يعرف كيف أو أنها لم تستجب هذه المرة. باتا في هذا المكان ليلة حتى يعطياه فرصته الكاملة وتفحصا كل شبر فيه ولكنهما لم يجدا سوى الحشائش والصخور. مع دخولهما الليلة الثانية، بات أملهما في أن يعثرا على أي شيء مفيد ضعيفا للغاية.

سبب آخر كان يدعوهما إلى التخلي عن البحث والعودة هو أن مؤنهما كادت تنفد. السرج كان به ماء وخضروات مجففة ولكنهما استنفدا الطعام أما الماء فقد بقي منه القليل رغم اقتصادهما. المشكلة في موقعهما هذا هو أنه خال من أي مصدر ماء، كما أنها لم تمطر من أيام، بالإضافة إلى ندرة الحيوانات البرية التي تستطيع (كارما) صيدها. فقط بالأمس

نجحت في صيد فأر صغير، اضطر الجوع (سول) أن يشاركها فيه مقاوما اشمئزازه. الشيء الإيجابي الوحيد كان عندما طمأنت (كارما) (سول) أن قطاع الطريق نادرا ما يتواجدون في هذه المناطق المقفرة.

بعد أن وافق (سول) (كارما) على أنهما بالفعل لن يجدا شيئا قررت أن يبيتا الليلة ثم يحولان وجهتهما فجرا إلى نقطة لقاء المنبوذين. تساءل (سول) في نفسه عن ردة فعل (ماليك) عندما يعودان إليه خاليي الوفاض، هذا بالطبع على فرض أنه بقي حيا بعد هجوم المطهرين. ترى هل سيظل على تفاؤله أن (سول) يستطيع إنقاذهم؟

استعد (سول) للنوم وهو يراقب (كارما) التي نهضت لاستلام نوبة حراستها الأولى. كانت أهدأ كثيرا من الليلة التي انقضت عليه فيها، توقع أن تستمر في لومها أو أن تعامله بطريقة أكثر جفافا حتى من طريقتها العادية، ولكنها لم تفعل.. رغم أنه كان يرى الألم الصامت واضحا في ملامحها.

أيقظته بعد ثلاث ساعات كالمعتاد فجلس محاولا فتح عينيه. نجح في محاولته لمدة ساعة تقريبا ثم استسلم. اعتادت (كارما) على هذا فقد استيقظت في الليلتين السابقتين لتجده نائما. كانت تعرف أن حواسه لم تعتد الانتباه في البرية بعد وأنها مازالت أقرب إلى حواس سكان المدن الخاملة. لكن تلك الليلة لم يظل (سول) نائما، فقد أيقظه شيء ما لمس وجهه لمسة رقيقة. فتح عينيه فجأة ليرى ما هذا الشيء ولكنه لم يجده. لم يستطع العودة إلى نومه فنهض ينظر حوله متوترا. الفجر كان موشكا و(كارما) لاتزال مستغرقة في النوم، أما الحصان فقد نظر إليه في صمت وكأنما يريد أن يفهم سبب توتره. كان (سول) واثقا أن شيئا ما لمس

وجهه وأن هذا الشيء ليس عشبا طائرا مثلا، بل هو شيء آخر. أخذ بضع خطوات وهو مازال يتلفت حوله.

أيقظت حركته (كارما) التي استلت سكينها بحركة غريزية قبل حتى أن تفيق كليا هاتفة:

ـ ماذا هناك؟

لم يلتفت إليها (سول) الذي خيل إليه أنه يرى شيئا أمامه مباشرة، شيئا شفافا ولكنه مع هذا يعرف أنه موجود، فهذا الشيء كان يكسر الرؤية الطبيعية حوله وكأنه قطرة ماء معلقة في الهواء. منبهرا اقترب (سول) ثم مد يده ليلمس هذا الشيء وهنا حدث ما لا يصدق، ففور أن لمسه (سول) بدأ الشيء يكتسب وجودا مختلفا له لون أخضر بديع، انتشر اللون الأخضر راسما ملامحه فأصبح ورقة شجر تكسوها قطرات الندي، لم يتوقف انتشار اللون فكأنما ألقى (سول) حجرا في الماء ليحدث دوامات دائرية حول مكان سقوطه، امتد الخضار يرسم أوراقا أخرى ثم تحول إلى البني راسما أغصانا انتهت بشجرة كاملة، من الشجرة الواحدة اخترقت الألوان الفضاء حولها لرسم شجرة أخرى ثم ثالثة فرابعة حتى أصبح (سول) و(كارما) يقفان وسط غابة كاملة تختلف تمام الاختلاف عن المكان الذي كانا فيه منذ لحظات، إنهما حتى سمعا زقزقة عصافير تسكن الأشجار لم يسمعاها سابقا.

ـ ما الذي يحدث هنا؟

انتبه (سول) إلى (كارما) التي أصبحت تقف جواره موجهة سكينها تجاه خطر مجهول ولكنها أيضا كانت تحمل نفس ملامح الانبهار المرسومة على وجه (سول).

ـ لا.. لا أعرف..

جاءهما فجأة صوت رجل يهتف من خلفهما:

ـ كنت أعرف أنك مختلف..

التفتا بسرعة ليريا صاحب الصوت فوجدا رجلا ذا مظهر عجيب.. كان أسمر البشرة، نحيل، حليق الرأس تماما ولا يبدو أن سنه يتجاوز الأربعين، أعجب ما فيه أنه كان عاريا إلا من مئزر قصير يغطي أعلى فخذيه. أقبل عليهما بقدمين حافيتين وقال مرحا:

ـ أهلا بكما في واحتي، أنا (بايون)..

تنبهت حواس (كارما) الدفاعية ولكنها لم تعترض الرجل وهو يمسك كتفي (سول) متابعا:

ـ آسف إن كنت أزعجتك أثناء نومك.. ولكني كنت بحاجة أن أتأكد..

ـ ماذا؟.. أنت الذي لمست وجهي!!.. كيف لم أرك إذن؟

ـ لأني فعلتها بهذا..

قالها ثم أشار إلى رأسه وعندما بدت الدهشة على وجه (سول) سأله (بايون) ضاحكا:

ـ هل حقا مازلت تندهش حتى بعد ما رأيته في الأيام السابقة يا (سول)؟

لم يقلل تعليقه هذا من دهشة (سول) الذي لم يدر كيف عرف هذا الرجل اسمه، بل ضاعفها.

سألته (كارما) فأجاب مبتسما:

ـ أمازالوا يطلقون علي هذا الاسم؟ نعم يا فتاتي الصغيرة، هو أنا، ولكني أفضل اسم (بايون).

إن (ماليك) كان على حق إذن، كما كان على حق أيضا فيما يخص مسألة عمر الحالمين، فهذا الرجل أمامهما لا يبدو على الإطلاق كشخص كان بالغا منذ خمسين عام.

ـ والآن.. هلم بنا إلى كوخي المتواضع.

مدت (كارما) يدها كي تلتقط لجام الحصان ولكن (بايون) أوقفها:

ـ لا تقلقي عليه.. اتركيه يجول في الواحة كما يحلو له فهو سيجد كل ما يريد من مشرب ومأكل وأنا متأكد أنه سيظهر في الوقت المناسب إن احتجنا إليه..

ثم تابع ملتفتا إلى الحصان:

ـ أليس كذلك يا صديقي؟

هل أومأ الحصان برأسه إيجابا حقا أم أنها مجرد صدفة؟ أيا كانت الإجابة فإن (كارما) لم تعترض على غير عادتها، لم يدهش هذا (سول) فهو أيضا كان يشعر لسبب خفي أن هذا الرجل محل ثقة.

بدأ (بايون) بدفعهما دفعا حماسيا كي يسيرا أمامه قائلا:

ـ إن (يوريكا) سوف تسعد جدا بلقائكما.

لم يعرفا بالطبع من هي (يوريكا) ولكنهما لم يسألا، فقد كانا مشغولين بالانبهار. الواحة كانت ضخمة بالفعل ورائعة الجمال، أشجارها تنضح خضرة ولكن بعضها كانت ألوانه تتراوح بين الوردي الفاتح والقرمزي والأصفر، ورق الأشجار أيضا لم يكن على صورة واحدة فمنه الصغير والكبير، السميك القصير والرفيع الطويل. جرى ريقهما حين لمحا أنواع الفاكهة المختلفة التي تكتظ بها بعض تلك الأشجار، كان يوجد الموز والتفاح والكمثرى والمانجو، كانت معلومات (سول) عن الزراعة ضعيفة جدا ولكنه كان متأكدا من استحالة وجود كل هذه الأنواع من الفاكهة معا في نفس الوقت من العام أو في نفس الجو الحار الرطب، ورغم هذا فها هي تتدلى أمامهم ناضجة تستفز أيديهم أن تقتلعها.

حينما ظن (سول) و(كارما) أنهما رأيا كل العجب، وجدا ما هو أعجب، فأمامهما كان هناك مجرى مائي في منتهى النقاء حتى أنه لا يحجب أي تفاصيل من ألوان الصخور البديعة المستقرة في قاعه، دهشتهما جاءت من أن هذا المجرى لابد آت من مصدر ما ومنته عند مصب ما ولكن طيلة فترة مكوثهما في هذا المكان وقبل أن تظهر لهما الواحة، لم يجدا أي مصدر أو مصب مائي، تابعا المجرى حتى انتهى إلى بحيرة كبيرة فأجاب هذا سؤال المصب، ولكن ماذا عن المصدر؟..

على بعد أمتار قليلة من البحيرة رأيا الكوخ الخشبي الذي أشار إليه (بايون)، تصورا أن لكونه كوخ فسوف يكون صغير الحجم ولكنه كان أكبر مما تخيلا، طابقه الوحيد به شرفة واسعة تطل على البحيرة وقمته كانت على شكل هرمي، نوافذه العديدة توحي بعدد كبير من الغرف. كان له باب ضخم تقف تحته امرأة مبتسمة ضامة كفيها أمامها، خمنا أن

هذه هي (يوريكا). خافية هي الأخرى وتبدو من نفس عمر (بايون)، سمينة بعض الشيء ذات وجه صبوح وعينين واسعتين، كان جسدها ملفوفا بقماش حريري وردي اللون صاعد من قدميها وحتى رقبتها.

ـ أعرفكما بـ(يوريكا) زوجتي..

بنفس مرح وترحاب زوجها استقبلتهما:

ـ أهلا بكما، لابد أنكما مرهقان وجائعان كذلك.. هذا جيد، فقد أعددت لكما الطعام..

هل أخبرها (بايون) أن تحضر الطعام مسبقا على أساس أنهما سيصحبانه إلى هنا؟ كان سؤالا بلا إجابة ولكنهما بالتأكيد لم يعترضا، فقد كانا جائعين بالفعل، كما أن الرائحة الصادرة من الداخل أسكتت أي سؤال ورد بخاطرهما.

قادتهما (يوريكا) إلى الداخل فوجدا أنفسهما يمشيان في ممر قصير قادهم إلى بهو فسيح مضاء بنور الشمس القادم عبر النوافذ، على أطراف البهو كانت توجد ستة أبواب لست غرف مغلقة، تجاوزوا كل هذا إلى ممر صغير آخر يقود إلى باب الكوخ الخلفي المطل على حديقة رائعة بألوان زهورها المنتشرة فيها والخالية من الأشجار إلا من شجرة تفاح وحيدة في الوسط. كم الألوان الذي رآه (سول) و(كارما) منذ ظهرت الواحة كان أكثر من الكم الذي رأياه في حياتهما كلها.

خرجوا إلى الحديقة فوجدوا قماشا مطرزا مفروشا فوق الأرضية الخضراء وعليه أطباق مصنوعة من الألياف تحمل من أنواع الفاكهة التي رأياها بالإضافة إلى أنواع خضروات طازجة، ولكن الرائحة التي شماها كانت لديك مشوي ضخم مستقر فوق أكبر الأطباق حجما.

لم يصدقا ما يريان فقد كان ما يقبع أمامهما أقرب إلى السراب منه إلى الواقع. طمأنهما (بايون) الذي أصبح (سول) واثقا من قدرته على قراءة الأفكار:

ـ إنه ليس سرابا.. بل واقعا أرجو أن تتمتعا به.

لم يكونا بحاجة فعلية إلى الدعوة، فحتى (كارما) بغريزتها المتأهبة دائما، تخلت عن كل حرصها وهي تنهال على الطعام الموجود. جلس (سول) ليشاركها هو الآخر متناسيا كل أسباب وجودهما هنا في حين ظل الزوجان اللطيفان يراقباهما. أزعجت هذه الرقابة (سول) بعض الشيء ولكن هذا لم يمنعه من الأكل بنهم منقطع النظير. انتهيا أخيرا من الطعام والشراب الذي فاض ثم قال (بايون) مبتسما:

ـ والآن سأريكما غرفتيكما كي تستريحا قليلا ثم بعدها يمكنكما الاستحمام في البحيرة.

ربما كانت هذه الجملة هي أجمل جملة سمعها (سول) في حياته. قادهما إلى الداخل إلى غرفتين متجاورتين فتحهما دون الحاجة إلى مفتاح. أدهش (سول) هذا العدد من الغرف الذي ظاهريا لا يحتاجه هذان الزوجين المنعزلين.

دخل (سول) غرفته النظيفة فوجد في وسطها سريرا خشبيا مفروشا بقماش نعومته تضاهي نعومة نسيج الإله بالإضافة إلى وسادة ناعمة هي الأخرى. فوق السرير استقر جلباب أزرق خفيف واسع الكمين ومنشفة، أما أكثر ما أسعده كانت الشفرة المعدنية الحادة التي بجواره. تحسس ذقنه التي طالت وتشعبت وأصبحت تضايقه بالفعل.

لم يضيع (سنول) وقتا في الزاحة فقد أخذ الجلباب والمنشفة والشفرة متجها إلى البحيرة. الشمس كانت في اتجاهها للظهيرة ومع ذلك فالجو كان لطيفا على غير عادة الجو الحار الذي لم يلقيا سواه منذ بداية رحلتهما. لم ير الزوجين في أي مكان ولكنه عند وصوله إلى البحيرة وجد (كارما) قد سبقته إليها.

تسمر في مكانه، فقد كانت (كارما) تقف وسط البحيرة التي بلغت وسطها عارية تماما، وجه نظره إلى الأرض دون أن يعرف كيف يتصرف، هل يخلع ثيابه هو الآخر وينزل إلى البحيرة؟ المساحة واسعة وسيكونان متباعدين بمسافة كافية كي لا يشعر بالحرج، لم تنجح فكرته هذه أن تزحزحه من مكانه.

ـ ماذا هناك؟ هل تخجل من شيء ما؟ أم أن سكان المدن لا يستحمون؟

هتفت بها (كارما) ساخرة فأغاظه هذا.

ـ هل أوشكت على الانتهاء؟

سألها دون أن يرفع نظره عن الأرض فأجابت ببساطة:

ـ لا أعتقد.. فالماء دافئ للغاية مما يجعلني أفكر في البقاء حتى الغروب.

زاد غيظه فقرر أن ينزل حتى لا يشعرها بمتعة الانتصار. خلع ثيابه بأيدي ترتجف ثم نزل إلى الماء أمام عيني (كارما) التي لم يبد عليها الانبهار. لم تكذب بشأن الماء فقد كان دافئا بالفعل وأعطاه هذا إحساسا وقتيا بالاسترخاء.

ـ يبدو أني كنت مخطئة وأن (ماليك) كان على حق.

ـ نعم، يبدو هذا..

قالها محاولا ألا ينظر إليها فسألته:

ـ ماذا الآن؟

ـ حقا لا أعرف، ولكني أعتقد أن علي أن أبدأ بالتعلم من (بايون) كيفية تطوير قدراتي.

صمتت فسألها (سول) بحذر:

ـ ماذا عنك؟

بدا عليها التفكير لحظات ثم أجابت:

ـ لا أظن أن علي تركك، فحالما تنتهي، أيا كان ما ستفعله هنا، يجب أن أعيدك إلى (ماليك) وإن تركتك لأعود لاحقا، لا أظن أني أستطيع إيجاد هذه الواحة ثانية بمفردي.

كم شعر (سول) براحة عندما قالت هذا، لا يعرف إن كان هذا لقدرة (كارما) على العيش في البرية أم لطول فترة مكوثهما سويا، ولكن وجود (كارما) بجانبه أصبح هو أكثر ما يشعره بالأمان.

لم تظل (كارما) إلى المساء كما هددت فقد اتجهت للخروج من البحيرة بعد ساعة تقريبا. أثناء خروجها اختلس (سول) بضع نظرات أوهم نفسه أنها حدثت صدفة دون تعمد. لاحظ الجروح المنتشرة في جسدها ولكن هذا لم ينقص شيئا من جمال تناسقه الرياضي.

التفتت إليه بغتة لتصطدم عيناها بعينيه المختلستين، ارتبك بشدة وحاول أن يعيد أنظاره إلى سطح الماء سريعا وكأن هذا سيفلح في مداراة

خرجه، اختلس نظرة أخرى كي يرى ردة فعلها و.. مهلا، هل رآها تبتسم حقا؟ لا يستطيع أن يجزم فقد أشاحت بوجهها بسرعة وهي تلف حول جسدها قماشا حريريا ورديا كالذي ترتديه (يوريكا).

هذه المرة لم يتمكن من زحزحة عينيه من عليها ولم يهتم إن ضبطته، فمشهد الحرير الناعم الرقيق وهو يحتضن جسدها خطف نبضات قلبه المتسارعة. كالمرة السابقة، التفتت بغتة إليه لترى الانبهار الواضح على ملامحه ثم عادت تشيح بوجهها من جديد وتتجه إلى الكوخ لكن دون أن تتركه حائرا هذه المرة.. فمع التفاتتها إليه، كانت ابتسامتها واضحة..

١٣

الصباح التالي، خرج (سول) من الكوخ منتعشا بعد أن أصبح نظيفا حليق الوجه كما أنه قد أخذ قسطا وفيرا من النوم. وجد (بايون) جالسا وسط الزهور في الحديقة الخلفية بنفس المئزر القصير الذي من دونه سوف يصبح عاريا تماما. كان مغمضا عينيه مبتسما فاقترب منه (سول) بحذر.

ـ تعال يا بني.. لا تقلق..

قالها دون أن يفتح عينيه فجلس (سول) بجواره صامتا.

ـ أعرف ما يدور برأسك.. أنت تريدني أن أبدأ تعليمك، أليس كذلك؟

ـ بلى..

فتح (بايون) عينيه أخيرا متأملا وجه (سول):

ـ أخبرني.. ما الذي تتوقعه مني بالضبط؟

فاجأه السؤال فأجاب مترددا:

ـ أن تعلمني كيف أطور قدراتي.

ـ لم؟

ـ كي أستطيع أن أهزم المنقذ..

ـ ولم تريد هزيمته؟

ـ لأنه.. لأنه..

لأنه ماذا؟ اندهش (سول) لعدم قدرته على إيجاد إجابة. هو هرب من المدينة خوفا من المنقذ ولكن هذا الأخير لم يطرده، ثم هو صدق رواية (ماليك) عن كذب وخداع المنقذ ولكن هذا في حد ذاته ليس سببا كافيا كي يسعى أحد لتدمير شخص ما، بالفعل هناك حدثان أثارا مشاعر الغضب داخل (سول) تجاه المنقذ وهما علمه أن هذا الأخير هو من قتل أمه ومذبحة المنبوذين التي كان هو شاهدا عليها، هل هو الانتقام إذن؟ لا.. هناك سبب آخر حتما، سبب لا يدري كنهه ويقوده في هذا الاتجاه. بعد لحظات من الصمت خرجت إجابة (سول) التي ظنها واهية ولكنها كانت كل ما يملك في تلك اللحظة:

ـ لأني أشعر أن هذا هو الشيء الصحيح الذي يجب فعله.

لدهشته ابتسم (بايون) قائلا:

ـ هذه هي الإجابة الصحيحة يا بني..

لم يفهم (سول) كيف تكون هذه هي الإجابة الصحيحة بل كيف تكون منطقية بالنسبة لـ(بايون)، هم بسؤاله إلا أن الأخير تابع:

ـ سوف تفهم لم بعد قليل، أما الآن فدعني أسألك سؤالا آخر.. ماذا تعرف عن العقل؟

ـ هو العضو الذي نفكر به!!

ـ خطأ.. فالعقل ليس عضوا، المخ هو العضو أما العقل فهو شيء آخر تماما..

لم يستوعب (سول) فاستطرد (بايون) شارحا:

ـ إذا كنت راكبا فوق ظهر حصان منطلقا به، فسرعتك في تلك الحالة هي سرعة الحصان نفسها ولكنكما، أنت والحصان، شيئان مختلفان تماما.. هذا هو الفارق بين المخ والعقل، فالمخ هو الحصان والعقل هو الراكب فوقه، إذن فالأخير يمتطي المخ ويستغل قدراته بينما هو يختلف اختلافا كليا عنه، بل وينتمي كل منهما إلى عالم مغاير للآخر..

ـ ماذا تعني بـ«عالم مغاير»؟

فرد (بايون) ذراعه مشيرا إلى الحديقة:

ـ انظر إلى العالم الذي يحيط بنا الآن.. هو مليء بالأشياء التي نستطيع أن نراها أو نشمها أو نلمسها أي أننا نستطيع أن نتفاعل معها عن طريق الحواس، هذه الأشياء كلها تنتمي للعالم المادي، هذا العالم هو نفسه ما ينتمي إليه المخ وجميع أعضاء الجسد، أما العقل فينتمي إلى عالم آخر لا نستطيع الوصول إليه بحواسنا.. عالم العقول..

ازدادت حيرة (سول) أكثر:

ـ وكيف هو هذا العالم؟

شرد (بايون) ببصره مجيبا بلهجة حالمة:

ـ هو عالم أجمل من العالم المادي بكثير، فيه الأفكار تسبح بلا حدود أو فواصل مادية بين حامليها، فيه الجوهر الحقيقي للأشياء، لا يوجد فيه فضاء ولا زمان يجبرانك على اتخاذ مسار إجباري، فيه الحرية المطلقة، والصدق المطلق..

حل الانبهار محل الحيرة في ملامح (سول) الذي ظل صامتا سابحا بتأملاته هو الآخر في كنه هذا العالم، حاول أن يرسم له صورة ذهنية ولكنه فشل تماما. عاد (بايون) يلتفت إلى (سول) مستطردا:

ـ عندما سألتك عن سبب رغبتك في هزيمة المنقذ وأجبتني أنه شعور لديك يدفعك لهذا، علمت أن هذا ليس مجرد شعور، فأنت قد ولجت عالم العقول هذا واستحضرت هذه الأفكار الصافية منه دون أن تدري، هذه الأفكار هي التي تخبرك أن هزيمة المنقذ هي الشيء الذي عليك فعله.. ولأن عالم العقول به الصدق مطلق، فاعلم أن هذه الأفكار صادقة الحكم دائما.

ـ ولكن كيف دخلت هذا العالم دون أن أدري؟ وكيف أفعلها ثانية؟

ـ الإجابة بسيطة ولكن للأسف التنفيذ هو الصعب، فكما أن مدخل العالم المادي هو الحواس فمدخل عالم العقول هو ببساطة العقل، الصعوبة تكمن في أن استخدام العقل لهذا الهدف يتطلب استعدادا خاصا لدى الشخص وهذا الاستعداد غير متاح لكل البشر، ولكن كما قلت سابقا.. أنت مختلف، فأنت أحد هؤلاء الذين يملكون هذه القدرة. الباقون ربما يستطيعون أن ينظروا فقط إلى هذا العالم عن طريق نافذة.. هذه النافذة هي الحلم، فأثناء الأحلام يصبح الفاصل بين عالمي المادة والعقل واهيا.. ولكن هؤلاء لا يستطيعون أن

يفعلوا أي شيء سوى المشاهدة، أما أنت فبإمكانك أن تتفاعل مع هذا العالم، كما فعلت في حلمك عندما قررت أن تحول دفة القارب إلى الشاطئ.

(سول) لم يخبر (بايون) بهذه التفاصيل ورغم هذا لم يندهش لمعرفة هذا الأخير بها، ولكنه كان لديه تساؤل آخر.

ـ تتساءل عن علاقة ما قلته بقدرات تغيير الواقع التي ظهرت عليك!!..

أومأ (سول) برأسه إيجابا فاستطرد (بايون):

ـ إن له كل العلاقة في الواقع، فإن قدرتك على التطرق إلى عالم العقول، يجعل في إمكانك أن تغير ما يحدث في عالم الأجساد، المثال على ذلك ما حدث معك في المرتين، عند إنقاذك الرجل الساقط وعند دفاعك عن نفسك ضد قطاع الطريق، والحقيقة أني مندهش من سرعة تطور قدرتك هذه فعادة المسألة قد تأخذ سنينا قبل أن يستطيع أحد الحالمين من فعل ما فعلته.

ـ إن كان الوضع هكذا، فلم لا أستطيع أن أدخل إلى هذا العالم الآن على سبيل المثال؟

هنا نهض (بايون) مجيبا:

ـ هذا هو ما سنعمل عليه سويا، ففي المرتين السابقتين اللتين تجلت فيهما قدراتك، كان الوضع خاصا.. وجودك تحت الخطر جعل غريزتك تتغلب عليك وتقودك كما تشاء، هذه الغريزة هي ما استدعى هذه القدرات كي تحميك، ولكن الخطوة التالية التي علينا

اتخاذها هي تدريبك على كيفية الدخول إلى عالم العقول في أي وقت وتحت سيطرتك الواعية الكاملة واستدعاء هذه القدرات كيفما شئت..

أثار هذا حماس (سول) بشدة فسأل:

ـ وكيف نبدأ؟

ـ هذا سهل..

ابتسم (بايون) مشيرا إلى زهرة حمراء بديعة قابعة أمام (سول) وكبيرة نسبيا وسط باقي الأزهار وتابع:

ـ سنبدأ بهذه..

* * *

مر أسبوع و(سول) يتأمل الزهرة.. تأمله بالطبع كان يقطع إما للنوم أو الطعام أو تلبية نداء الطبيعة ولكنه سرعان ما يعود لجلسته المتأملة بعدها.

ـ لا تزح نظرك عن هذه الزهرة، تأملها جيدا.. بكل تفصيلة فيها وعندما تظن أنك قد حفظت هذه التفصيلة عن ظهر قلب، انتقل إلى تفصيلة أخرى أدق وهكذا.

هذه كانت هي تعليمات (بايون) والتي أصابت (سول) بخيبة أمل كبري، فهو لم يفهم كيف سيساعده هذا على تطوير قدراته أو يجعل بإمكانه ولوج عالم العقول متى شاء، ولكنه مع هذا واظب على التأمل. فترته المفضلة في اليوم كانت عندما تأتي (كارما) لجمع التفاح

من الشجرة التي تتوسط الحديقة. الواحة كان لها تأثير بالغ عليها فقد كانت تبدو سعيدة هنا وقد تخلت كليا عن التحفز والغضب اللذين لم يفارقاها أبدا منذ التقاها. لا يعرف إن كان بسبب هذا أم بسبب ملابس (يوريكا) التي ترتديها، ولكن (كارما) أصبحت تبدو له أرق بكثير من السابق.

كانت تساعد (يوريكا) في العناية بالمكان وهو لم يتمكن من التحدث إليها كثيرا بسبب هذه المهمة الثقيلة التي كلفه بها (بايون).

ـ كيف حال تقدمك؟

ـ لا يوجد أي تقدم بعد..

كان هذا هو ملخص ما يتبادلان من كلام عندما يلتقيان وقت الطعام والذي مثل لغزا آخر لـ(سول)، فهو يمكنه تفسير كيف يحصل (بايون) و(يوريكا) على الخضروات والفاكهة المنتشرة في كل مكان بالواحة، أما اللحوم فقد كانت شيئا آخر، فدائما ما يوجد مصدر لها سواء من أرنب أو دجاجة أو خنزير أو حتى قطع من لحوم الماشية في الطعام دون أن يلاحظ أيا من هذه الحيوانات حوله أو يلمح أيا من (بايون) أو (يوريكا) أو حتى (كارما) عائدا بصيد ما.

بالأمس سأل (بايون):

ـ إلى متى سأظل هكذا؟

ابتسم واضعا يده فوق كتف (سول):

ـ إلى أن تجد الطريق يا بني، مهما كلفنا هذا من وقت.. فقط اشحذ

تركيزك ولا تقلق من أي شيء آخر فطوال هذه الفترة أنتما بأمان هنا، الواحة ستظل صامدة طالما أنتما بحاجة إليها..

لم يرحه هذا ولكنه لم يجد ما يقول.

«ما الشيء المميز في هذه الزهرة؟» فكر (سول) ويتمعنا فيها، انطبعت تفاصيلها في رأسه بالفعل بلونها الأحمر القاني الذي يغطي أوراقها.. بالنقاط السوداء الدقيقة عند جذور الأوراق.. بجذعها الأخضر المائل الخالي من الأوراق. كانت تقف شامخة وسط باقي الأزهار ولكن دون ذلك، لم يبد له أي شيء مميز بخصوصها.

جاءت (كارما) أخيرا لجمع التفاح حتى تريحه من الملل قليلا. اختلي النظر إليها وهي تمد يدها تلتقط التفاح الطازج دائما كما كل شيء في هذه الواحة. المشهد كان بديعا مع نسمات خفيفة تهب فتحاول أن ترسم حدود جسدها مستغلة الفستان الخفيف وعندما تفشل تترك خيال (سول) يرسمه كما يحلو له. تسارعت نبضات قلبه والذي أصبح شيئا معتادا كلما رآها. تنهد تنهيدة طويلة ثم عاد بنظره إلى زهرته فرأى شيئا مختلفا..

اللون الأحمر لم يعد مقصورا على أوراق الزهرة بل انطلق منها سابحا في الفضاء حولها بحيث لم تعد تفاصيل الزهرة واضحة، لم يصدق ما يرى فأغمض عينيه ثوان ثم عاد يفتحهما فقط ليجد أن اللون الأخضر قد شارك الأحمر في سباحتهما البطيئة العجيبة. التفتت عيناه إلى (كارما) كي ينادي عليها ويسألها إن كانت ترى نفس الذي يراه ولكنها لم تعد هناك، بل تحول الفضاء الذي كانت تحتله هي والشجرة إلى خليط ألوان سابح كما حدث مع الزهرة.. بدأ الذعر يتوغل إلى قلبه فحاول النهوض ساندا يده على الأرض هاتفا:

لم يستطع النهوض.. شيئا ما كان يعوقه فنظر إلى يده ليرى السبب وهنا تملكه الذعر بالكامل، فيده لم تعد يدا واحدة، بل أصبحت أيد كثيرة لا حصر لها وكل واحدة تقوم بمهمة مختلفة.. إحدى الأيدي كانت مسندة على الأرض.. أخرى كانت مرتفعة في الهواء بينما ثالثة كانت لاتزال ساكنة بجانبه، وهكذا إلى ما لا نهاية.. عدد الأيدي لم يكن ثابتا بل كان آخذا في الزيادة بسرعة خرافية حتى أصبح المشهد مختلطا بشدة بحيث لم يعد بإمكان (سول) أن يميز الأيدي العديدة.. المشهد كان أقرب لمشهد ألوان الزهرة السابحة. هتف مرة أخرى بشيء ما ولكن لم يخرج منه صوت هذه المرة بل ما خرج من فمه كان ألوانا أخرى.. في الحقيقة تحول كل ما حول (سول) إلى خليط هلامي من الألوان لا تفاصيل فيه.. ألوان لم تقابلها عيناه من قبل..

شعر بنفسه يطفو.. نظر إلى قدميه فلم يجدهما، بل لم يجد أثرا لجسده على الإطلاق.. ألوان.. ألوان.. فقط الألوان، الشيء العجيب أن ذعره اختفى تدريجيا، لمَ يخاف والعالم قد أصبح بهذا الجمال!!.. ذوبانه في هذا العالم لم يقلقه فشعوره أن ذاته نفسها قد أصبحت جزءا من ذات أكبر مكونة من كل الذوات في الكون كان رائعا.. أهذا هو عالم العقول؟.. إن كان هو فـ(بايون) كان محقا بلا شك.. فهذا العالم هو بالفعل بلا حدود.. ولكن للأسف لم تستمر هذه الحالة السامية طويلا، فقد شق ضوء ساطع هذا الخليط من الألوان ليسقط على وجهه، أزعجه هذا كثيرا وأراد أن تغلق هذه الفتحة المزعجة التي تسلل منها الضوء، لدهشة (سول) بدأت الفتحة تضيق من جديد استجابة لرغبته مما أعاد إليه جزءا من سكينته

ولكن مالبثت الفتحة اللعينة أن اتسعت أضعاف حجمها الأصلي دفعة واحدة.. صاح (سول) منزعجا وهذه المرة سمع صوته الذي كان خفيضا للغاية وكأنه آت من مسافة بعيدة وليس من حنجرته هو.

من فتحة الضوء كان هناك ظل ما وأثناء اتساع الفتحة المطرد والذي أدرك (سول) أنه عاجز عن إيقافه، كانت ملامح الظل تتضح أكثر وتتحول إلى ملامح وجه.. وجه (بايون) الباسم بالتحديد.

ـ لقد فعلتها يا فتي.. وفي زمن أسرع بكثير مما توقعت..

ـ ما.. ما الذي فعلته بالضبط؟

سأل (سول) الذي وجد نفسه مستلقيا على ظهره فوق الحشائش. رأى وجه (كارما) البادي القلق بجوار وجه (بايون). كان مشتت الذهن ويشعر بصداع رهيب. عودته من حالة التسامي التي كان فيها منذ لحظات كانت صعبة للغاية، فقد كان شعورا أقرب بشعور من يطير في الهواء ثم فجأة أثقلت قدماه بحمل يزن أطنانا.

ـ لقد وجدت طريقك إلى عالم العقول.. تركيزك في شيء واحد طوال هذه الفترة وحفظك تفاصيله قد أوصلاك أخيرا إلى مرحلة النظر إلى ما خلف العالم المادي..

أجاب (بايون) أثناء محاولة (سول) للجلوس الفاشلة والتي ساعدته فيها (كارما) قائلة دون أن تفقد قلقها:

ـ كنت ألتقط التفاح عندما رأيتك فجأة تتهاوى ثم تشنج جسدك بقوة فصحت منادية (بايون)..

تفاصيل تجربته:

ـ إنه بالفعل عالم ساحر كما قلت لي.. ولكني شعرت أني أذوب فيه.. أني أفقد ذاتي.. هذا لم يحدث في المرتين اللتين ولجت فيهما هذا العالم.

ـ بالفعل يا بني فهذا عادة ما يحدث أول مرة تدخل فيها هذا العالم بإرادتك الخالصة، ففي المرتين السابقتين كان دخولك منوطا بهدف محدود هو أن تحافظ على بقائك فلم تتمكن وقتها من رؤية شاملة لهذا العالم، أما هذه المرة فقد رأيت نبذة حقيقية عنه.. دورنا الآن أن نعلمك كيف لا تتوه فيه حتى لا نفقدك إلى الأبد..

قالها (بايون) ببساطة باسمة فسألته (كارما) هذه المرة:

ـ وهل يمكن أن يحدث هذا؟

ـ بالتأكيد يا بنيتي.. فالبعض يجذبه هذا العالم بشدة حتى أن عقله لا يريد أن يتحد مع جسده ثانية، فينطلق هذا الأخير تاركا الجسد أقرب إلى الجثة.. في الواقع هذا ما كان سيحدث لولا أن تدخلت لأعيده إلى العالم المادي..

ابتسامته لم تتناسب مع إجابته التي زادت من ملامح القلق على وجه (كارما).. لم ينتبه (سول) كثيرا لما يعنيه كلام (بايون) بالنسبة له فقد كان مستمتعا بقلق (كارما) الواضح عليه.

متحمسا دفع (بايون) (كارما) متابعا:

ـ هيا يا بنيتي، فلتتركينا الآن كي نتابع عملنا..

بعد لحظات تردد تركتها (كارما) فعاد (بايون) للجلوس جوار (سول) سائلا:

ـ أخبرني يا بني.. هل رأيت أثناء زيارتك لعالم العقول، الأشياء المرئية تنقسم إلى أشياء عديدة؟

بدا السؤال غريبا لـ(سول) لأول وهلة ولكنه ما لبث أن تذكر مشهد يده وهي تنقسم إلى أياد فأومأ برأسه إيجابا.

ـ عظيم.. هذا يعني أنك على استعداد لكي تغير الواقع بإرادتك الواعية.

ـ كيف؟

ـ عد إلى النظر إلى الزهرة..

لماذا الزهرة مرة أخرى؟ عاد (سول) ينظر إليها مستسلما و(بايون) يتابع:

ـ لن تطول فترة انتظارنا هذه المرة، فأصعب خطوة كانت في إيجاد الباب، وأنت قد وجدته بالفعل.

رغم ما قاله (بايون) مرت الدقائق بطيئة على (سول) دون أن يتغير شيء ولكن بعد حوإلى ساعة نجح في تكرار التجربة.

نفس المشاعر التي مرت به المرة السابقة عادت تسيطر على عقله من جديد، ففور عودته إلى عالم العقول نسي كل ما يربطه بالعالم المادي.. حتى (كارما) نسيها تماما.. انتظر لحظة انصهاره بهذا العالم ولكن قبل أن يحدث هذا، سمع صوت (بايون):

ـ لا تستسلم يا فتى.. أنا معك هنا، سوف أساعدك على تصفية هذا التشويش الذي تراه الآن حتى يستقر عقلك..

لم يبال (سول) كثيرا بما قال (بايون) بل كان مستسلما تماما فعاد صوت هذا الأخير يقول بحسم:

ـ تذكر من أنت.. تذكر مهمتك.. تذكر أباك وأمك اللذين ضحيا بحياتهما من أجل أن تستمر أنت.. تذكر (كارما)..

الاسم الأخير كان له مفعول ساحر على (سول)، فقد عادت ذاكرته بطيئة وكأنها تشق طريقا وعرا إليه.. (كارما)..

بدأت الألوان تنحصر حتى عادت ملامح العالم المادي من حوله.. (بايون) هو الآخر ظهر بجانبه ولكنهما أصبحا واقفين وليسا جالسين كما كانا.

ـ هل عدنا؟

سأل (سول) المشوش فأجاب (بايون):

ـ لا يا بني.. نحن مازلنا في عالم العقول ولكنك فقط أزحت التشويش الذي يفعله هذا العالم بعقلك كي تستطيع أن ترى بشكل أوضح.. التفت حولك وسوف تدرك ما أقول.

التفت (سول) بالفعل وفي البداية لم ير شيئا مختلفا، فها هو الكوخ والحديقة و(بايون) والشجرة.. الشجرة.. لم تعد تلك الأخيرة شجرة واحدة كما كانت من قبل، بل كان منها العديد من النسخ، لاندهاش (سول) البالغ كانت كل النسخ تقع في نفس الموقع ولكنه مع ذلك يراها

كلها بوضوح، ومثل ما حدث ليده، وجد أن نسخ الشجرة كانت مختلفة فيما بينها، البعض كان مختلفا في تفاصيل بسيطة أما الآخرون فقد كانوا مختلفين جذريا.. ففي بعض النسخ كانت الشجرة ميتة غير مشجرة وفي البعض الآخر، لم تكن موجودة على الإطلاق.

هذا الانقسام بدأ يزحف على كل شيء حوله مع تزايد عدد نسخ كل شيء المستمر كما حدث مع يده تماما. (بايون) نفسه بدأ ينقسم وكان مشهدا عجيبا عندما تحركت بعض نسخ هذا الأخير دون غيرها مصحوبة بصوته:

ـ عليك أن تعي شيئا هاما يا (سول) وهو أن عالم العقول هو العالم الحقيقي، وأن في هذا العالم كل ما يمكن أن يحدث لأي شيء هو حادث بالفعل.. كل الاحتمالات قائمة.. إذن فنحن حين نغير الواقع، نحن لا نغيره بالمعنى الحرفي ولكن كل ما نفعله هو أن نختار الاحتمال الذي نريده وسط كل الاحتمالات المختلفة..

مبهورا، لم يعلق (سول) وهو يتابع استمرار انقسام الأشياء من حوله ولكن خلافا للمرة السابقة، بدا لـ(سول) أنه قادر على التحكم في هذه الانقسامات حتى لا تختلط عليه. تابع (بايون) الذي أشار إلى الشجرة، أو إحدى نسخها:

ـ على سبيل المثال، يوجد احتمال أن تسقط إحدى هذه التفاحات في يدك مباشرة، رغم مسافتك الظاهرة منها.. هذا الاحتمال قائم بالفعل وما عليك إلا أن تبحث عنه وتختاره كواقع جديد..

نظر (سول) إلى إحدى التفاحات فوق إحدى الأشجار مزيحا من

عقله كل الأشجار الأخرى.. اعتصر تفكيره كي يسقط فوق الاحتمال الذي تحدث عنه (بايون).. بحث وبحث.. أدهشه الإرهاق الشديد الذي أصابه أثناء محاولاته هذه، فهو لم يكن يبذل أي جهد بدني ولكنه أدرك أن الجهد الذهني الخالص الذي يبذله الآن هو أصعب من أي جهد بدني قام به من قبل.. مر الوقت إن كان يمر طبيعيا في هذا العالم وهو يحاول دون أن يستسلم.. الألم أحاط برأسه وبدا كما لو كان عقله يغلي داخل جمجمته.. كاد ينهار حتى صاح بلا صوت:

ـ لا أستطييع..

أراح عقله دفعة واحدة فعاد إلى العالم المادي.. ألم رأسه كاد يفقده الوعي.. تطلع إلى (بايون) واندهش عندما وجده مبتسما. لم يفهم سر الابتسامة حتى التفت متطلعا إلى هذا الشيء الذي شعر به في يده.. الشيء الذي لم يكن سوى تفاحة..

١٤

ذات ليلة كان (بايون) و(سول) جالسين فوق كرسيين خشبيين في شرفة الكوخ ينظران إلى البحيرة التي تعكس ضوء القمر بينما (كارما) و(يوريكا) جالستان على طرف البحيرة ومنهمكتان في حديث ما.

ـ لماذا عزلت نفسك هنا ولم تقاتل مع المنبوذين؟

سأل (سول) فابتسم (بايون) ابتسامة هادئة:

ـ أخيرا سألت السؤال الذي كان يجول بخاطرك منذ جئت إلى هنا..

قالها ثم التفت إلى (سول):

ـ ولماذا يهمك أن تعرف هذا الآن؟ فبناء على التقدم المبهر الذي أحرزته، أنت مرشح كفء كي تقوم بهذا الدور بدلا مني.

كان محقا، فعلى الرغم من مضى شهرين فقط منذ استطاع (سول) الدخول إلى عالم العقول، فإن قدراته كانت في تطور سريع.. فقد أصبح بإمكانه إيجاد الاحتمال الذي يريده بسرعة بالغة وألم رأسه كان يقل مرة

بعد مرة. وجد متعة بالغة في استخدام قدراته هذه خاصة في اللعب مع (كارما)، لعبته المفضلة كانت عندما يتسبب في عودة التفاح الذي انهمكت في جمعه إلى الشجرة من جديد. رد فعلها كان الانبهار أول مرتين أو ثلاثة، أما بعد ذلك فقط كانت ترد عليه بتفاحة موجهة إلى رأسه بقوة. رغم هذا فالابتسامة لم تكن تفارقها وكأنها قد أصبحت جزءا من شخصيتها الجديدة التي تكونت في الواحة.

قدراته كانت تتطور أيضا في اتجاه قراءة أفكار ومشاعر من أمامه، تلك القراءات كانت أقرب لرؤية نغمات حية تطفو في الفضاء ولم تكن واضحة المعالم قاطعة بعد ولكنها كانت كافية كي يعرف (سول) أنه هو و(كارما) لديهما نفس النغمات حين يفكران بأحدهما الآخر.. اعتبر معرفته هذه أكبر مكسب حصل عليه من قدراته الجديدة.. في بعض الأحيان كان يستطيع أن يقرأ ملامح من أفكار (بايون) عندما كان يسمح له هذا الأخير بالطبع أما الوحيدة التي كانت كتابا مغلقا تماما بالنسبة له هي (يوريكا)، فهو طيلة فترة وجوده في الواحة لم يتمكن من أن يلمح أي شيء من أفكارها. أعاز هذا إلى أنها قد تكون هي الأخرى من الحالمين وأن باستطاعتها حجب أفكارها عن الآخرين. هذا قد يفسر أيضا مظهرها الشاب الذي يبدو أصغر من (بايون) حتي. على أي حال لم يؤثر هذا على نفسية (سول) التي تحسنت كثيرا في الواحة.. الشيء الوحيد الذي كان يعكر صفو أيامه هو معرفته أن إقامته بالواحة حتما ستنتهي يوما ما، وحينها سوف يعود إلى العالم الحقيقي وإلى قتال وصراع، ولكنه لم يكن واثقا من رغبته في العودة، لذا كان بحاجة لأن يسأل (بايون) عن سبب بعده، حتى يرى إن كان بإمكانه أن يفعل مثلما فعل هذا الأخير ويعزل نفسه عن العالم هو الآخر.

كانت هذه هي إجابة (سول) الوحيدة على سؤال (بايون) فعاد الأخير يقول متنهدا:

ـ أنت تعرف أني واجهت المنقذ من سنين طويلة.. وهزمت..

مرارة واضحة اعتلت نبرته وهو يستطرد عائدا للنظر تجاه البحيرة وتجاه (يوريكا) و(كارما):

ـ هذه الهزيمة كلفتني الكثير، حتى أني عندما تمكنت من الفرار اتخذت قرارا بألا أعود لمثلها أبدا..

فوجئ (سول) بملامح الحزن والتي يراها لأول مرة على وجه (بايون) فصمت قليلا احتراما لمشاعره ثم قال محاولا تغيير دفة الحوار:

ـ ما حدود قدراتنا؟

ـ حدود قدراتك يا بني هي ببساطة.. أنت.. كل ما عليك فعله كي تكون قدراتك بلا حدود هو أن تترك لها العنان وتثق بها، فهي في النهاية أنت.. إن فعلت هذا فسوف يكون بإمكانك إيجاد الواقع الذي تريده حتى إن ضعفت احتمالات وجوده.. مثل أن توجد واحة غناء وسط طبيعة مقفرة.. أو أن تجلب صاعقة من السماء لتسقط في مكان محدد تريده..

قال (بايون) عبارته الأخيرة ناظرا إلى (سول) نظرة لها معنى ففهم (سول) على الفور مقصده، إلا أن كلام (بايون) زاد من حيرته فقال:

ـ ولكن إن كانت لا توجد حدود لقدراتنا وإن كان بإمكاننا أن

نختار الواقع الذي نريده، لم إذن لا نختار ببساطة واقعا لا يوجد فيه المنقذ؟

بابتسامة كسيرة أجاب (بايون):

ـ هل تظن أن هذا لم يكن أول شيء حاولت فعله؟ بالتأكيد حاولت هذا ولكن قابلتني مشكلة عجيبة لم أقابلها من قبل، فأنا عندما بحثت وسط احتمالات الواقع.. لم أجد أيا منها خاليا من المنقذ، فهو موجود في كل العوالم المحتملة.

ـ كيف أهزمه إذن؟

ـ حقيقة لا أدري يا بني.. أنت وحدك عليك أن تعرف كيف. ولكني لست قلقا بهذا الشأن، فأنا موقن أنه لو وجد من باستطاعته هزيمة المنقذ فسوف يكون أنت.. أصارحك القول بأني كنت متشائما بعض الشيء عندما قابلتك للمرة الأولى، ولكن تقدمك في التحكم في قدراتك والذي هو بالتأكيد أسرع من تقدمي أنا شخصيا في البداية غير شعوري وحول تشاؤمي تفاؤلا.. هذا بالإضافة إلى شيء هام آخر..

صمت لحظة مستعيدا ابتسامته الكسيرة:

ـ اسمع يا بني.. أنا أعرف أنك و(كارما) تحاولان إخفاء شعوركما بأني جبان..

ـ ماذا؟.. هذا ليس..

تلعثم (سول) ولكن (بايون) استمر في كلامه وكأنه لم يسمع تعليقه:

ـ أنا لا ألومكما، فربما كنتما على حق.. لا أعرف.. ولكن الشيء الذي أنا واثق منه هو أنك لست مثلي في هذه النقطة.. ربما تجذبك أحيانا فكرة الانعزال والحياة في سلام كما فعلت أنا.. ولكنك لن تخنع لهذه الفكرة، فأنت بداخلك شيء ما حتى أنت لا تدركه وأنا لا أستطيع وصفه، وهذا الشيء يتجاوز كل قدراتك التي اكتسبتها مؤخرا، كما أنه هو الذي سيدفعك للمواجهة حتى إن كنت لا تدري كيف ستنتهي هذه المواجهة..

لم يجد (سول) الكلمات كي يعلق، فقط شرد بذهنه لحظات جاءت فيها إلى مسامعه ضحكات (كارما) و(يوريكا).. ترى هل تتحدثان عنه؟.. هل تحكي (كارما) ما قرأه من مشاعرها دون أن تتلفظ به؟..

ـ متى تتحدثان عن مشاعركما بصراحة؟

باغته سؤال (بايون) الذي استطرد مرحا:

ـ هل أنت مندهش حقا من أني أعرف؟.. لقد عرفت منذ البداية، بل استخدمت هذه المشاعر كي أساعدك على تطوير قدراتك..

ثم وكزه في ذراعه مكملا:

ـ من برأيك كان يطلب من (كارما) أن تجمع التفاح أمامك كل يوم؟ أبوك كان محقا في هذه النقطة، فالمشاعر القوية بالفعل تساعد القدرات الكامنة على الظهور.. وقد كانت النتائج مبهرة في حالتك..

ابتسم (سول) معيدا أنظاره إلى (كارما) ومحاولا إخفاء خجله الغريزي. توجه تفكيره إلى التساؤل: هل يكتب لهما مستقبل ما خاصة

ترجمت أفكاره هذه في شكل سؤال جديد:

ـ هل نستطيع رؤية المستقبل؟

ـ في عالم العقول لا يوجد زمن مما يتيح لنا في بعض الأحيان أن نرى المستقبل، ولكن السؤال هو: أي مستقبل هذا؟ تخيل معي أنك نظرت إلى مستقبل مجرى الماء هذا..

علم (سول) أن (بايون) في طريقه لضرب مثل آخر من الأمثلة التي هو مولع بها فتابع إشارته إلى مجرى الماء الذي يصب في البحيرة ثم سمع استطراده:

ـ سوف تراه يسير في الخط الذي يسير فيه الآن ولكن هذا يعتبر احتمال واحد فقط من احتمالات كثيرة، فقد يأتي أحد ما ويسد هذا المجرى في زمن قادم محتمل، وقتها إن نظرت إلى مستقبل نفس المجرى سوف يكون مختلفا.. إذن فالمستقبل مثل الحاضر عبارة عن احتمالات لا حصر لها..

ـ ماذا عن الماضي؟

ـ الماضي قصته مختلفة، فالماضي قد تم فيه بالفعل اختيار احتمال ما وبهذا الاختيار أصبح هذا الاحتمال واقعا أبديا.. ربما أيضا يكون سقوط الماضي من عالم الاحتمالات هو ما يحجبه حتى عنا في عالم العقول..

إذن فلا سبيل إلى الماضي ولن يفيد الاهتداء بالمستقبل.. دفع هذا (سول) إلى أن ينتقل إلى نقطة أخرى كانت تجول حائرة في خاطره منذ فترة:

دهشة (بايون) الصادقة جعلت (سول) يدرك أن هذا الأول لم يقرأ أفكاره فيما يتعلق بهذا السؤال تحديدا، إلا أن تلك الدهشة لم تستمر طويلا مع التقاط (بايون) خيوط أفكار (سول) بسرعة مدهشة ليسأل باهتمام:

ـ أنت تظن أن الصوت الذي ناداك في أحلامك سابقا هو صوت أمك!!

ـ في البداية.. لمست شيئا ما مألوفا في الصوت المنادي، ومع مرور الأيام وربما مع زيادة قدراتي تزايدت شكوكي أنه هو صوت أمي تحديدا.. أنا لا أتذكرها بالطبع ولكنه مجرد إحساس..

بدت ملامح التفكير على وجه (بايون) لحظات ثم قال مقطبا حاجبيه:

ـ لا.. الاتصال بالموتى مستحيل.. فلتدعك من التفكير بهذا..

نبرة الحزم القاسي في كلام (بايون) أدهشت (سول) الذي لم يتوقعها منه أبدا، ولكن لم تمض ثوان قبل أن تلين نبرته من جديد وهو يستطرد:

ـ ولكن إن كان إحساسك يخبرك أنه بالفعل صوت أمك، فعليك أن تثق به.. ولكن ثق أيضا أنه حتما يوجد تفسير آخر لهذا غير الاتصال بالأموات.. تفسير أنا لا أعرفه..

لم يعلق (سول) وصمت مفكرا وبعد مرور دقائق عديدة سأل سؤالا أخيرا:

ـ (بايون).. هل الإله موجود؟..

لم يجبه (بايون) هذه المرة، بل أمال رأسه إلى الخلف متطلعا إلى النجوم.. ورويدا رويدا عادت ابتسامته الهادئة المعتادة تعتلي وجهه. لم يجد (سول) ما يفعل بعد أن طال صمت (بايون) سوى أن ينضم إليه في تطلعه الحالم إلى السماء..

* * *

استيقظ (سول) فزعا من نومه استجابة لدفع (بايون) له. كان هذا الأخير يميل عليه لإيقاظه في الظلام الدامس مما لم يتح لـ(سول) رؤية ملامحه جيدا.

ـ ماذا هناك؟

رغم الظلام وعدم القدرة على الرؤية الواضحة، إلا أن (سول) أدرك أن هناك شيئا ما مختلفا بشأن (بايون)، ربما هو صوت تنفسه الثقيل أو انحناءة جسده الغير طبيعية.

ـ يا بني.. قم الآن وارتد ملابسك التي أتيت بها إلى الواحة ثم تعال قابلني أمام البحيرة..

قالها (بايون) ثم التفت مغادرا الغرفة ولكن صوته المبحوح قطع شك (سول) باليقين أنه ليس على ما يرام، بسرعة نهض (سول) وارتدى ملابسه القديمة والتي غسلتها (يوريكا) بعناية فأصبحت كالجديدة تماما ثم خرج متجها إلى البحيرة وقلقه يبلغ ذروته. وجد (كارما) هي الأخرى أمام البحيرة بثيابها القديمة كذلك. كانت توجد شمعة وحيدة مثبتة وسط الحشائش لتلقي بعض الضوء على المشهد الذي كاد يخلع قلب (سول).. مشهد (بايون) الجالس على الأرض مستندا في ضعف

إلى (يوريكا) الباكية. جاءه صوت (بايون) الذي أصبح أضعف بكثير من ثوان مضت:

ـ اعذرني يا بني.. لقد ظننت أنه مازال أمامنا وقت أكثر، ولكن يبدو أن الوقت قد نفد..

نزل (سول) على ركبتيه ليجلس جوار (بايون) متمعنا في ملامح هذا الأخير وأفزعه ما رأي، فقد بدا كما لو أن (بايون) قد طعن في السن فجأة بذوي وجهه والبقع المظلمة فوق جلده ولحم جسمه الذي انكمش. ملتاعا هتف:

ـ ما الذي يحدث لك يا (بايون)؟.. وأي وقت هذا الذي تتحدث عنه؟..

ـ وقت الحياة يا بني.. فالأعوام الطويلة التي عشتها تعود الآن لتقبض ثمنها مني..

ـ ولكن.. كيف؟..

ـ نحن لسنا خالدين يا بني.. ربما نستطيع أن نمد أعمارنا قليلا ولكن النهاية واحدة..

هنا ارتفع صوت بكاء (يوريكا) الملتاع.. لا.. لا يمكن أن يكون هذا يحدث.. أمسك (سول) بكتفي (بايون) اللذين أصبحا عظميين مقاوما دموعا احتبست في عينيه:

ـ لا.. لا يمكنك أن تتركني الآن.. أنا مازلت بحاجة إليك..

بعينين واهنتين حزينتين قال (بايون):

ـ كم كنت أتمنى لو أني قابلتك قبل هذا بكثير يا (سول) كي أستمر في تعليمك.. ولكني أثق بك وبقدرتك على تجاوز مواجهتك..

نعم.. قدرته.. بالفعل يمكن لـ(سول) أن يستخدم قدرته كي يحول دون موت (بايون). انتقل بسرعة من التفكير إلى التنفيذ ودخل إلى عالم العقول في لحظات كي يبحث عن واقع بديل ولكنه فوجئ بصيحة (بايون) المتهالكة:

ـ لا.. توقف..

لم يفهم (سول) فاستجمع (بايون) قواه ليشرح:

ـ استمع إلى جيدا فليس لدينا الكثير من الوقت.. لقد علمتك أن بإمكاننا أن نوجد الواقع الذي نريده وسط عالم الاحتمالات.. ولكي نحافظ على هذا الواقع قائما لفترة طويلة خاصة إن كان حدوثه قليل الاحتمال جدا، فهو يصبح إذن مرهونا بحياة «الحالم» الذي اختاره، بل بمكان وجوده.. وأنا ميت لا محالة، لذا حتى لو نجحت في إيجاد الاحتمال الضعيف الذي لا أكون فيه ميتا، فسوف أصبح مجرد شبح بلا وجود مستقل عليه أن يطوف حولك وإلا تلاشي، وأنا لا أريد هذه الحياة..

مع انطفاء شعلة الأمل في قلب (سول)، انهمرت دموعه. ابتسم (بايون) ابتسامة شاحبة متابعا:

ـ كي ترى مثلا لما أقول.. انظر ما يحدث للواحة..

بالفعل بدأت أشجار الواحة وبحيرتها وحتى الحشائش تتفكك إلى قطع صغيرة للغاية ثم تطير تلك القطع لتتلاشى في الهواء وكأنها لم تكن.

حتى جو الواحة المعتدل دائما بدأ يتغير كي تلفحهم خزارة الليل الرطبة.

لمح (سول) الحصان الذي ركبه مع (كارما) في طريقهما إلى هنا والذي قد نسيه تماما.. تذكر وعد (بايون) بأنه سيعود عندما يحتاجان له ولم يسأل نفسه كيف استمر حيا طوال الثلاثة أشهر التي قضوها هنا.

ـ تلاشي الواحة معناه أن الحماية التي أودعتها فيها والتي تحمي من بداخلها من الخارج سوف تزول هي الأخرى، مما يعني أنك قد تكون معرضا لأن يكشف المنقذ مكانك..

كلام (بايون) لم يزد من فزع (سول)، فإحساسه بالضياع الذي لم يشعر بمثله من قبل حتى عندما بدأ رحلته، كان هو الشعور ذا اليد العليا في تلك اللحظات. كل ما فعله هو أن أنصت إلى (بايون) الذي استطرد:

ـ هو لم يكن بإمكانه أن يصل إليك من قبل لأن قدراتك لم تكن قوية بما فيه الكفاية، أما الآن وقد تطورت بشكل كبير فقد أصبحت كالمنارة لأي عقل قوي بدرجة كافية.. وعقل المنقذ هو حتما من هذه العقول.. هذا يعني أن مواجهتك له قد تأتي بأسرع مما تخيلنا..

أمسك (بايون) يد (سول) بكل ما تبقى فيه من قوة هاتفا:

ـ ولكنك سوف تهزمه.. هل تصدقني يا بني؟..

كيف يصدقه وكل ذرة في جسده تنبئه أن الهزيمة من نصيبه حتما؟ رغم هذا أومأ (سول) برأسه إيجابا ببطء فبدت راحة نسبية على وجه (بايون) الذي ارتخى في ذراعي زوجته المنهارة ونظر إليها في حب بالغ قائلا دون أن يحيل نظره من عليها:

ـ أشكرك يا بني.. وأشكرك على الأيام القليلة التي قضيتها معنا، فقد عشت فيها من جديد بعد أن ظننتني انتهيت من الحياة.. والآن.. هل لك أن تتركني مع حبيبتي؟

مسح (سول) دموعه المنهمرة بيده ثم نهض متراجعا بضع خطوات إلى حيث تقف (كارما) التي وللمرة الثانية منذ التقاها، وجدها تبكي..

تطلع إلى مشهد (يوريكا) التي تضم (بايون) وهذا الأخير أصبح من الضعف بحيث حتى لم يستطع حتى يضمها هو الآخر فكان أقرب إلى الجثة. كل شيء حولهم كان مستمرا في التلاشي ببطء وبدأت الأرض المقفرة تطل عليهم بكامل قسوتها.

ـ (بايون).. ما الذي يحدث لي؟..

سمع (سول) سؤال (يوريكا) المذعور فلم يفهم حتى دقق بصره أكثر وراعه ما رأي.. (يوريكا) كانت رافعة ذراعها تنظر إليها في رعب مذهول، فقد بدأت ذراعها تتحلل بنفس الطريقة التي تتحلل بها الواحة. سمع صوت (بايون) الباكي والمليء بالألم والحسرة:

ـ أنا آسف يا حبيبتي.. آسف.. فما حدث لك كان بسببي أنا عندما قررت مواجهته.. حاولت إنقاذك منه.. ولكن.. ولكني كنت أضعف مما ظننت.. وضعفي هذا هو الذي ضيعك مني.. كان على بعدها أن أعيش.. من أجلك يا حبيبتي..

هنا استرجع (سول) ما قاله (بايون) منذ قليل عن ما يحدث إذا اختار الحالم واقعا ضعيف الاحتمال كما تذكر عدم قدرته على قراءة أفكار (يوريكا) والتي لم يعرف لها سببا.. هذا كان كافيا كي يدرك الحقيقة

المذهلة.. هذا الإدراك الذي اعتصر قلبه أكثر وأكثر وهو يتابع المرحلة الأخيرة من حياة هذا الرجل الذي ظن (سول) لوهلة أنه اعتزل الحياة لجبنه.. هو يعلم الحقيقة الآن.. ويالها من حقيقة..

ترى هل أدركت (يوريكا) الحقيقة هي الأخرى؟.. لا يعرف (سول) ولكن ما رآه كان يرجح هذا.. فبعينين مازالتا تذرفان الدمع ومع ذلك كانتا مليئتين بالحب، تطلعت إليه، ثم بيدها التي لاتزال كاملة، مسحت وجهه بحنان بالغ دون أن تنطق بكلمة.. ابتسم (بايون) للمرة الأخيرة ثم مرتاحا أغمض عينيه. مع ترك روحه جسده، تلاشى ما تبقى من يد (يوريكا) وتبعها جسدها كله الذي طاف وتحلل مصحوبا بالشمعة وما بقي من الواحة.

١٥

الليلة الأولى بعد فناء الواحة كانت هي الأصعب على (سول) منذ أن غادر المدينة. ليس فقط بسبب اختفاء المأوى الآمن والعودة إلى قسوة الطبيعة، ولكن أيضا للحزن القاسي الذي غلف قلبه نتيجة للمشهد الأخير من حياة معلمه. بعد أن جفت دموعهما، تولى (سول) و(كارما) مهمة دفن جسد (بايون) الذي تحول إلى ما يقرب من الهيكل العظمي المسود. استغرقت هذه المهمة نهارا بأكمله وبعد إتمامها جلسا منهكين فوق الحشائش. قررا أن المسار الوحيد أمامهما هو أن يعودا للانضمام إلى (ماليك) والمنبوذين ولكنهما اتفقا على أن يستريحا الليلة ثم يبدآ المسير غدا. لم يساهم إرهاق جسديهما في قرار التأجيل إلا بقدر ضئيل، فقد كان إرهاق روحيهما أكثر وطئا.

كأن الواحة لم تختف من الوجود وحدها، بل اختفت معها شخصية (كارما) الجديدة التي أصبح (سول) يألفها، فقد عادت إلى طبيعتها الأولى بكل حذرها المترقب وصمتها الجاف. انقبض صدره لفكرة أنه قد لا يتمكن من رؤية ابتسامتها كل يوم كما اعتاد طوال الثلاثة أشهر الماضية منذ أن ولجوا الواحة.

استعدا للمبيت في الجو الحار الخانق في تلك الليلة من ليالي صيف أغسطس. تآمرت السماء هي الأخرى ضدهما كي تحيل ليلتهما كابوسا بأن أفرغت حمولتها المطيرة. دون أن يكون هناك ملجأ من المطر، حاولا التستر بجسد الحصان الضخم ولكن هذا لم يقهما إلا بقدر يسير للغاية.

فوق الفرشتين المبتلتين ووسط الطين حاولا إيهام نفسيهما أنهما قد ينامان الليلة ولكن الخواطر كانت أكثر من أن يستوعبها نوم، خواطر (كارما) كانت تشمل المستقبل القريب وما الذي ينتظرهما غدا أثناء مسيرهما، أما بالنسبة لـ(سول) فقد شملت خواطره المستقبل البعيد ومصيره من مواجهته المنقذ المحتومة كما يبدو بينما هو لايزال غير مستعد. تاه في تلك الخواطر حتى أنه لم يخطر بباله استغلال قدراته لمساعدتهما في تفادي المطر.

أيقظتهما الشمس الحارقة من نوم متقطع مرهق فحملا جسديهما على النهوض ولم الفرشتين ثم تحميلهما فوق الحصان استعدادا للرحلة. رغم ما يحملان من هموم إلا أن (سول) الذي افتقد الركوب فوق الحصان خلف (كارما)، شعر ببعض الراحة وهو يضمها إليه متشبثا من جديد.

طوال ساعتين، واصلت أفكاره طريقها التي بدأته ليلة أمس. عاد يفكر في المنقذ ويرسم سيناريوهات لمواجهته معه ورغم أنه هو من كان يرسم السيناريوهات، لم يجعل هذا النتائج التي توصل إليها تنتهي لصالحه. تمركزت في عقله صورة المنقذ كما كان يجلس أمامه في مكتبه المرة التي قابله فيها وابتسامته الغير مريحة مرسومة فوق شفتيه. حاول (سول) التدقيق في تلك الصورة الذهنية بعقله وكأنه يحاول استشفاف أي نقطة ضعف قد تشي بها ملامح المنقذ. ظل هذا الأخير ثابتا كلوحة صامتة حتى انفرجت شفتاه لتقول بهدوء مسموع:

عرف (سول) على الفور أن صورة المنقذ الذهنية قد أصبح لها وجود منفصل بذاته وأن هذا الوجود يمثل المنقذ نفسه. انتفض جسد (سول) بعنف من هول المفاجأة فسقط من فوق الحصان. لم ينتبه للألم بل حاول أن يصرف ذهنه عن صورة المنقذ وفشل، فقد احتلت المشهد بالكامل أمام عيني (سول) والذي لم يعد يرى أي شيء آخر مما حوله.

ـ إذن فقد قابلت (بايون) العجوز..

استطرد المنقذ وابتسامته تتسع ثم صمت لحظات بدا وكأنه يدقق في (سول) كما كان هذا الأخير يدقق فيه.

ـ أرى أن العجوز قد مات أخيرا.. أفلت مني لحسن حظه.. أرى أيضا أنه علمك جيدا، فقد تطورت قدراتك كثيرا.. لولا هذا لما تمكنت من إيجادك..

ـ هل.. هل تعرف عن قدراتي؟

دوت الضحكة في عقل (سول) كما لو كانت زلزالا.

ـ بالطبع أعرف.. منذ البداية وأنا أعرف كل شيء عنك يا (سول)، حتى وإن كنت أنت نفسك لا تعرفه.

ـ إذن لماذا...؟

ـ إن كنت تريد إجابات.. فلتأت إلي..

لم يغر العرض (سول) الذي هم أن يرفض ولكن المنقذ سبقه:

ـ قبل أن تقول أي شيء، أريد أن أسألك سؤالا.. هل تظن حقا أني لا أستطيع إيذاءك من عندي هنا؟ لقد وجدت عقلك بالفعل وأستطيع أن أعبث به كيفما أريـد، ولكني أفضل أن تأتيني طواعية.. فكر في هؤلاء المنبوذين الذين أراك كونت مشاعر قوية تجاههم..

حاول (سول) جاهدا أن يسيطر على أفكاره كي لا يغوص فيها المنقذ أكثر من هذا ولم يبد هذا الأخير مبالاته بتلك المحاولات وهو يستطرد متحولا إلى الغضب:

ـ حتى الآن.. أنا لا أعرف أين يختبئ هؤلاء ولكنك إن اخترت أن تتجه إليهم، فسوف أتبعك هناك وعندها سوف أسحقهم سحقا.

صمت كأنه يدرس ردود أفعال (سول) أو بالأحرى يقرأها ثم تابع مستعيدا ابتسامته:

ـ ثم أني سوف أجعلك تقابل أمك أخيرا..

ارتجف قلب (سول) عند سماعه هذه الجملة ثم محاولا التظاهر بالقوة صاح:

ـ أمي ماتت..

ـ بل هي حية.. وأنت تعرف هذا في قرارة نفسك، فلا تكذب عليها..

عدم رد (سول) كان أكبر دليل على صدق المنقذ. ماذا يفعل الآن؟ إحساس ما ينبئه أن صدق المنقذ لا يتوقف عند حقيقة حياة أمه فحسب، بل يتجاوز هذا إلى قدرته على إيذائه من بعيد.. ليس هذا فقط، بل هو

يستطيع أن يؤذي المتبوذين عن طريق (سول) نفسه.. يستطيع أن يؤذي (كارما).. هنا بدا الخيار واضحا.

ـ سوف أتى إليك..

بهدوء واثق قال المنقذ:

ـ عظيم.. سوف أرسم في رأسك خريطة مكاني الحالى ولكن بعد أن تفترق عن هذه الفتاة التي تصحبها.

كان (سول) يدرك أن المنقذ حتما يعرف بأمر (كارما) ولكن ذكر هذا الأخير لها مباشرة كان كافيا كي يثير طوفانا من القلق داخله.

بدأ وجه المنقذ ينحسر ببطء ثقيل ليحل محله وجها آخر هو وجه (كارما) القلق.

ـ هل أنت بخير؟

كانت مترجلة عن الحصان وتقف مائلة فوقه. أدرك لحظتها مقدار الألم الناتج عن سقطته من فوق ظهر الحصان وهو يستند على ذراعها ناهضا.

ـ أنا بخير.

ـ مع من كنت تتحدث؟

يبدو أن جانب الحوار الخاص به كان مسموعا وليس محصورا داخل عقله. لم يجد بدا من أن يصارحها مباشرة:

ـ المنقذ..

لدهشته، لم تهتز ملامحها بل كان رد فعلها الوحيد هو الصمت. ثوان ثقيلة مرت عليهما و(سول) يحاول استشفاف أي شيء من ملامح (كارما) الثابتة. سألته أخيرا:

ـ وما الذي يعنيه هذا؟

ـ يعني أني لا أستطيع أن أكمل الطريق معك..

ود لو أن يعود القلق إلى وجهها أو أن يرى أي ملامح تدل على الجزع لهذا الفراق، ولكن (كارما) كانت عملية أكثر من اللازم وهي تقول:

ـ يبدو أن هذه المواجهة التي تحدث عنها (بايون) سوف تقع بأسرع مما توقعنا بالفعل.. إذن تأخذ الحصان..

اطمأن عندما التمس المساعدة من قدراته كي يلمح حقيقة ما يجول داخل (كارما)، فقد كان ما وجده فيضانا من المشاعر المختلط فيها القلق والرعب والألم. هل هي أنانية منه أن ألمها طمأنه؟.. ماذا إن كانت تلك هي مشاعره هو الآخر؟

ـ لا.. احتفظي أنت بالحصان، فأنا لا أجيد الركوب بمفردي على أي حال.

بدت كما لو كانت تبحث عن أي شيء آخر تقوله وحين عجزت عادت لركوب الحصان بحركة سريعة ثم تطلعت إليه سائلة وقد نجحت نبرة انكسار خفيفة أن تتسلل إلى صوتها:

ـ هل ستكون بخير؟

ـ نعم..

ـ هل تعلم أن (برونو) أحب الملابس التي أعطيتها إياه؟..

ابتسم ابتسامة باهتة ثم تحققت أمنيته الخفية بأن يرى ابتسامة (كارما) للمرة الأخيرة قبل أن تلتفت زاجرة الحصان الذي انطلق مبتعدا.

* * *

مرت ليلته الأولى وحيدا بسهولة لم يتوقعها، فقد أثبتت قدراته فائدتها الحقيقية في مساعدته على البقاء في البرية. عندما يعطش أو يجوع كان يقفز إلى واقع يوجد به ماء أو طعام أمامه.. عندما يشتد الحر عليه، كان يقفز إلى حيث يجد شجرة يستظل بها وسط المحيط المقفر.

وجهته حددها الاتجاه الذي ارتسم في عقله كما وعده المنقذ والتي لم تكن خريطة كاملة بل مجرد طريق محدود وعندما يقترب من نهاية الطريق، كان عقله يضيء بجزء آخر من الخريطة. تساءل في نفسه عن سر هذه المعلومات المتقطعة.. هل المنقذ خائف من كشف الخريطة كاملة؟.. وإن كان هذا صحيحا، فلم؟..

كانت الشمس ماتزال في رحلة صعودها عندما سمع صوت الهدير. التفت إلى الوراء ليرى مصدره وخفق قلبه عندما رأى حوامة المطهرين القادمة من بعيد. لم تكن هناك فائدة من محاولة الفرار، فلا يوجد شيء حوله يمكن الاحتماء به. ألقى بحمولته إلى الأرض ثم انتظر مواجهها الحوامة المقتربة. هل خانه المنقذ؟ هل كان يريد التأكد من أنه بمفرده دون أن يكون هناك من ينقذه قبل أن يأمر بالهجوم؟ لم يبد هذا منطقيا لـ(سول) فالمنقذ كان يعرف أنها (كارما) فقط التي تصحبه وأنه ليس

هناك فارق إن واجه فرقة مطهرين بمفرده أو معها. مرت ثوان بطيئة حتى أصبحت الحوامة على بعد أمتار منه.

توقفت الحوامة وقفز من فتحة أسفلها أربعة مطهرين يرتدون خوذاتهم ويحملون عصيهم الصاعقة. حاول (سول) السيطرة على توتره وتصفية ذهنه للمواجهة التي تعتبر أول اختبار لقدراته في معركة ما وهي تحت سيطرته.

اقترب منه الأربعة بحذر وحرفية مطوقين (سول) الذي رأى أن الوقت قد حان للقيام بخطوته. رغم أن خوذات المطهرين كانت تغطي ملامحهم إلا أن الدهشة المذعورة كانت ظاهرة في حركاتهم وتراجعهم حين فوجئوا باختفاء عصيهم فيما عدا تلك التي أصبحت في حوذة (سول).. هكذا بحركة واحدة أصبحت كفة القوى في صالحه ولكن كانت صعوبة تفوقهم العددي لاتزال موجودة وهذا الذي استعد (سول) لحله في خطوته التالية..

أطلق النبضة الصاعقة من العصا التي حصل عليها لتسقط أحد الأربعة مغشيا عليه بعد أن أصابته في صدره. لاحظ أن العصا لم تكن على وضع القتل وأراحه هذا بعض الشيء، فرغم أنه يريد التخلص من هؤلاء إلا أن جزءا ما داخله مازال يخشى أن يكون أحد هؤلاء (آكي) الذي لا يريد قتله حتما. حاول أن يخترق عقول المطهرين ليتأكد من هذا الاحتمال ولكنه كان مشتتا للغاية بالقتال فلم يتمكن من التركيز لقراءة خصومه.

سقوط زميلهم لم يهزهم كثيرا بل دفعهم لنفض ذعرهم اللحظي كي يهجموا هجوما منسقا من كل الاتجاهات يدل على درجة تدريبهم العالية. تفاجأ (سول) برد الفعل السريع هذا فحاول أن يستجيب بنفس

السرعة بأن أطلق ضاعقة ثانية تجاه مهاجمه الأيمن الذي تجندل أرضا كما تخلص من مهاجمه الأوسط بأن أوجد تلك الحفرة العميقة أمامه والتي يبلغ عمقها طوله مرتين فسقط صارخا فيها محاولا التمسك بأي شيء دون جدوي. المهاجم الأيسر تمكن من بلوغ (سول) الذي لم يجد الوقت الكافي كي يوجه هجومه إليه. هوت قبضة المطهر قوية مزعزعة على فك (سول) وأطارته إلى الخلف كي يسقط أرضا مفلتا العصا. الألم كان شديدا وأدار رأس (سول) الذي لمح المطهر وهو يميل متناولا العصا كي يوجهها تجاهه. علم (سول) أن عليه نفض ألمه وشحذ قواه قبل فوات الأوان. بالفعل في اللحظة الأخيرة التي ضغط فيها المطهر زر إطلاق الصاعقة، حولت قدرة (سول) تجاهها إلى مطلقها فانطلقت بكل قوتها ضاربة رأسه. سقط الرجل متشنجا بحركات عنيفة فنهض (سول) سريعا واستعاد العصا مرة أخرى ثم مال على المطهر وخلع خوذته. كان جاحظ العينين ويبدو الألم الشديد عليه ولكنه لم يكن (آكي) فلم يبال (سول) كثيرا بألمه. اعتدل واتجه إلى المطهر الساقط بالحفرة فرفع هذا الأخير عينيه إليه مترقبا في قلق. وجه (سول) العصا إليه ببرود وهو يمسح بيده الأخرى خيط الدم الذي سال من جانب فمه نتيجة للكمة المطهر الآخر.

ـ لا.. أرجوك.. نحن فقط جئنا لأخذك إلى المنقذ..

قالها المطهر رافعا كفيه إلى وجهه وكأنه يحاول حمايته من الصاعقة القادمة فقال (سول) بحدة:

ـ أنتم هاجمتموني..

ـ لا.. أنت من فاجأتنا بالهجوم أولا.. نحن فقط كنا ندافع عن أنفسنا.

قلب (سبول) الأمر في رأسه لحظات فأدرك أن الرجل محق بالفعل، ولكن هذا لا يعني أنهم لم يكونوا سيهجمون إن لم يفعل هو.

مرت لحظات و(سول) يدرس خطوته التالية. هل يذهب معهم إلى المنقذ أم هل هي خدعة من المطهر كي يستعيد سيطرته على الموقف؟ نظر حوله إلى الرجال الملقون هنا وهناك فأعطاه هذا ثقة. هو يستطيع تكرار ما فعله بهم إن أراد وهم لن يفاجئوه بشيء لا يستطيع مواجهته. اتخذ قراره بأن يصحبهم آملا ألا يكون قد بالغ في تقدير قدراته.

أثناء الساعة التي مضت على (سول) داخل الحوامة، لم يتم تبادل أي شيء بينه وبين المطهرين سوى النظرات المتوعدة من جهته والمترقبة من جهتهم. كانوا مايزالون في طور لملمة شتاتهم الذي بعثره (سول) ويحاولون كذلك إسعاف زميلهم الذي مازال يعاني من التشنجات.

ـ وصلنا.

توقفت الحوامة وأشار إليه أحد المطهرين كي يتجه إلى الباب الذي فتح أسفل الحوامة. صامتا نهض (سول) وقفز.. تقدم بضع خطوات كي يخرج من محيط الحوامة ويحصل على رؤية أفضل لما حوله.

المساحة التي هبط فيها كانت خالية ولكن واجهته سلسلة جبال شاهقة تحتل الأفق أمامه على بعد بضعة كيلومترات. سمع محرك الحوامة فالتفت ليجد المطهرين وقد حولوا وجهتها لتنطلق مبتعدة عنه.

احتار (سول) فيما يجب أن يفعل ولكن حيرته لم تستمر طويلا فقد جاءته فجأة خريطة عقلية ترسم له طريقه إلى الجبال وصعوده إليها حتى يظهر أمامه مدخل كهف مظلم. تملكه شعور أنه مجرد دمية يقودها المنقذ

حيث يزيد لها في لغبته الغامضة ولكنه كان قد بلغ تلك المرحلة ولا مغنى للتراجع الآن. بدأ طريقه مبتسما ابتسامة حزينة عندما تذكر تأكيد (بايون) له أنه سوف يخوض طريق المواجهة حتى وإن كان مجهول العواقب.

ساعة أخرى مرت قبل أن يصل إلى سفح الجبل المواجه ثم سار بمحاذاته حتى وصل إلى ما يشبه الممر الصاعد إلى الأعلي. الممر كان واضحا إلا أنه كان غير ممهد على الإطلاق وقد اضطر (سول) لاستخدام يديه في التسلق الشاق.

تابع (سول) الرسم الذي برأسه بدقة ولكنه احتاج أن يرتاح بين الحين والآخر قبل أن يتابع. أراد أن يصل قبل أن يهبط الظلام الذي سيجعل استمراره مستحيلا وسوف يضطره أن يبيت الليلة في ذلك المكان الوعر. تحقق له ما أراد فقبل أن تقطع الشمس شوطها الأخير إلى المغيب، وجد (سول) نفسه يتطلع إلى مدخل الكهف الذي رغم ضخامته، كانت نتوءات الجبل الصخرية تحجبه بكفاءة عن العين الغير متفحصة. أعطى نفسه فرصة لالتقاط أنفاسه اللاهثة وحاول نفض الأتربة عن ثيابه ثم أخذ نفسا عميقا قبل أن يتوغل داخل ظلام الكهف.

الطريق كان هابطا إلى الأسفل دون أن ينحرف. ساعدت زاوية ضوء الشمس المغيبة في مساعدته على رؤية طريقه ولكن لم يستمر هذا سوى بضعة أمتار قليلة اضطر بعدها (سول) لتحسس طريقه. التقدم كان بطيئا فقد كان عليه الاحتراس في خطواته لأن الخطأ قد يعني السقوط في هاوية لا قرار لها. مر الوقت وكأنه أيام و(سول) مستمر في تقدمه حتى وصل أخيرا إلى حائط يسد نهاية الكهف. حاول المرور بيديه بمحاذاة الحائط ليجد أي ممر عبره ولكنه لم يجد سوى حائط مصمت.

ما الذي يعنيه هذا؟ هل هي خدعة ما من قبل المنقذ؟ جلس (سول) خائر القوى فوق أرضية الكهف الصخرية لا يدري ماذا يفعل. بعد دقائق لم يحدث فيها شيء، نهض عازما العودة إلى مدخل الكهف وإحساس الحيرة والإحباط مخيمان عليه. اندهش أن احتمال تأجيل مواجهته مع المنقذ التي على الأرجح تعني نهايته لم يفرحه. أدرك أنه يفضل حدوثها على أن يعود إلى قلق ومخاوف الانتظار. أوقفه صوت احتكاك صخري ثقيل فالتفت ليجد أن الحائط المصمت قد بدأ يتحرك ببطء كاشفا ضوءا مبهرا قادما من خلفه. الضوء كان أقوى من أن تتحمله عينه اللتي اعتادت الظلام فأغمضها. استمرت رحلة الحائط الذي أدرك الآن أنه مدخل إلى مكان ما و(سول) يحاول أن يفتح عينيه رويد رويدا ليرى ما أمامه. استطاع تمييز ممر مصقول الحوائط يشع منه الضوء كما كان يشع من حوائط منزله القديم. رأى نهاية الممر التي تؤدي إلى باب آخر معدني. بعد أن تأقلمت عيناه على الضوء الجديد، بدأ (سول) في تقدمه الحذر دالفا إلى الممر. وصل إلى الباب الآخر الذي كانت تعلوه كاميرا إليكترونية صغيرة بدا وكأنها تمسحه قبل أن يفتح الباب جانبيا بلا أدنى صوت هذه المرة.

الظلام كان هو السائد من جديد أما الهواء فقد كانت رائحته مكتومة كئيبة. المشهد أمامه بدأ ينكشف تدريجيا مع انتشار الضوء البطيء والذي كان مركز انتشاره البقعة التي يقف فيها (سول). لم يكد هذا الأخير يرى ملامح القاعة التي دلف إليها حتى اتسعت عيناه انبهارا، فالقاعة كانت هائلة الحجم بشكل لم يتخيله وكانت مقسمة إلى ممرات منتظمة تبدو بلا نهاية، كما أن سقفها كان شاهق الارتفاع. تساءل في نفسه عن كيفية صمود الجبل الذي يقع مثل هذا التجويف في قلبه.

لم يكن هناك أي أثر للمنقذ فواضل (سول) تقدمه البطيء الذي لم يخل من فضول. مع أول خطواته داخل الممر الذي امتد أمامه مباشرة أدرك أن ما خيل إليه مجرد حوائط فاصلة بين الممرات ولا تصل إلى السقف، لم تكن مصمتة تماما، فقد احتوت على تجويفات منتظمة وبداخل كل تجويف ما يشبه الكابينة المعدنية المغلقة. الكبائن كانت مستطيلة ومنتصبة رأسيا فوق ضلعها الأصغر ولاحظ (سول) الأزرار المنتشرة فوق سطحها الأملس بالإضافة إلى الأسلاك العديدة التي امتدت منها كي تغوص في باطن الأرض.

«ما هذا المكان؟.. ولماذا أتى بي المنقذ إلى هنا تحديدا؟" دار السؤال في عقل (سول) باحثا عن إجابة. صاح مخفيا توتره في صيحته:

ـ أنا هنا..

لا إجابة سوى صدى صوته المدوي والذي زاد من حدة توتره. عاد يلتفت إلى الكبائن العجيبة وقرر الاقتراب من إحداها. لمس السطح المعدني الأملس بأنامله ثم مررها فوق الأزرار العديدة. أحد الأزرار كان منذرا بحجمه الضخم ولونه الأحمر. تردد (سول) قليلا ولكن مدفوعا بفضوله ضغط الزر.

فور أن ضغطه، انطلق أزيز مزعج من الكابينة مصحوبا بحركة سطحها الذي انزلق إلى الخارج بحركة سريعة ثم إلى الجانب كاشفا ما بداخلها. تراجع (سول) خطوة مذهولة إلى الوراء كرد فعل لما رأي.

ـ أيعقل أن تفزع هكذا لرؤية أحد إخوتك من الحالمين؟

عرف على الفور صوت المنقذ الذي فاجأه من الخلف. حاول الالتفات

إلى المنقذ واسترداد اتزانه الذي اختل لتتابع المفاجآت، ولكنه لم يستطع..
بدا وكأن جسده قد تجمد داخل لوح ثلجي قوي لا يسمح له بالحركة. لم يتوقف الأمر على ذلك، بل إنه حين حاول إطلاق عقله لبلوغ عالم العقول واستخدام قدراته، شعر وكأنه محبوس هو الآخر داخل جسده. حاول التملص على الصعيدين الجسدي والعقلي دون أي جدوي. لم يستطع سوى تحريك عينيه لتتابعا المنقذ الذي أتى من خلفه متقدما بتؤدة إلى مجال رؤيته.

ـ لا عليك.. فكثيرون قبلك توهموا أن لديهم فرصة ولو ضئيلة في استخدام قدراتهم علي..

كان هو بنفس وجهه الجميل وشعره الفضي ونظرته الأبوية الحنون المصطنعة. إحساس (سول) بالعجز غمره بالغضب فضلا عن الخوف ولكنه لم يستطع التعبير عنه سوى بالنظرات النارية.

ـ أعترف أنك قد تجاوزت أفضل توقعاتي، ولكن حتى هذا لا يكفي كي تهزمني..

تابع المنقذ و(سول) يعاود محاولاته الغير مجدية للإفلات. هل كان ساذجا لهذه الدرجة ليظن أن لديه فرصة؟ هو لم يكن مقتنعا بهذا ولكن جزءا من ثقة (بايون) فيه كان قد وجد طريقه إلى قلب (سول) رغما عنه، فما النتيجة؟ ها هو الآن مشلول العقل والجسد بلا أدنى حيلة مما أعاده إلى الواقع الذي لا فرار منه والذي يقول بمنتهى الوضوح أن قدرات المنقذ تتجاوز قدراته أضعاف المرات. أراد أن يعبر عن غيظه بأن يقول شيئا ما ولكن سيطرة المنقذ عليه كانت قد بلغت حتى حنجرته فلم يستطع النطق.

بداخلها. كان رجلا عاريا تماما بلغت نحافته قدرا مريعا فتهدل جلده فوق عظامه. كان مسنودا في الوضع الواقف بأحزمة سميكة شدت جسده إلى ظهر الكابينة وخراطيم عدة تخرج من فتحات جسده أما حول رأسه، فقد لف جهاز ما يشبه أجهزة الأحلام إلى حد كبير. الرجل بدا كما لو أنه في غيبوبة تامة فقد كانت عيناه مغمضتين ولم يبد أي رد فعل لفتح الكابينة أو لكلام المنقذ.

ـ «الحالمون».. الخطوة التالية للبشر وأملهم.. رغم هذا، كانت قدراتهم مبددة فيما لا ينفع، حتى جئت أنا لأصحح هذا وأضعهم في مكانهم الطبيعي لفائدة البشرية جميعا..

قالها المنقذ دون أن يخفي نبرة فخره. عاد يلتفت إلى (سول) سائلا:

ـ كنت تتساءل عن ماهية هذا المكان.. أليس كذلك؟

ثم فرد ذراعه وكأنه يشير إلى القاعة كلها مستطردا ونبرة الفخر في صوته تبلغ أوجها:

ـ إنه المكان الذي توظف فيه قدرات الحالمين توظيفا مثاليا. المكان الذي تولد فيه «طاقة الإله»..

صعق (سول).. كان قد عرف من (ماليك) أن «طاقة الإله» لها محطات توليد وأنها ليست قادمة من الإله مباشرة كما ادعى المنقذ، ولكنه لم يتخيل أن يكون مصدر هذه الطاقة هم البشر، أو بالأحرى «الحالمون».

ـ كيف؟

خرج تساؤله مسموعا هذه المرة وكأن المنقذ قد قرر تحرير حنجرته ليشاركه الحوار.

ـ لماذا أنت مندهش؟ أنت بنفسك رأيت ما يمكن أن يفعله الحالمون وحجم قدراتهم. كل ما تفعله تلك الكبائن هو أن تركز تلك الطاقة وتحولها لصورة أخرى يمكن أن تستخدم لأغراض متعددة. وهذه المحطة بالتحديد هي التي تغذي (مدينة الإله ١) التي كنت تعيش فيها بكل ما تحتاجه من طاقة.

خفض صوته فجأة وهو يقول بإشفاق حقيقي أدهش (سول):

ـ بالتأكيد هذه العملية ليست خالية من المعاناة فلكي نستطيع استخراج كل ما يمكن الحصول عليه من هؤلاء، كان على أن أوصلهم بأجهزة الأحلام.. وظيفتها مختلفة بعض الشيء عن الوظيفة المعتادة، ففي حالة هؤلاء، وظيفتها هي أن تجعل مرتديها يعيش في كوابيس مستمرة وصراعات أبدية يظن فيها أنه بحاجة إلى استدعاء قدراته بشكل مستمر للدفاع عن نفسه. هذا الاستدعاء المستمر بالطبع ليس بلا ثمن، فكما ترى الآثار على هذا الحالم المسكين البطل، الثمن هو استهلاك جسدي بشع بالإضافة إلى الاستهلاك العقلي، مما لا يجعل هؤلاء يعمرون طويلا.. ألم تر حال صديقك (بايون) عند موته؟.. هو لا شك عمر طويلا ولكنه لم يتعرض في نفس الوقت لما يتعرض له هؤلاء..

أعاد ذكر (بايون) (سول) إلى حالة الغضب فصاح:

ـ أنت تعذبهم..

ـ العالم الذي كدت أن تدمره!!..

دوت ضحكته المفاجئة كي يتردد صداها في أرجاء القاعة. مازالت ردود أفعال هذا الرجل غير متوقعة وصادمة.

ـ هل هذه القصة لاتزال تتداول وسط المنبوذين؟.. لا بأس.. فهي قصة مسلية على أي حال.

قالها المنقذ ثم تحرك عائدا إلى بداية الممر. تبعه (سول) بإرادة مسلوبة تاركا سلطة السيطرة على قدميه للمنقذ رغما عنه. قبل أن يدلفا إلى ممر آخر سمع (سول) صوت الكابينة التي فتحها يغلق من جديد على الحالم بداخلها. سارا في الممر الجديد طويلا فأدرك (سول) الحجم الحقيقي للقاعة الضخمة وأنه إن كان يوجد في كل كابينة من هذه أحد الحالمين، فالعدد قد يبلغ الآلاف. أثناء سيرهما واصل المنقذ حواره:

ـ رغم ما قد يوحيه هذا الذي تراه يا (سول).. فإن هدفي هو خدمة البشرية بالفعل.. كي تظل المدن قائمة، على الأبطال منا أن يضحوا، وعلى أن أجد المزيد من هؤلاء الأبطال لاستبدال القدامى منهم.

توقفا أخيرا أمام إحدى الكابينات ثم مد المنقذ يده يتحسسها مستطردا:

ـ أبطال مثل أمك..

خفق قلب (سول)، فقد أدرك أن هذه هي أمه التي ترقد داخل تلك الكابينة. اختلطت مشاعره لأنه لم يعرف إن كان يجب أن يفرح لتأكده أنها

لم تمت أم يحزن للمصير الأسوأ الذي هي فيه الآن.. أم يزداد غضبا تجاه من وضعها في هذا المصير.

ـ لقد كانت قوية بالفعل.. وهذا ما وجه اهتمامي إليك منذ أن وضعتها هنا.. فقدرات الحالمين قد تورث في بعض الأحيان مما أثار فضولي لمعرفة إن كانت قدراتها سوف تمر إليك أم لا..

ماذا؟.. هل كان المنقذ يتوقع ما حدث مع (سول)؟ أجاب المنقذ عن التساؤل الذي دار بعقل (سول) دون أن ينطق به:

ـ بالتأكيد.. منذ أن كنت في العاشرة.. كنت أتابعك يوما بيوم..

ثم مال عليه متابعا بلهجة ذات مغزي:

ـ حتى في أحلامك..

لم يستوعب (سول) ما يعنيه المنقذ حتى وضع هذا الأخير في عقله صورة ذهنية لكابوسه القديم، تحديدا لـ(نول) وهي جالسة أمامه في القارب.

ـ أنت!!..

ـ نعم أنا.. كنت بحاجة للتسلل إلى أحلامك كي أرى إمكانياتك الكامنة.. كونك لم تطور قدراتك بالكامل آنئذ جعل هذا صعبا بعض الشيء ولكن جهاز الأحلام يسهل العملية.. فهو بالإضافة إلى أنه يرصد أي مؤشرات مبدأية لوجود قدرات الحالمين لدى من يرتديه، فهو أيضا يحفز تلك القدرات على أن تطفو على السطح وهذا التحفيز يسمح لي كفائدة جانبية أن أتوغل داخل أي من هذه العقول..

كان (سول) يظن أنه دمية في يد المنقذ مؤخرا ولكنه لم يتصور أنه كان نفس الدمية قبل هذا بكثير. ولكن مهلا.. إن أباه..

قاطع المنقذ حبل أفكاره ليجيب وكأنه في حوار، أحد طرفيه مسموع والآخر صامت:

ـ أبوك المسكين ظن أنه قد خدعني بتبديل الأجهزة وتغيير البصمة الإليكترونية، ولكني أدركت هذا منذ البداية وتركته فقط كي لا أتدخل قبل الأوان.. ما لم أتوقعه هو أنه قد يقدم على قتل نفسه ليحمي سرك.. لو أنه فقط أدرك أن روحه أزهقت سدي.. المهم أني عندما تسللت إلى حلمك تفاجأت بشيء لم أره من قبل..

عاد ينظر إلى كابينة أمه مستطردا بشيء من الإعجاب:

ـ فلأول مرة أرى أحد الحالمين الموجودين داخل كبائن الطاقة وقد استطاع أن يفر بعقله ولو لفترة محدودة ويتصل بعقل آخر.. في البداية لم أفهم لماذا كنت تلتفت إلى تلك الجزيرة البعيدة أثناء حلمك فلكوني متسللا، لم أستطع أن أرى كل ما يراه عقلك في الحلم وشعرت بفضول شديد لتصرفك هذا، حتى أدركت الحقيقة..

تذكر (سول) نظرة (نول) التي تجمد الدم في العروق واقشعر جسده لفكرة أن المنقذ كان يتطفل على عقله دون أن يدرك هو شيئا..

ـ الحقيقة التي هي صلة أمك العجيبة بك، زاد هذا من فضولي بشدة ومن رغبتي في دراسة تلك الحالة بتمعن ولكن للأسف، لن أجد الوقت الكافي، فهي تموت..

قالها المنقذ ببساطة آسفة، ورغم أن (سول) كان يجهز نفسه لأسوأ

الفروض خاصة بعد أن رأي الحالم الآخر وحالته، فقد هبط قول المنقذ كالمطرقة فوق صدره. حاول أن يعزي نفسه بفكرة أنها بالتأكيد سوف تستريح من هذا العذاب.

ـ هل يمكن أن تخرجها كي أتحدث معها قبل أن..؟

لم يكمل طلبه المتضرع الذي أجابه المنقذ بنفس اللهجة الآسفة:

ـ هذا مستحيل.. فكل من هنا لا يستطيعون مغادرة الكبائن التي ظلوا داخلها فترة طويلة وإلا ماتوا على الفور.. ثم إني لا أظنك تريد رؤيتها في حالتها الراهنة..

ـ إذن لماذا لا تقتلها وتريحها من العذاب؟..

صاح (سول) بمرارة فاقترب منه المنقذ وربت على كتفه مجيبا بهدوء:

ـ لا أستطيع أن أحرمها من أداء واجبها حتى آخر رمق.

تأكد (سول) من شيء كان يشعر به منذ فترة، وهو أن المنقذ مجنون تماما.. فهو حقا يظن أنه يفعل ما هو في صالحهم.. يعتقد أنه بهذا يجعل منهم أبطالا..

ـ ما الذي تريده مني؟..

رد المنقذ بأسي:

ـ كنت أريد أن أضمك إلى هؤلاء الحالمين النبلاء، ولكني كنت بحاجة أولا أن أظهر قدراتك إلى السطح حتى أستطيع الاستفادة منها.. لهذا بدأت في دفعها إلى الظهور عندما بلغت السن المناسب..

لم يفهم (سول) فابتسم المنقذ متابعا:

ـ هل ظننت أن الشق الذي اتجه ناحيتك أثناء الاحتفالية كان محض الصدفة؟..

لم يجب (سول) أو حتى يبدي اندهاشا فعند هذه النقطة لم يعد هناك ما يمكن أن يدهشه. فقط استمع إلي المنقذ الذي استطرد والحماس يغلب عليه:

ـ إني حتى دفعتك للفرار بطريق غير مباشر بأن زرعت في داخلك الإحساس بضرورة الهرب وأنه لا سبيل أمامك سوى هذا..

ـ لماذا؟

كان على (سول) أن يسأل فأجاب المنقذ:

ـ لأنه طبقا لخبرتي، فقدرات الحالمين الكامنة تجد طريقها إلى الظهور أسرع بكثير عندما يشعر صاحبها بالتهديد والخطر، كما أني كنت آمل أن تجد طريقك إلى (بايون) العجوز كي يساعدك في هذا هو الآخر.

تساءل (سول) في قرارة نفسه عن ماذا قد يكون رد فعل (بايون) لو كان هنا وسمع هذا الكلام. انتبه هنا أن هناك شيئا ما غير منطقي في كلام المنقذ:

ـ ولكنك بعثت بالمطهرين من أجلي!!..

عاد المنقذ إلى أسفه وهو يقول:

ـ نعم فعلت.. فالشيء الذي لم أعمل حسابا جيدا له هو الانتشار

السريع لأخبارك وأخبار قدراتك وسط الناس وأثره عليهم.. فبعد مواجهتك لقطاع الطريق، انتشرت أخبار هذه المواجهة كالنار في الهشيم.. في البداية كان الانتشار محدودا بين قطاع الطريق الآخرين والمنبوذين ولكنها سرعان ما وصلت إلى مسامع المطهرين. أدركت وقتها خطورة هذا وبعثت بهم كي يحضروك إلى ولكنك نجحت في الهرب.. بعد وصولك إلى (بايون)، لم أتمكن من العثور عليك وفي هذه الأثناء تسللت أخبارك حتى إلى داخل المدن.. صاحب هذا قصة الرجل الذي أنقذته في الاحتفالية والذي بدأ يحكي عن «المنقذ» العجيب الذي أنقذ حياته بطريقة إعجازية.. لم يصدق الكثيرون ولكن تصديق البعض كان كافيا لإحداث بلبلة ونشر الاعتقاد أن هناك من يحمل نفس قدراتي أنا.. وهذا ما لا أستطيع السماح به..

كان هذا كله جديدا على مسامع (سول) بطبيعة الحال والذي لم يتخيل المدى الذي أحدثته أفعاله. تابع المنقذ:

ـ بعد هذا لم يكن هناك سبيل أن أتى بك وأضعك هنا مع باقي الحالمين، أو أن أقضي عليك في الخفاء بعيدا عن الأعين تاركا الأثر الذي أحدثته حيا في قلوب الناس، ولكني بعد تفكير وجدت لك دورا آخر تستطيع القيام به ولا يقل بطولة عن هؤلاء.. أن تصبح أنت الشر الجديد..

قالها واقترب من (سول) واضعا يديه على كتفي هذا الأخير مستطردا:

ـ قلت لك يا بني أن تضحيات الحالمين أساسية لقيام المدن ولكن هناك شيئا آخر بنفس الأهمية.. الشر.. وجود هذا ضروري كي لا تسيطر

المنبوذون هذا الشر المطلوب.. لهذا أنا أسمح لهم بالاستمرار في حدود معينة رغم أن باستطاعتي سحقهم في أي وقت شئت.

أدرك (سول) أنه لم يكن وحده هو الدمية، بل العالم أجمع عبارة عن دمى في لعبة هذا المجنون الكبرى.

ـ كنت قد لاحظت سأم الناس من مصدر الشر القديم هذا واعتيادهم عليه حتى ولو لم يعبروا عن هذا صراحة.. بدأت رحلة البحث عن مصدر آخر يستطيع أن يبعث الانتعاشة المطلوبة واحترت فيما يمكن أن يكون حتى جئت أنت بالحل..

برقت عيناه فجأة وارتسمت ابتسامته التي لم ترح (سول) أبدا وهو يختم كلامه بنشوى عارمة:

ـ فبعد ما وصل للناس عنك وعن قدراتك.. لم يكن صعبا نشر الاعتقاد بينهم أنك عبارة عن تجسيد خالص للشر القديم الذي أتى بالكارثة في أقوى صوره، وأني بصفتي المنقذ المكلف من الإله، فإن علي مواجهتك والقضاء عليك أمام أعين العالم أجمع..

١٦

الألم والظلام.. هذان كانا هما عالم (سول). الفترات التي يخف فيها الألم عنه قليلا، كان يستطيع استجماع بعض من أفكاره المتناثرة فيتذكر أنه في إحدى الزنازين المظلمة أسفل المعبد الأكبر والتي كان يسمع عنها فقط في حياته السابقة. في البداية، كانت الرائحة الرطبة العفنة تزكم أنفه ولكن سرعان ما كان الألم يلغي كل حواسه فلا يشكو من رائحة أو أي شيء آخر.

فترات صفاء ذهنه القصيرة تلك لم تكن تبلغ مرحلة يستطيع بها أن يستحضر قدراته ولو حتى قدر ضئيل منها، فقط كانت كافية كي يسترجع أحداثا مرت عليه وأناسا عرفهم، منهم من فقده بالفعل ومن هو على وشك فقده.

كان يتذكر أباه الذي أودى بحياته هباء.. يتذكر (ماليك) المناضل المتفائل الذي لو عرف دوره الحقيقي في لعبة المنقذ لقتل نفسه هو الآخر.. يتذكر (بايون) معلمه ومقدار ما قد يشعر به من خيبة أمل إن رأى تلميذه الآن.. يتذكر أمه وعذابها المستمر.. ثم يتذكر (كارما).. كم سيفتقد حنانها كما سيفتقد برودها.. سيفتقد خوفها عليه وحمايتها له كما سيفتقد قسوتها حين جرحته بسكينها أول مرة قابلها..

كان كلما بدأ في الخوض في تلك الأفكار، يأتي المطهرون في موعدهم كي يثبتوه ويفرغ أحدهم محتويات محقن يحمله في ذراع (سول)، فيعود الألم من جديد.. لم يتمكن من تمييز وجوه المطهرين الذين يزورونه وسط الظلام وضباب عقله.. ظن أنه لمح وجه (آكي) في إحدى المرات، ولكنه لا يستطيع الجزم بهذا.. ما هو متأكد منه أن الشيء المشترك بين هؤلاء، كان الخوف.. لمس هذا في حركاتهم وهمساتهم وارتعاد أيديهم.. كانوا يخافونه وكان هذا أكثر شيء مدعاة للسخرية بالنسبة لـ(سول)..

تأثير ما يحقنون به جسده كان سريعا للغاية، فلا تمر نصف دقيقة يخفق فيها قلب (سول) بشدة لمعرفته ما ينتظره، حتى يأتي بمفعوله.. الألم الذي كان ينتشر في أوصاله لم يتخيل (سول) وجوده، فقد كان يشعر كما لو أن جلده يسلخ حيا وتعرض أعصابه للهواء الذي يتلاعب بها ويوقدها نارا.. كان يشعر أيضا أن أشواكا تغطي سطح جمجمته الداخلي وتنغرس في مخه وتشله من الألم..

صرخ كثيرا دون أن ينتظر أذنا تسمع صراخه.. بكى وصاح أنه استسلم، ولكن ما الذي يعنيه هذا؟!.. هو في أيديهم بالفعل.. تضرع للمطهرين الذين كانوا يحملون له طعاما كريها وشرابا آسنا مرة واحدة في اليوم ولكنهم كانوا أصناما.. ما بقي له كان تمنى الموت الذي تأخر كثيرا..

لم يدر أن أسبوعا كاملا مر عليه وهو على هذه الحال. عرف أن الوقت قد حان عندما دخلوا عليه في مجموعة كبيرة يرتدون زي المطهرين الأسود الخاص بالاحتفاليات.. قيدوا قدميه ويديه خلف ظهره ثم جروه خارجين من الزنزانة.. لم يحقنوه بالسائل اللعين في موعده وكان تخمينه

أن المنقذ لا يريد أن يفسد الغرض بضراخه.. أذرك أن القليل للغاية من قدراته قد عاد يدب في عقله ولكنه غير كاف على الإطلاق بأن يقاوم هذا العدد من المطهرين..

سحبوه إلى سلم ضيق به إضاءة محدودة استطاع مستعينا بها رؤية ملابسه القذرة المهترئة. صعدوا طويلا إلى أن بلغوا ممرا طويلا يأتي ضوء ساطع من نهايته. سمع (سول) صوت جهوري يرج أركان الممر وبعد انتباه، عرف أن هذا صوت جماهير غفيرة تهتف بحماس.. جذبه المطهرون باتجاه مصدر الضوء فوق أرضية الممر الترابية والصوت الجهوري يتصاعد بشدة. عند نهاية الممر أغلق عينيه متألما من الإضاءة الساطعة ولكنه سمع صوت المنقذ يصيح كما لو كان يكمل كلامه:

ـ ... ولكن الشر في محاولته الأخيرة لغزونا، قرر القيام بمناورة مختلفة هذه المرة، فقد جمع شتاته وتجسد في شخص.. هذا الشخص..

رفع (سول) عينيه أخيرا ليرى المنقذ متوسطا الحلبة بزيه الأبيض البهي وعباءته الطويلة وهو يشير إليه بإصبعه.. إنها ساحة المدينة والأجواء كانت أجواء الاحتفاليات التي يعرفها (سول) جيدا، فقد أضيئت الساحة بالكشافات القوية وامتلأت المدرجات بالناس واحتل الكهنة والمطهرون أماكنهم المعروفة كما انتشرت الكاميرات الطافية والتي تنقل البث المباشر لكل مدن العالم الجديد. لاحظ (سول) أيضا أن هناك تغييرات أُجريت على مدرجات الساحة تماما كما يحدث بين احتفاليات كل عام، ولكن يبدو أن هذه المرة التغييرات قد تمت بسرعة مبهرة.

جذبه المطهرون إلى أن توسط الساحة على بعد أمتار قليلة من المنقذ ثم

أجلسوه على ركبتيه وتركوه عائدين إلى الفتحة الجانبية التي خرجوا منها.

بدأت أعراض الشلل الذي أحس به في محطة الطاقة ينتشر في أوصاله فعرف على الفور أنه المنقذ الذي لا يريده أن يقوم بأي شيء مفاجئ، مستسلما تابع (سول) كلام المنقذ:

ـ لهذا كان علي أن أدعوكم هنا اليوم في احتفالية خاصة حتى نحكم الإله بيننا وبين الشر في أقوى صوره..

قالها ثم أعطي عباءته للمطهرين اللذين هرعا لأخذها ثم اختفيا من جديد. جلس عاري الجذع على ركبتيه هو الآخر مقابلا لـ(سول) ثم رتل الصلاة المعتادة:

ـ أيها الإله العظيم.. احكم بيننا بحكمتك ولتنزل عقابك ولتوصم جسد الظالم منا بعلامة الشر.

أغمض عينيه كالعادة أيضا منتظرا صاعقة الإله.. ساد الصمت فنظر (سول) بعينين واهنتين حوله.. كم اختلف الوضع عن بضعة شهور مضت كان فيها وسط هؤلاء الذين يهتفون بحماس من أجل «منقذهم» وينتظرون انتقام الإله من مصدر الشر. الشعور الذي ملأ قلبه تجاههم كان الشفقة، فهم لا يعلمون.. تساءل في سره إن كانت (نول) تتابع الآن وسط الجماهير، وهل هي بنفس حماسهم لرؤية نهايته أم أنها تشعر بالأسف تجاهه؟.. هل تجلس الآن مع زوج آخر وتشكر الإله الذي أنقذها من (سول) أم أنها تجلس وحيدة حائرة لما آل إليه مصيره؟..

بدأت الغيوم تتكاثف من لا شيء فعرف أن المنقذ على وشك أن يقبض على الواقع الذي تنزل فيه الصاعقة لتخلع (سول) من مكانه.. تخيل أن

(كارما) هناك.. في مكان ما.. تراه.. وتبتسم.. أغمض عينيه حتى تملأ تلك الصورة عقله.. وانتظر.. بضع ثوان أخرى وينتهي كل شيء..

الجلبة العالية هي التي دعته لفتح عينيه من جديد ليرى المشهد وقد اختلف تماما.. ضوء القمر المكتمل كان وحده يضيء الساحة بعد أن انطفأت الأضواء كلها.. الكاميرات هوت لتصطدم بالأرض بعنف وتقطع البث المباشر.. أما الجماهير فكانت تصدر أصواتا مضطربة محملة بعدم الفهم.. المنقذ مازال مغمض العينين شاحذا تركيزه في الصاعقة التي سوف تهبط حالا ولكن شيئا آخر كان قد تغير وشعر به (سول).. فقبضة المنقذ عليه قد تراخت لسبب ما وأصبح (سول) حرا في ولوج عالم العقول.. كان لايزال ضعيفا هشا ولكنه بذل جهدا جبارا كي يستجمع قواه.. نظر إلى الأعلى وعرف أن الصاعقة آتية الآن فترك عقله لغريزته التي نجحت في إيجاد الواقع المختلف لما يوشك أن يحدث.. قفز فيه دون حتى أن يفكر.. ثم ضربت الصاعقة..

لم يكن جسد (سول) هو الذي طار في الهواء ولكنه كان جسد المنقذ الذي ضربته الصاعقة بكل قوتها لتخلعه من مكانه وتلقيه إلى الخلف.. ساد الصمت المذهول في الساحة بعد أن رأى الناس ما حدث لمنقذهم مستعينين بضوء القمر.. (سول) نفسه كان مذهولا تماما كالجميع وهو ينظر إلى جسد المنقذ الهامد على بعد أمتار منه وعلامة "الشر" التي انتشرت فوق جذعه العاري. لم يصدق أن ما يراه أمامه واقع..

أول المستجيبين كان المطهرون الذين هرعوا إلى داخل الحلبة من الفتحات الجانبية.. بعضهم اتجه إلى المنقذ والبعض الآخر إلى (سول).. أيقظه هذا من ذهوله وكان أول ما فعله أن تخلص من قيوده التي اختفت

أمام الأعين.. يعدها وجه قدراته إلى المطهرين.. تركيزه في توجيه الصاعقة كان قد استنزف جزءا كبيرا من قوته ولكنه حاول التماسك.. ساعده على ذلك الأمل الذي تجدد في الخلاص..

عدد المطهرين الذين انقضوا عليه كان كبيرا وكان عليه التصرف سريعا، بالفعل بحث وسط الاحتمالات عن الواقع الذي يسقط فيه أحد العمدان العملاقة التي تحمل الكشافات فوق رؤوس المطهرين. نظر الجميع في ذعر إلى العمود الذي بدأ يصدر أصوات قرقعة عالية وهو يهبط بكل ثقله حيث وقفت مجموعة المطهرين الذين يهجمون على (سول).. نجحوا في آخر لحظة في التراجع عدا أحدهم تردد في الاتجاه المناسب للنجاة فسحق تحت العمود الذي سقط أرضا مصحوبا بدوي هائل وسحابة غبار عملاقة.

نفس الصرخات التي دوت في هذه الساحة منذ أشهر قليلة عندما زلزلها المنقذ، دوت من جديد ولكن مع اختلاف أن ما يحدث هذه المرة ليس تمثيلية. ركض المطهرون الباقون هاربين حتى هؤلاء الذين اتجهوا إلى حيث سقط المنقذ وكان هذا لحسن حظ (سول) الذي كان يدرك جيدا عدم قدرته على مجابهتهم جميعا وهو في حالته هذه.

الصراخ كان يتزايد ولمس (سول) المشاعر من حوله والتي امتلأت بالرعب من مندوب «الشر» هذا الذي قضى على منقذهم والذي سوف يسعى حتما للقضاء عليهم.

وسط كل هذا سمع التأوه.. التفت ليجد أن المنقذ يحاول النهوض بصعوبة.. ماذا؟.. مازال حيا!!.. اتجه إليه (سول) سريعا عالما ضرورة إتمام المهمة حتى لا يعطي المنقذ الفرصة لاستعادة أنفاسه وإلا ضاع هو نفسه..

أصبح الآن يرى الاحتمالات العديدة حيث لا وجود للمنقذ والتي لم يستطع (بايون) في العثور عليها قديما. كل ما عليه الآن هو أن يقفز في إحداها وينهي كل شيء.

ـ م.. مهلا.. ألا تريد أن ترى أفكاري أولا لتعرف الحقيقة؟

قالها المنقذ بصعوبة شديدة وهو جالس فوق الأرض الترابية بعد أن فشل في النهوض واقفا. لم يكن (سول) ينوي أن يمهله حتى هذه الفرصة ولكن قدراته رغما عنه اتجهت لجزء من الثانية إلى أفكار المنقذ.. وكان هذا كافيا كي يجعله يثبت مكانه، فما وجده كان هو اللا شيء.. لا أفكار.. لا مشاعر.. لا شيء. تذكر المرة الوحيدة التي قابل فيها شيئا شبيها عندما حاول قراءة (يوريكا) والتي عرف بعدها سرها وكيف كانت من نسج قدرات (بايون) وليست شخصا. لم يفهم كيف يمكن أن يرى قراءات مماثلة من المنقذ.

ـ ماذا تكون؟..

ـ أنت تعرف جيدا ماذا أكون.. السؤال الأهم هو: كيف وجدت؟

تفاجأ (سول) بعدها أنهما لم يعودا في الحلبة وسط الصراخ والهرج والمرج بل أصبحا داخل مكتب المنقذ على قمة المعبد الأكبر والذي أضاء جزءا كبيرا منه ضوء القمر الداخل من النافذة الواسعة. تأهب (سول) ولكن المنقذ عاد يقول محاولا التماسك:

ـ لا تقلق.. لقد استنفدت ما بقي لي من قوة كي أجلبك معي إلى هنا.. فأنا لا أريد المجازفة بأن يسمع أحد آخر الحقيقة التي أنا على وشك إخبارك بها.

لم يرتح (سول) تماما ولكنه كان موقنا أن المنقذ في حال أضعف من أن تسمح لهذا الأخير بالتغلب عليه. تأكد أيضا من أن احتمالات إلغاء المنقذ لاتزال مفتوحة أمامه في أي لحظة يشاء.

ـ أخبرني بها إذن..

قالها (سول) واضعا كل صرامته في الجملة فاستطرد المنقذ:

ـ أنت ظننت أني من جلب الكارثة على العالم ولكن الحقيقة هي أنكم أنتم من جلبتموها.

ـ نحن!!..

ـ نعم أنتم.. البشر.. أنا لم أكذب قط في هذا الجزء عندما كنت أقول أن شرور البشر هي السبب، فلطالما تقتم إلى القوة المطلقة وسعوتم إليها جاهدين بكل السبل المتاحة من علوم وتكنولوجيا، فقط لتجدوا أن القوة المطلقة هي بداخلكم، فهي موجودة في عقولكم جميعا، ولكنها تتفاوت بالطبع، وهؤلاء الذين لديهم أقوى مظاهر هذه القوة هم «الحالمون».

حاول المنقذ من جديد النهوض من وضعه الجالس وببعض الصعوبة نجح أخيرا في الوقوف ولكن في وضع منحن. قلق (سول) بعض الشيء لأنه كان يستطيع متابعة العوالم التي لا يوجد بها المنقذ والتي كان عددها يقل فأدرك أن هذا الأخير يستعيد قدراته تدريجيا. طمأن نفسه أنه مازال هناك عوالم عديدة متبقية واستمع إلى باقي ما يقوله المنقذ:

ـ الشيء الذي لم يعمل له البشر حسابا هو ماذا سيحدث حين تتحقق لهم هذه القوة المطلقة. كان يمكنهم معرفة هذا إذا نظروا نظرة

سريعة إلى تاريخهم المليء بضراغات أثارها هؤلاء الذين يملكون قوة ما والتي لا تقترب بأي حال من قوة الحالمين. فأتت النتيجة الحتمية.. الكارثة..

العوالم تقل وتقل والمنقذ يتابع:

ـ لم تأت الكارثة مرة واحدة بل أتت تدريجيا.. فكان أحد الحالمين يختار واقعا يفضله فقط كي يأتي حالم آخر فيغيره لصالحه وهكذا. هذا بالطبع أثر على الواقع المتأرجح فانتشرت الكوارث الطبيعية إلى أن أتى الفيضان الذي أغرق نصف العالم..

اعتدل ظهره المنحني والعوالم مستمرة في النقصان.

ـ أدرك الحالمون الذين ظلوا أحياء أنها مسألة وقت قبل أن ينهار الواقع كله تحت وطأة قدراتهم، فاجتمعوا وتوصلوا إلى الحل.. كان ما توصلوا إليه أن البشر ليس مقدرا لهم أن يحملوا مثل هذه القوة وأن عليهم أن يوجدوا قوة مختلفة تعمل على تقويض تلك القوى وفي نفس الوقت تستطيع أن تجمع البشر جميعا تحت نفس الراية والبناء من جديد لإنقاذ العالم من الفوضي.. لهذا أوجدوني..

ظن (سول) أن جزءا من شخصية المنقذ الأصلية يعود متمثلا في نبرة الفخر التي قال بها جملته الأخيرة، ولكنه كان مشغولا أكثر بما يقول هذا الأخير، هو كان مستعدا لتقبل أن «أحد» الحالمين، وهو المنقذ، قد أتى بالكارثة على اعتبار أنه استثناء من القاعدة، أما أن يكون مجموع الحالمين هم من قاموا بهذا كان صعبا عليه، فهو في النهاية أحدهم ويحمل نفس القدرة التدميرية التي لم يتخيلها قبل الآن.

ـ في البداية تخلصت من جميع الحالمين الموجودين.. هم بالتأكيد لم يتوقعوا هذا ولكن كان هذا هو الحل الوحيد الذي وجدته أمامي وقتها لإنقاذ العالم، بعدها شعرت بقواي تضعف فأدركت ساعتها المفارقة، فأنا أسعى للتخلص من قوى هي نفسها المسئولة عن وجودي، لذا بدأت أبحث عن حل آخر للمعضلة وفي النهاية وجدته بأن اخترعت جهاز الأحلام واستخدمته كي أزرع نفسي وسط أحلام أو كوابيس الحالمين، بهذه الطريقة ظللت حيا في عقولهم وبالتالي في العالم الحقيقي وفي نفس الوقت مكنني هذا من تحجيم قدراتهم.. جاءتني بعدها فكرة إنتاج الطاقة أيضا من تلك القدرات.

كان هذا كله صعب التصديق بالنسبة لـ(سول) فحاول إقناع نفسه أنها قد تكون خدعة ما يحاول المنقذ بها إطالة الوقت لاستجماع قوته مما دفعه أن يصيح:

ـ ولماذا علي تصديقك؟!!

ـ لأن كل الأدلة والاستنتاجات المنطقية تؤدي إلى ما أقول. فكيف تفسر طول عمري إلى الآن؟ ومن أين تظن أني أتيت بكل هذه العلوم التي أطبقها في المدن والتي منها كيفية استخراج الطاقة من الحالمين؟.. بل من أين جئت بالنظام الذي يحكم العالم الجديد؟.. لقد أتيت بكل هذا من عقول هؤلاء الذين أوجدوني، فأنا نتيجة دمج عقولهم جميعا وهذا أدى بي إلى معرفة كل علومهم وتاريخهم، وهذا الأخير هو ما ساعدني في الخروج بالنظام المثالي لقيادة العالم، والذي يعتمد على أعظم اختراع تفتق عنه ذهن البشرية.. الإله..

ـ فعبر التاريخ البشري، كانت أطول الإمبراطوريات عمرا هي تلك المحكومة بالإله والذي يجد البشر توقا غريزيا لتصديق وجوده، مما يسهل قيادتهم عن طريق شخص ما يخبرهم أنه مبعوث الإله إليهم. بالتأكيد كانت هناك أخطاء ولكني تداركتها عبر السنين الطويلة، فمثلا في البداية لم يكن العمل شاقا كاليوم فكان لدى الناس فائض من الوقت والجهد يسمح بالتفكير أكثر في أمور الخوض فيها أسوأ من تركها، فقررت مضاعفة أوقات العمل مما حل المسألة بشكل مرض للغاية.

صمت لحظة قبل أن يستطرد:

ـ صدقني يا (سول).. إن وجودي هو الشيء الذي ضمن للبشرية استمرارها إلى الآن، هذا ما أدركه الحالمون القدامى والذي ينبغي أن تدركه أنت أيضا. ربما ما حدث الليلة هو خير، ففي العقود الأخيرة لاحظت أن عدد الحالمين وقدراتهم تتناقص مما بدأ يؤثر علي، ربما كان هذا بسبب أني كنت لا أعطي الفرصة الكافية لتطور تلك القدرات وأقبض عليهم فور ظهور أي إشارة لها. هذا ما دعاني أن أجرب معك طريقة مختلفة وأن أعطيك الفرصة لتطويرها. المهم أن نتيجة لذلك أصبح ضروريا بالنسبة لي أن أتواجد ماديا بجوار الحالمين الموجودين بمحطات الطاقة كي أستطيع القيام بأي قدرات خارقة. الحل الآخر كان أن أستدعي القدرات الكامنة في باقي البشر العاديين ولكني كنت بحاجة لهؤلاء بأعداد ضخمة للغاية وأيضا بحاجة إلى أن يؤمنوا بي بقوة حتى أستطيع الاستفادة من تلك

القدرات الكامنة، ولكني الآن وبعد أن عرفت الحقيقة، أستطيع الاستفادة من قواك بجواري لتدعيم وجودي.

أنهى حديثه أخيرا وحان الوقت لأفكار (سول) الصاخبة أن تتكلم.. المنقذ كان يزداد قوة والاحتمالات أمام (سول) كانت قد بلغت عددا محدودا.. في نفس الوقت هو كان مشتتا لا يعرف كيف يتصرف.

التفت إلى النافذة المطلة على المدينة فاستطاع أن يلمح وسط الظلام ضوء النبضات الزرقاء المميزة لإطلاق عصي المطهرين، فأدرك أن هناك معركة ما تدور بالأسفل. العالم في طريقه إلى الفوضى من جديد.

ـ كيف ستفسر ما حدث الليلة للناس؟

ـ هذا سهل، فأنا أستطيع القول أن «الشر» بداخلك كان قويا للغاية ولكني تمكنت أن أنهض من سقطتي والقضاء عليه حتى خلصتك منه وأنك عدت عبدا مطيعا من جديد، بل أنك أصبحت من المقربين إلى الإله..

صمت (سول) من جديد.. كأنما أراد المنقذ أن يطرق الحديد وهو ساخن أكمل:

ـ لن تضطر للعمل من جديد وسوف تحظى بحياة مريحة ما تبقى من حياتك كما أنك سوف تحظى بإجلال وتوقير الناس حيثما ذهبت.. ولكن الأهم من هذا كله هو أنك سوف تكون أنقذت البشرية..

أخذ (سول) لحظات يقلب فيها كل ما قاله المنقذ ولم يستطع أن يجد فيه أي ثغرات، فكلامه بالفعل يفسر الكثير. هو قال أنه بحاجة إلى التواجد بجوار الحالمين كي يظهر قدراته.. قال أيضا أن الحل الآخر هو الاستعانة

بغداد هائل من البشر الغاذين الذين يؤمنون به.. مر شريط الأخداث سريعا في عقل (سول) ووجد أن المناسبات التي ظهرت فيها قدرات المنقذ بالفعل كانت إما عندما كانا في محطة الطاقة وحولهم «الحالمون» أو أثناء الاحتفاليات حيث يتطلع الملايين إلى الشاشات وكلهم إيمان بمنقذهم. هذا يفسر أيضا لماذا ضعفت قدرات المنقذ حينما انقطعت الطاقة ومعها البث المباشر الذي فصل المتابعين من المدن الأخرى عما يجري. لهذا كان على المنقذ استدعاء (سول) إلى محطة الطاقة ولهذا أيضا لم ير منه أي قدرات عندما قابله في مكتبه. شيء آخر حيره ووجد تفسيره الآن، فقد أدهشته دائما ردود أفعال المنقذ المتضاربة والتي قد تنتج عن شخص هو عبارة عن عدة شخصيات مندمجة مع بعضها. إن وضع (سول) كل هذا زائدا عليه عدم قدرته على تلقي أي قراءات عقلية من المنقذ، تصبح القصة واضحة تماما.. المنقذ صادق في كل كلمة قالها.. الشيء المتبقي الآن هو أن يقرر (سول) ماذا يفعل..

دار عقله حائرا بالتساؤل إن كان ما اقترحه عليه المنقذ هو فعلا الحل الوحيد أمامه حتى تستمر البشرية.. أي ظلم هذا الذي وضع هذا القرار المصيري بيده وحده دونا عن سواه؟.. وكيف يتحمل وزره؟.. العوالم أمامه تبلغ الآن عدد أصابع اليد والنافذة تغلق سريعا.. هل يترك المنقذ للبقاء والحفاظ على نظام يعمي الناس عن الحقيقة ويدفعهم للعمل كالعبيد؟.. هو نظام على كل حال، وأليس هذا أفضل من الفوضي؟.. أليس أفضل من أن يطلق العنان للبشر وأن تزداد قدراتهم فيجلبون كارثة أخرى قد تقضي عليهم بالكامل هذه المرة؟.. ثم كيف له أن يعوض الإيمان الراسخ في قلوب الملايين بالمنقذ وما سوف يصيبهم من

انهيار؟.. لقد أصبح نظام المنقذ بالنسبة لهؤلاء هو الحياة ودونه لن يوجد سوى الموت.. يا له من قرار.. ود لو أن (كارما) معه الآن كي تخبره ماذا يجب أن يفعل، ولكن لن يتاح له الوقت الكافي لهذا، فالنافذة الآن متوقفة أمام عالم واحد أخير.. هل هذه هي النهاية؟ هل ضاعت تضحيات أبيه وأمه هباء؟ أمه.. هل يتركها لعذابها مع الآلاف غيرها على اعتبار أنهم أبطال؟..

ـ لا..

قالها (سول) بهدوء حاسم وهو يقفز إلى العالم الباقي الخالي من المنقذ.. صاح هذا الأخير:

ـ لا.. انتـ..

ثم وكأنه لم يكن.. اختفى من الوجود..

* * *

رسا القارب الصغير فوق الشاطئ فقفز منه لتنغرس قدماه في الرمال. اتجه إلى خط الأشجار أمامه فاخترقه واستمر في طريقه بضعة أمتار حتى وصل إلى الجانب الآخر من الشاطئ. كانت جالسة تلعب بالرمال بقدميها الحافيتين. قاوم تأثره حين رآها وهو يقترب منها ببطء. رؤيتها أنعشت جزءا كان قد خمد من ذاكرته منذ فترة طويلة ولكنه الآن يتذكر، يتذكر شعرها الأسود الطويل وبشرتها البيضاء الصافية، يتذكر عينيها السوداوتين الناعستين وابتسامتها الحنون.

انتبهت لوجوده فالتفتت إليه فرحة:

ـ لقد وجدتني..

ـ نعم.. وجدتك يا أمي..

نهضت بخفة تنفض أطراف فستانها الفضفاض الذي يبدأ لونه سماوي باهت عند الصدر ثم يتدرج في الثقل حتى يصبح أزرقا غامقا عند القدمين. ضوء الشمس كان ينعكس فوق الملايين من قطرات الندى فوق الفستان فتبدو أمه كما لو كانت منارة ساطعة. اقتربت منه ثم قالت بابتسامة صبوح:

ـ كم افتقدتك يا (سول)..

ابتسم (سول) قائلا:

ـ لقد أنقذت حياتي.

ـ بل هي من أنقذت حياتك.. كل ما فعلته أنا هو أن قدتها إلى الطريق الصحيح..

ـ ولكن كيف وصلت إليها؟..

ـ عن طريقك أنت..

ـ أنا!!..

ـ نعم، فأنت عندما أتيت إلى المحطة واقتربت مني، وقتها كنت شبه ميتة ولكني شعرت بك وأنعشني هذا الإحساس. حاولت الاتصال بك ولكن وجود المنقذ منعني، إلا أني وجدت شيئا آخر، سيلا قويا من الطاقة يخرج منك ويتجه مباشرة إليها، هذا ما تبعته لأجدها وأخبرها كل شيء.

إذن هكذا تم الاتصال.. (كارما) أخيرته بكل ما حدث بعدها، فبعد أن وصلت إليها أمه عقليا وأخبرتها بموقع محطة الطاقة التي تغذي (مدينة الإله ١)، قصت ما حدث لـ(ماليك) الذي صدقها على الفور، ثم وضعا الخطة.. أخبار القبض على (سول) والاحتفالية الاستثنائية كانت قد انتشرت بالفعل فقررا أن ينقسما إلى فريقين، فريق يتجه إلى المحطة بقيادة (كارما) لغلقها في نفس وقت إقامة الاحتفالية حيث سيكون الجميع بما فيهم المطهرين مشغولين، أما الفريق الآخر بقيادة (ماليك) فقد كان منوطا بالتربص حول المدينة انتظارا لنجاح الفريق الأول وما يعنيه ذلك من توقف عمل الأجهزة الدفاعية ومنها أجهزة الرصد حول المدينة، بعدها يستطيعون التسلل بسهولة إلى الداخل والاستيلاء على أسلحة المطهرين من مخازنهم. نجحوا بالفعل في هذا وفرضوا سيطرتهم على المدينة.. تخبط المطهرين الشديد من أثر المفاجأة وما رأوه يحدث لمنقذهم ساعدهم في مهتهم كثيرا ولكن رغم هذا، فقد قاوم بعضهم بعنف مما أدى إلى سقوط العديد من القتلى من الجانبين.

تابعت أمه كلامها وكأنها تستكمل أفكاره:

ـ بالطبع المسألة لم تكن بهذه السهولة بالنسبة لـ(كارما)، فحتى بعد أن سابقت هي وفريقها الزمن كي يصلوا إلى المحطة قبل ساعة الصفر، كانت توجد عقبة الأبواب السميكة، ولكنهم نجحوا في التغلب عليها باستخدام المتفجرات القديمة التي كانت بحوزتهم.

ـ رغم هذا.. لم تكن هذه هي أصعب خطوة قاموا بها..

بدا حزن يتسلل إلى ملامح أمه وهي تقول:

ـ نعم.. فعندما شرحت لـ(كازما) عقليا أن الحل الوحيد لغلق المنخطة هو وقف عمل الكبائن نفسها مما يعني موت من بداخلها، ترددت كثيرا هي ومن معها، ولكنهم حسموا أمرهم حينما أكدت لها أن هذه هي رغبة جميع الحالمين المحبوسين الذين اكتفوا من العذاب ورضوا بالموت بديلا مرحبا به..

تهدج صوت (سول) وهو يقول:

ـ ولكنها أبقت عليك.. من أجلي..

لمست وجهه بأناملها في حنان هامسة:

ـ وكم أنا سعيدة أنها فعلت، فقد انتظرت هذه اللحظة منذ أن أدركت أني محبوسة في عالم غير حقيقي من صنع المنقذ.

ـ عذبك كثيرا!!..

ـ ليس بعد الآن.. ليس بعد أن وضعت أنت حدا له.

ـ هل كان هذا هو الاختيار الصحيح؟..

ـ إنه الاختيار الذي أنبأتك به غريزتك، وعليك أن تثق بها..

ـ البشر غير مستعدين.. فقد بدأت الفوضى تسود بالفعل..

ـ هم فقط بحاجة إلى قائد جديد يقودهم، فكن أنت لهم هذا القائد وأرهم طريقا جديدا لم يعرفوه من قبل.. طريق الإله الحقيقي..

ـ الإله!!..

ـ بالتأكيد.. أنا أعرف ما قاله لك المنقذ ولكن هل ظننت أن كائنا مثله

يمكنه أن يدرك وجود الإله الحقيقي؟.. إن هذا الإدراك يتطلب القلب وهو ما لم يملكه، فأنت إن وجدت الإله في قلبك سوف تجده في حياتك.. والإله الحقيقي لا يدعو إلى الاستعباد، بل يدعو إلى الحرية..

ـ ولكن هذه الحرية قد تكون هي سبيل هلاكهم.. هذا ما حدث من قبل والذي دفعهم أن يحجموها بأنفسهم..

ـ أنت رأيت بنفسك الاحتمالات اللامتناهية للواقع، مما يعني أن ما حدث سابقا ليس مقدرا حدوثه من جديد..

صمت فعادت هي تتطلع إلى الشاطئ الجميل. ثوان مرت ثم سألته مترددة:

ـ (سول).. هل.. هل فتحت الكابينة؟..

ـ لا..

بدا عليها الارتياح وهي تقول بسرعة:

ـ إذن لا تفعل.. فأنا أريدك أن تتذكرني كما تراني الآن وليس بأي صورة أخرى.

أومأ برأسه إيجابا فصمتت لحظات أخرى تتطلع إلى وجهه ثم انفرجت شفتاها:

ـ أنت تعلم ما عليك فعله الآن.. أليس كذلك؟

هنا لم يستطع مقاومة دموعه أكثر من ذلك فتركها تنهمر وهو يحاول أن يخرج الكلمات:

ـ نعم.. أعرف..

أمسكت وجهه بين كفيها وهي تحاول مداراة ألمها:

ـ تذكر يا بني أني أحبك..

ضمها إلى صدره وتمنى لو أن تستمر هذه اللحظة إلى الأبد. مضى وقت طويل قد يكون دقائق أو ساعات ولكن في النهاية كان الفراق محتما. أبعدته برفق قائلة:

ـ لقد حان الوقت..

أومأ برأسه موافقا وهو يحبس سيلا آخر من الدموع. قبل أن تتركه يعود إلى عالم الواقع قالت وقد استعادت ابتسامتها الحنون:

ـ تذكر أيضا يا بني أنك لست وحيدا..

بدأ رحلة عودته إلى عالم الواقع فبدأ الحلم يهتز وملامحه تختلط ولكن لكم سره أن آخر شيء رآه من أمه كان ابتسامتها..

هو الآن يقف أمام كابينة أمه الوحيدة التي لاتزال تعمل. مد يده يمسح دموعا تبعته من الحلم إلى الواقع. تسمر لحظات وعيناه مثبتتان على زر إيقاف عمل الكابينة ثم قال:

ـ الوداع يا أمي..

ضغط الزر كي تنضم أمه إلى أبيه و(بايون) اللذين غادراه قبلها.. استدار سريعا لمغادرة القاعة الضخمة التي استحالت إلى مقبرة كبيرة. أراد أن يستنشق الهواء، أن يشعر بحرارة الشمس على وجهه فركض.. تجاوز ما تبقى من البابين اللذين نسفتهما (كارما) وهو مستمر في

الركض.. رأي بصيص الضوء القادم من مدخل الكهف فزاد من سرعته حتى تجاوزه.

أخذ نفسا عميقا ثم تطلع إلى الأفق الغامض.. شعر بأنامل (كارما) وهي تمتد لتحتضن يده فعرف أن أمه على حق.. وأنه ليس وحيدا.